الروحانية الصحيحة

عيش الحياة المسيحية بحسب رومية ١٢

تشيب إنجرام

CHIP INGRAM

الروحانية الصحيحة

الطبعة العربية الثانية ٢٠١٩
المؤلف: تشيب إنجرام
الناشر: هيئة ليڤانت Levant Ministries
الترقيم الدولي: ISBN 9781605933375
للطلبات والاستفسارات، الرجاء التواصل معنا على البريد الإلكتروني:
info@nextgenarabic.com
زوروا موقعنا على الإنترنت: www.nextgenarabic.com
الشواهد الكتابية في هذا الكتاب مأخوذة من ترجمة ڤاندايك/البستاني، إلا إذا ذكر غير ذلك.

جميع الحقوق محفوظة © لهيئة ليڤانت LEVANT MINISTRIES.

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر. ولا يجوز استخدام أو اقتباس أي جزء منه من دون إذن الناشر، وللناشر وحده حق إعادة الطبع والنشر من خلال النسخ المطبوعة أو أي وسيلة سمعيّة أو بصريّة أو عبر الإنترنت في أي مكان.

Originally published by Howards Books
A division of Simon & Schuster, Inc
Avenue of the Americas, New York, NY 10020 1230
English Edition © 2009 Chip Ingram and Living on the Edge.
Arabic Edition © 2018 Levant Ministries, Chip Ingram, and Living on the Edge.
Design and artwork by LEVANT MEDIA
Translated by DoneByNative
Distributor LEVANTMEDIA

كلماتُ مديح لكتاب «الروحانية الصحيحة»

«اختـراق توضيحـي مـن كلمـة اللّه يمثّـل بوصلـةً روحيـةً ترشِـد كل مَـن هـو جائـع للقصـد والاتّجـاه الـذي عليـه سـلوكه. يحـدّد هـذا الكتـاب بوضـوح طريـق اللّه القديـم الحديـث نحـو النمـو الروحـي، إنّـه مناسـب بطريقـة مدهشـة وعمليـة خـلال كامـل طيـف رحلـة الإنسـان الروحيـة.»

– ريك وارين، راعي كنيسة سادلباك
كاتب الكتاب العالمي الأكثر مبيعاً «الحياة المنطلقة نحو الهدف»

«هـل لديـك إيمـان لتصـدق أن أفضـل أيّامـك الروحيـة مـا تـزال تنتظـرك؟ لا تقـرأ هـذا الكتـاب وأنـت جالـس، بـل اجـثُ أمـام الـرب، ثـم قـف علـى قدميـك.»

– ديمس ماكدونالد، راعي كنيسة هارفست الكتابية
معلّم للكتاب المُقدس لدى «سِر في الكلمة»

«رأيـتُ عـن قـرب شـغف تشـيب إنجـرام فـي إعـداد تلاميـذ حقيقيّيـن. موهبتـه فـي تعليـم حقائـق كلمـة اللّه تسـاعد المؤمنيـن فـي أن ينمـوا ليصلـوا النضـوج فـي حياتهـم. سـواء أكنـتَ عالقـاً أو تصـارع أو لديـك أشـواق لمسـير أكثـر عمقـاً مـع المسـيح، دعنـي أشـجّعك علـى أن تعتبـر تشـيب مرشِـداً محـل ثقـة.»

– ستيف دوغلاس
رئيسي «الحملة الجامعية للمسيح»

«أعطـى تشـيب الكنيسـة طريقـة كتابيـة وتحفيـزاً للسـعي وراء حلـم اللّه لحياتـك. الأدوات المشـجعة التـي تحتويهـا هـذه الصفحـات ستسـاعدك فـي فهـم مـا كنـتَ تسـعى إليـه. إن كنـتَ تبحـث عـن المزيـد فـي مسـيرك مـع يسـوع، فأنصحـك بـأن تبـدأ مـن هـذا الكتـاب.»

– الدكتور جاك غراهام
راعي كنيسة بريستونوود المعمدانية

«آمين! يشعِل هذا الكتاب شغفي وحماستي! قال لنا يسوع بأن نذهب ونتلمذ وليس لأن نأخذ قرارات. أعطانا صديقي العزيز تشيب إنجرام طريقاً كتابياً عملياً مناسباً للوصول إلى النُّضج الروحي.»

– الدكتور توني إيفانس
راعي كنيسة أوك كليف الكتابية، رئيس البديل المدني

«وجدتُ هذا الكتاب مثيراً للإعجاب وعميقاً، ومع هذا عملياً تماماً. كنتُ أتمنى لو كان موجوداً قبلاً في مسيري مع اللّه.»

– غريغ ديدريك
الرئيس السابق لكنتاكي فرايد تشيكن

«قبل سبع عشرة سنة، قبلت دعوة لنصف حياتي الثاني لأن أعمل في تحويل الطاقة الكامنة في المسيحية الأمريكية إلى طاقة فاعلة. يركّز كتاب تشيب إنجرام الرائع الجديد، بشكلٍ خاصّ على هذه الرسالة. تشير كل البحوث إلى أنّ مهمّة زمننا هي مساعدة المسيحيّين الحقيقيين هي أن يحيوا كمسيحيين حقيقيين. إنّه بمثابة الخطوات التالية الضرورية للمؤمنين التي يتم تقديمها في استراحة ما بين الشوطين – إنّه المفتاح لتحقيق عملية صيد جيّدة.»

– بوب بوفورد
كاتب «استراحة ما بين الشوطين» و«إنهاء السباق بكفاءة»
مؤسّس ورئيس «شبكة عمل القيادة»

«هذا الكتاب سهل وممتع ومحفّز، إنّه يشابه الدخول في حوار مع صديق عزيز يريدك أن ترتقي إلى الأعلى وتنال كل ما لدى اللّه لك.»

– غاري ج. ديخندت
مساعد الرئيس التنفيذي السابق لـ«وورلد أوبيراشنز»، أنظمة سيسكو

«تمكّن تشيب من تجاوز اللغة المسيحية المعقّدة للوصول إلى زبدة الموضوع. وبعد أن قال كل شيء لازم، فإن كل شيءٍ آخر إضافي. اقرأ هذا الكتاب، الذي لا يقدّم نظريات، بل يخاطب الحياة اليومية.»

– مايكل يوسف، دكتوراه في اللاهوت
مؤلف كتاب «ماذا تريدني أن أفعل؟»

«هذا كتاب وثيق الصلة بالكنيسة المعاصرة، يكتبه تشيب باقتناعٍ عميق بأن النضوج الروحي هو الحاجة العظمى في العالم اليوم. وهو يقدّم بكل أمانة بوصلة كتابية للوصول إلى هذا النضوج. أنا شخصياً، أحب وجهة نظره عن التسليم الكامل.»

– القس إدموند شان
راعي كنيسة العهد الإنجيلية الحرّة، سنغافورة

«كنتُ دائماً أقول إن الحياة ليست سوى علاقات. ويتفق معي صديقي تشيب إنجرام، وهو يصف في هذا الكتاب كيف تعالج رومية ١٢ العلاقات الخمسة الأساسية التي ينبغي لكل إنسان أن يتقنها. دروس تشيب العملية الشخصية وسهلة التذكُّر ستساعد في قيادتك نحو تجديد ذهنك، وتجعلك تحيا الحياة المسيحية التي يريدنا الله أن نحياها.»

– لي ستيكل
مدرّب قديم في كرة القدم الأمريكية، والمدير التنفيذ لشركة الرياضيين المسيحيين

«أشكر الله على استخدامه تشيب في كتابة هذا الكتاب، الذي يتمحور في محتواه وتطبيقه حول الكتاب المُقدَّس، والنتيجة هي قوة في التغيير.»

– بيتر تان تشي
راعي كنيسة إرسالية المسيح، الفلبين

الروحانية الصحيحة

12 عيش الحياة المسيحية بحسب رومية ١٢

تشيب إنجرام

CHIP INGRAM

حياتك على حافة

LEVANT
MINISTRIES

LEVANT
MINISTRIES

من نحن

ليڤانت المشرق هيئة مسيحية غير طائفية هدفها هو تمكين الجيل التالي من المسيحيين وتهيئتهم ليكونوا أتباعاً أمناء ليسوع المسيح ومؤثرين بصورة فعالة في العائلة والكنيسة والمجتمع.

نشاطاتنا وخدماتنا تتم من خلال الشراكة والتعاون مع الكنائس والمؤسسات المسيحية المحلية في جميع أنحاء العالم. نطمح بأن نستمر في بناء جسور الصداقة مع الجميع فيكون كل ما نقوم به لمجد اللّه وامتداد ملكوته.

تواصل معنا...

«إهداء»

إلى آني وتيريزا ... إن يديكما اللتين لا تكلان وقلبيكما المصليان جعلت هذا الكتاب ممكناً.

الفهرس

شكر وعرفان

تمهيد

مقدمة

الجزء الأوّل

كيف نعطي اللّه ما يريده أكثر من أي شيء آخر (رومية ١٢: ١)

الفصل الأوّل – ماذا يريد الله منك حقًّا؟ ٣

الفصل الثاني – لماذا يَصعُب عليك أن تسلِّم لله بالكامل؟ ٩

الفصل الثالث – هل تعتقد أن الله يريد ما هو الأفضل لك؟ ١٧

الفصل الرّابع – ما هي طبيعة الحياة المُسلَّمة لله؟ ٢٣

الفصل الخامس – هل تراهن بكل شيءٍ؟ ٣١

الجزء الثّاني

كيف تحصل على قصد اللّه الأفضل لحياتك (رومية ١٢:٢)

الفصل السادس – هل تحصل على أفضل ما في قصد الله لك؟ ٤٥

الفصل السابع – ما الذي يجعل الحياة المسيحية صعبة؟ ٥١

الفصل الثامن – هل أنت محبٌّ أمين؟ ٥٩

الفصل التاسع – هل يُمكن أن يقتل نظام غذائك العقلي روحك؟ ٦٧

الفصل العاشر – هل مللتَ «المحاولة الجادة» والشعور بالذنب؟ ٧٧

الجزء الثالث

كيف يمكنك أن تستوعب ذاتك الحقيقية (رومية ١٢: ٣–٨)

الفصل الحادي عشر – من تظن نفسك؟ ٩٣

الفصل الثاني عشر – هل أجبت عن أسئلة الحياة الكبيرة؟ ٩٩

الفصل الثالث عشر – هل اكتشفت ذاتك الحقيقية؟ ١١١

الفصل الرابع عشر – أين مكانك في عائلة الله؟ ١٢٣

الفصل الخامس عشر – هل تعرف ما هو هدف الله لحياتك؟ ١٣٣

الجزء الرّابع

كيف تختبر العيش في مجتمع أصيل (رومية ١٢: ٩–١٣)

الفصل السادس عشر– ما هو المجتمع الأصيل بالأساس؟ ١٤٧

الفصل السابع عشر – لماذا يهتمّ الله بأن تكون أصيلًا؟ ١٥٥

الفصل الثامن عشر – هل تبني علاقات طويلة الأمد؟ ١٦٥

الفصل التاسع عشر– ما الذي يمنعك من اختبار عيش المجتمع الأصيل والحقيقي؟ ١٧٥

الفصل العشرون – ما هي نقطة تركيزك؟ ١٨٥

الجزء الخامس

كيف تتغلب على الشر الذي يستهدفك (رومية ١٢: ١٤–٢١)

الفصل الحادي والعشرون – من آذاك أشدّ إيذاء؟ ٢٠١

الفصل الثاني والعشرون – هل ستسمح للمسيح بأنْ يشفيك؟ ٢٠٧

الفصل الثالث والعشرون- هل تعلم متى تكون أكثرَ شبهاً بالرب ليسوع؟ ٢١٥
الفصل الرابع والعشرون - هل يمكن أن تلعب «دور الله» من دون أن تدري؟ ٢٢٣
الفصل الخامس والعشرون - هل أنت مستعد لأن ترى الله وهو يعمل المستحيل؟ ٢٣١

الخاتمة

وتستمر الرّحلة

كلمة الى الرعاة

شكر وعرفان

يمثّل هذا الكتاب ذروة رحلةٍ امتدّت ستة وثلاثين سنة. ليس هذا شيئاً كتبته أنا بقدر ما كان شيئاً كتبه اللّه فيّ من صيف العام ١٩٧٢، حيث فتحتُ كتابي المُقدَّس أوَّلَ مرّة وقرأتُ رومية ١٢.

كيف لي أن أعبِّر عن عِظَم امتناني وشكري لـ«جميعة الرياضيين المسيحيين»، وديف مارشال، و«الملاحين»، وأختي، وكلية دالاس للّاهوت، و«كنيسة الريف الكتابية» و«كنيسة سانتا كروز الكتابية» على إشرافهم وتدريبهم ومحبتهم وتوجيههم وتوبيخهم؟ على مسافة أكثر قُرْباً، عشتُ وأعيش مع زوجةٍ وأولادٍ رائعين يعيشون حسب رومية ١٢، فرض عليّ سعيهم الحماسي الدؤوب للتقرُّب من يسوع أن أكون أكثر مصداقية ونزاهة وصدقاً، وأَحدث فيَّ تحوُّلاً عظيماً.

أرغب بأن أقدِّم شكري لـ« التفتيش في الكتاب المُقدَّس» (Walk Thru the Bible)، ومجموعة الرعاة في لاغوس بنيجيريا على تحفيزهم لي لوضع إطار دراسة «رومية ١٢».

كما أرغب بأن أشكر الفريق الرائع، فريق حياتك على الحافة Living on the Edge الذي شكّلوا ونحتوا معي الرسالة، وأبدعوا في إنتاج المواد المرئية والسّمعية، والتعلُّم عبر الإنترنت، والإشراف عبر الإنترنت، وفي تأمين شبكة اجتماعية وموارد روحية لمساعدة المؤمنين

عبر كوكبنا من أجل أن «يحيوا كمسيحيين حقيقيين» (غريغ وفيكي ولينداوستير وساندي مع فِرقهم). وأدين كذلك للمشورة الحكيمة والبصيرة الاستراتيجية اللتين استقيتهما من أندرو وأصدقائه لينس وبيل وبريت وروب ومارك.

وأودّ أن أشكر جون هاورد لإيمانه بهذا المشروع ولصبره المدهش في انتظار توقيت اللّه. وأقدّم تشكُّراتٍ خاصّة لسيمون وشوستر على مرونتهما واستعدادهما لإنتاج طبعة خاصّة بالخدمة ولتمكُّنهما من التغلُّب على معوِّقات الموعد النهائي لتسليم هذا الكتاب للمطبعة.

وأود أن أشكر كيرتيس ييتس و«شركة ييتس» على صبرهم معي وعلى التزامهم الصادق والحقيقي تجاه الخدمة.

وأخيراً

أود أن أشكر آنـــــي، التي طبعت وعدّلت مخطوط هذا الكتاب ثلاث مرّات، وقدَّمت اقتراحاتٍ قيّمة، وعملَت كل الوقت من أجل إنهاء العمل في الوقت المحدَّد، وكانت نموذجاً حقيقياً لتعليم رومية ١٢: ١٠–١١ في إتمامها هذه العملية: «وادّين بعضكم بعضاً بالمحبة الأخويّة، مقدِّمين بعضكم بعضاً في الكرامة، غير متكاسلين في الاجتهاد، حارّين في الروح، عابدين الرب.» وأود في النهاية أن أشكر مجموعة درس الكتاب مساء الاثنين الخاصّ بالمهنيّين الشباب، الذين أظهروا لي كيف تُحيا رومية ١٢ حين يكون الإنسان أعزب في سن الخامسة والعشرين.

«تمهيد»

قبل أن نبدأ

أهلاً بك إلى «الروحانية الصحيحة». 12

أنت تنضمّ إلى ملايين من المسافرين مثلك الذين قرأوا سلسلة «أن أصبح مؤمناً بحسب رومية ١٢» أو استمعوا إليها أو درسوها حول العالم. وشهاداتهم لقوة اللّه وحضوره في حياتهم تملأ وتحفّز حماستي لدعوتك إلى الانضمام إلينا والتعمق في علاقتك بالرب يسوع المسيح.

إن كنتَ تبحث عن صِيَغ أو خِدَع أو خطواتٍ سهلة، فهذا الكتاب لن يفيدك في مبغاك هذا، فهذا الكتاب وهذه الرحلة هما لمن يتوق إلى روحانية صحيحة أصيلة وحميمة.

١- هل هذا الكتاب لك؟

سيكون الجواب أجل إذا ما كنت...

- جائعاً روحيّا.
- تتوق إلى المزيد من اللّه.
- متعباً من وضعك الروحي الراهن.
- عالقاً روحياً.
- ترغب في النموّ الرّوحي.
- تتوق إلى التحرُّر من خطيئة معتادة.
- مستعداً لمواجهة تحدٍّ.
- تُتلمذ مؤمنين آخرين.

٢-عمّ يتكلّم هذا الكتاب؟

أوّلًا، لا يتعلّق هذا الكتاب بالتديّن، أو حفظ القوانين، أو تطوير البرامج، أو ازدهار الكنائس، أو تحقيق الذّات، أو وصفةٍ روحيّةٍ لتحقيق النجاح. بل يتعلّق، في واقع الأمر، بمساعدتك على الإجابة عن خمسة من أهمّ الأسئلة في حياتك:

- كيف تعطي اللّه الشيء الذي يريده منك؟
- كيف تُتمّم إرادة اللّه الصالحة لك في حياتك؟
- كيف يمكنك أن تستوعب ذاتك الحقيقية؟
- كيف تختبر الحياة في مجتمع حقيقي وأصيل؟
- كيف تتغلب على الشر الذي يستهدفك؟

وبعبارةٍ أخرى، يدور هذا الكتاب حول «الحياة على الحافة»؛ وكيف تخرج منتصرًا بشجاعة إذ تقبل تحدّي الروحانية الصحيحة.

٣- لماذا هذا الكتاب الآن؟

أظهرت الأبحاث الحديثة أنّ برامج الكنيسة لا تنتج مؤمنين ناضجين بالمسيح. لقد جرّب المؤمنون الصادقون العديد من المنهجيات الروحية التي لا تقود إلى أي مكان وغير السليمة لاهوتياً، والساعية إلى إحداث تغييرات سريعة، والتي تركتهم :

- مؤدّين شكلياً ومنهكين.
- يشعرون بالذنب والعار.
- أسرى التوقعات الخاطئة.
- خائبي الأمل.
- غاضبين تملؤهم المرارة.
- هاجرين للكنيسة.
- سائرين برتابة في ممارسات دينية غير قادرين على الإحساس بوجود اللّه وقوته.

٤- ما الذي يجعل هذا الكتاب مختلفًا؟

يقدم هذا الكتاب منهجاً مؤكّدًا في سعي المؤمن لمشابهة يسوع أكثر فأكثر يوميًا. ومواصفات هذا المنهج هي ...

• **كتابي :** شرحٌ لرسالة رومية الإصحاح ١٢؛ الذي هو بمثابة ملخص عملي تنفيذي لصورة تابع المسيح الحقيقي الأصيل.

• **علاقي :** يتحقق النضوج الروحي من خلال النمو في مفاتيح العلاقات الخمس، وليس بالالتزام بالقوانين والقواعد.

• **مبني على النعمة :** ينمو تلميذ رسالة رومية ١٢ من خلال فهم رسالة رومية ١–١١. إنه ليس متمحوراً حول الأداء.

• **يتمحور حول الإيمان :** يتحقق النضوج الرّوحي من خلال تعلّم الثقة باللّه وليس «ببذل مجهود أكبر» وعمل «محاولات أكثر جدية».

• **عملي :** تقدّم التلمذة الطرق اللازم اتّباعها في عملية النمو الروحي، وليس المثاليات فقط.

• **قابل للقياس :** يقدّم الإصحاح الثاني عشر من رسالة رومية مقاييس محددة لمساعدتك على التأكّد من تقدُّمك في النموّ الروحي.

كما عليك أن تعلم أنّ هذا الكتاب يشكّل «مدخلًا» وليس «وجهةً نهائية». ستنطلق أثناء قراءتك في رحلةٍ باتجاه تحولك إلى مؤمن بالمسيح يعيش على الحافّة. وستجد في نهاية كلّ فصل موارد وأسئلة تدعم نموك الشخصي وتطبيق عمل اللّه في حياتك.

في نهاية كل جزءٍ في الكتاب ستجد صفحةً تتعلق بحياتك مع اللّه، وحياتك في المجتمع وخدمتك المستمرة وتقديم إرشادٍ بشأن اتّباع الطريق، مما يساعدك في حياتك اليومية:

– **أمام اللّه يومياً:** للالتقاء به شخصياً من خلال كلمته والصلاة للاستمتاع بمحضره وقبول توجيهه وإرشاده واتّباع إرادته.

– **مع المؤمنين أسبوعياً:** بحيث يوجّه حياتك عبر الأسبوع في تواصلك مع آخرين في علاقاتٍ تقدِّم المحبة والدعم والشفافية والتشجيع والمحاسبية.

– **في مهمة إرسالية مستمرّة بلا توقُّف:** تسعى فيها إلى تنمية عقلية أن «تحيا» محبة يسوع للآخرين من خلال أعمال التضحية والخدمة في البيت والعمل واللعب والكنيسة.

وستكتشف عبر موقعنا التفاعلي www.levantmedia.com طرقاً روحية واضحة تساعدك على النمو. وهنا، ستصبح قادرًا على مشاركة رحلتك مع الآخرين، وتلقّي تدريب شخصي لتخطي العقبات، وستحصل على أدوات عملية لمساعدة الآخرين.

الإصحاح الثاني عشر من رسالة رومية هو نقطة البداية إلى الحياة المسيحية. ليس هو كلّ شيء، ولكن إذا ما كنت محتجزًا وعالقًا

– فابدأ هنا. إذا كنت حديث الإيمان، وغير متأكد من الكيفية التي يمكنك أن تتطور بها.

– فابدأ هنا. وإذا كنت مؤمنًا ناضجًا وتبحث عن مدخلٍ لتلمذة آخرين.

هل أنت جاهزٌ لرحلة العمر؟

ملاحظة للرعاة :
هناك رسالة خاصّة لك في نهاية هذا الكتاب. انتقل إليها واقرأها ثم انضمّ إلى بقيتنا في رحلتنا هذه.

مقدّمة

رحلة رومية ١٢

12

قوبل سؤالي البسيط بعيونٍ جاحظةٍ وصمت مُطبق. كنت أتكلّم في تجمّعٍ للرعاة في نيجيريا عن هدف الكنيسة كما هو معرَّف في متّى ٢٨: ١٩

«فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ ...»

ولذا سألتهم: «من هو التلميذ؟»

لم أكن أطلب تعريفًا، بل أردت منهم إخباري بطبيعة التابع الأصيل والحقيقي للمسيح. لكنهم مثلهم مثل كلّ المؤمنين الآخرين الذين التقيتهم في كلّ أنحاء العالم، وجدوا صعوبة في إعطائي صورةً واضحة كتابية قابلة للقياس عن تلميذ المسيح.

عندئذٍ، اختبرتُ أحد تلك الاختبارات المذهلة حيث يضع اللّه الكلمات المناسبة في فمك والتي لم تكن في فكرك سابقًا.قلت: «لو كانت هناك قاعدة بيانات ضخمة في السماء ودخلتَ إلى الموقع www.heaven.com/disciple ، هل تعلم ماذا يمكن أن يظهر على شاشة حاسوبك؟» فانحنى الجميع إلى الأمام في توقّعٍ بينما كنت أُصلّي بصمت أن يكون الجواب عميقًا بقدر السؤال الذي لم أتوقّع أن أسأله. ثم سمعت نفسي أقول: «أن تكون مسيحيًا بحسب رومية ١٢».

ثم حثّني الروح القدس على أن أطلب منهم أن يغلقوا دفاترهم ويفتحوا الكتاب المقدس على رسالة رومية ١٢. كان هذا أول إصحاح حفظته عن ظهر قلب، منذ أكثر من ثلاثين سنة، أوّل تفسيرٍ مسيحيٍّ درسته، ولقد علّمت من هذا المقطع مرّاتٍ كثيرة في السابق، ولكن ليس كما شاركته معهم.

كانت هذة بداية توجيه اللّه لحياتي كي آخذ كلّ ما فعلته في سنوات خدمتي الخمسة وعشرين وأضرمها حول رغبتي الجامحة – مسألة النضوح الروحي. سترى في ما يلي نظرةً عامةً عما شاركته مع أولئك الرّعاة الأعزّاء وأين سنكون معًا في الأيام القادمة بينما تبدأ في اختبار « الحياة على الحافة».

الملف الشخصي لتلميذ رومية 12 هو ...

- التسليم الكامل للّه (الآية ١)

«فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ.»

- منفصل عن العالم (الآية ٢)

«وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ.»

- صاحٍ وواعٍ في تقييم ذاته (الآيات ٣–٨)

«فَإِنِّي أَقُولُ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي، لِكُلِّ مَنْ هُوَ بَيْنَكُمْ: أَنْ لاَ يَرْتَئِيَ فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَئِيَ، بَلْ يَرْتَئِيَ إِلَى التَّعَقُّلِ، كَمَا قَسَمَ اللهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِقْدَارًا مِنَ الإِيمَانِ.
فَإِنَّهُ كَمَا فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ لَنَا أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَلكِنْ لَيْسَ جَمِيعُ الأَعْضَاءِ لَهَا عَمَلٌ وَاحِدٌ، هكَذَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ: جَسَدٌ وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاءٌ بَعْضًا لِبَعْضٍ، كُلُّ وَاحِدٍ لِلآخَرِ. وَلكِنْ لَنَا مَوَاهِبُ مُخْتَلِفَةٌ بِحَسَبِ النِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَنَا: أَنُبُوَّةٌ فَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الإِيمَانِ، أَمْ خِدْمَةٌ فَفِي الْخِدْمَةِ، أَمِ الْمُعَلِّمُ فَفِي التَّعْلِيمِ، أَمِ الْوَاعِظُ فَفِي الْوَعْظِ، الْمُعْطِي فَبِسَخَاءٍ، الْمُدَبِّرُ فَبِاجْتِهَادٍ، الرَّاحِمُ فَبِسُرُورٍ.»

- يخدم بمحبة (الآيات ٩–١٣)

«اَلْمَحَبَّةُ فَلْتَكُنْ بِلاَ رِيَاءٍ. كُونُوا كَارِهِينَ الشَّرَّ، مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ.وَادِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ، مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكَرَامَةِ.غَيْرَ مُتَكَاسِلِينَ فِي الاجْتِهَادِ، حَارِّينَ فِي الرُّوحِ، عَابِدِينَ الرَّبَّ،فَرِحِينَ فِي الرَّجَاءِ، صَابِرِينَ فِي الضِّيقِ، مُواظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ،مُشْتَرِكِينَ فِي احْتِيَاجَاتِ الْقِدِّيسِينَ، عَاكِفِينَ عَلَى إِضَافَةِ الْغُرَبَاءِ.»

- يغلب الشرّ بالخيرّ بشكلٍ فائقٍ للطبيعة (الآيات ١٤–٢١)

«بَارِكُوا عَلَى الَّذِينَ يَضْطَهِدُونَكُمْ. بَارِكُوا وَلاَ تَلْعَنُوا.فَرَحًا مَعَ الْفَرِحِينَ وَبُكَاءً مَعَ الْبَاكِينَ. مُهْتَمِّينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ اهْتِمَامًا وَاحِدًا، غَيْرَ مُهْتَمِّينَ بِالأُمُورِ الْعَالِيَةِ بَلْ مُنْقَادِينَ إِلَى الْمُتَّضِعِينَ.لاَ تَكُونُوا حُكَمَاءَ عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ. لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ.مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ قُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ.

إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ. لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ،لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ.فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ.»

الصورة الشاملة

يشكّل رومية ١٢ مُلخصًا تنفيذيًا لطبيعة تابع يسوع الناضج بالكامل، ويمثّل هذا الإصحاح جمع الرسول بولس لتعاليم الرب يسوع عن التلمذة.

لاحظ بعناية ما يلي:

١. يتمحور هذا الإصحاح حول العلاقات:

- علاقتك باللّه (الآية ١).
- علاقتك بقيم العالم (الآية ٢).
- علاقتك بنفسك (الآيات ٣–٨).
- علاقتك بالمؤمنين (الآيات ٩–١٣).
- علاقتك بغير المؤمنين (الآيات ١٤–٢١).

٢. يتعلّق الأمر كله بالنعمة. يتبع رومية ١٢ أحد عشر فصلًا تعطي أوضح شرح مفصَّل عن عمل المسيح من أجلنا.

٣. عمليّ وقابل للقياس. يمتلئ رومية ١٢ بأوامر ووصايا محدّدة (ينبغي إتمامها من خلال قوّة الروح القدس) تعطي مقياساً للنضوج في كلّ من العلاقات الخمس المذكورة سابقًا.
وسنسيرُ في الأيام المقبلة عبر هذا المقطع معًا. وستحصل على صورةٍ واضحةٍ عمّا خلقك اللّه من أجله وكيف تتعاون مع عمل تغييره الفائق للطبيعة.

كيف بدأ الأمر معي؟

إنه لأمر جيد دائمًا أن تعلم أنك لست وحيدًا في صراعاتك وشكوكك ومخاوفك وفشلك في بعض الأوقات، لذا دعني أبدأ رحلتنا بقصتي، سأعود باستمرار إلى قصّتي على مدى هذا الكتاب لغرض وحيد هو إظهار كيف يعمل اللّه في مراحل مختلفة من رحلتنا جميعًا.

لم أعِش طفولتي مؤمناً بالمسيح. كنت أظنّ أنني مؤمن به، فقد كنت أذهب إلى الكنيسة مؤمنًا باللّه عقلياً وفكرياً. وعشت في كنف عائلةٍ تتمتع بأخلاق عالية، لكن من دون أدنى علاقة شخصيةٍ باللّه الحي. لم يكن الأمر بسبب تفكيري المنغلق أمام فكرة اللّه، إذ في الحقيقة أستطيع أنْ أتذكر حادثة حصلت معي عندما كنت صبيًا صغيرًا

يُمكنني أن أطلق عليها «اختبارًا إلهيًا» أثّرت في حياتي بشكلٍ غريبٍ ولكنْ لفترةٍ وجيزة.

كنت خادم مذبح في الثامنة أو التاسعة من العمر. كنت أحمل الصليب وأمشي في الممر والكاهن يمشي ورائي عندما يبدأ القداس الاحتفالي. أذكر المبنى الضخم الذي كان في مقدّمته صليب يمتدّ من الأرض حتى السقف محاطاً بزجاجٍ ملوَّن. كانت خدمة الساعة الثامنة صباحاً، ثم اخترقت أشعة الشمس الزجاج وأرسلت انعكاساتها على المذبح، مشيرةً من الخلف إلى قاعدة الصليب. كنت فتى صغيرًا للغاية من دون أيّ فهمٍ لاهوتيٍّ. لكنْ ما إنْ جلستُ للاستماع إلى خدمة القداس وحدّقت في الصليب، حتى توالت في ذهني أفكار لم أكن أفكّر فيها من قبل. ما هي طبيعة الله يا ترى؟ ماذا يريد الله خالق كلّ الكون من حياتي الوحيدة الصغيرة؟

اخترقت هذه الأفكار برفقٍ وعيي بينما تسمّرت عيناي على الضوء الساقط على قاعدة الصليب. كانت المرة الأولى التي أشعر فيها بحضور الله مع الوعي الجديد بأنّه شخصي وحقيقي، كان من الصعب شرح الأمر، لكنني أذكر أنني أخبرت والديّ أنني أريد أن أكون خادم المذبح لخدمة الساعة الثامنة صباحاً كلّ أسبوع من ذلك الوقت. وإذ أتذكر ذلك الأمر، واضحٌ أنّ الروح القدس بدأ يجذب قلبي ويكشف عن حضوره لي على مستوى أستطيع فهمه.

كان الشعور الداخلي بالقبول والحب الذي ملأني جارفًا – إذْ علمت ببداهةٍ أن الأمر مرتبطٌ بما حدث على الصليب. هذا كلّ ما استطعت إدراكه بذهني كصبيٍ في الثامنة من عمره، لكنّه كان قويًا، حقيقيًا، واجتذبني لأعرف وأخدم هذا الإله الذي خلقني.لكنْ من المؤسف أن هذا الشغف الروحي حديث الاكتشاف لم يدم طويلًا. فقد نشأت في كنيسة لا تؤمن بالكتاب المقدس ولا بالعلاقة الشخصية بيسوع المسيح.

كانت الكنيسة جميلة عظيمة ومنظّمة للغاية. كنا نحضر، ونقرأ صلواتنا، ونقول الشيء الملائم، ونتمم واجباتنا الدينية، ثم نعود إلى المنزل. وإنْ قلتُ إنَّ اختباري الكنسي كان جزءاً منفصلاً في حياتي، فإنني أقلّل من قيمة حقيقة هذا الاختبار.

كانت الكنيسة كلّ ما أعلم وكلّ ما أستطيع ملاحظته في منزلي وفي كثيرين من الكبار المهمين. وفي الحقيقة، ما إنْ بلغت سنّ المراهقة حتّى كنت قد حفظت خدمة القداس عن ظهر قلب، وكنت أستطيع أن أحضرها بينما أراجع في عقلي نتائج مباراة كرة القدم من الليلة السابقة. لم يكن ذلك لأن هذه الكنيسة لا تتسم بالوقار والهيبة، بل لأننا كنا مجموعة من المجموعات المتدينة التي تعيش في حالة نكرانٍ تامٍّ لإله الكتاب المقدس، حتّى وإن كنا نستخدم مقاطع من الكتاب المقدس وأشكالًا تاريخية وتقليدية من العبادة لتلبية احتياجاتنا الروحية.

كان الأمر الأكثر إثارةً للاضطراب والقلق لشخصٍ يافعٍ وساذجٍ مثلي انعدام وجود أيّ توقّعٍ أنّ ما أفعله كل أحد سيؤثّر بطريقة حياتي بقية أيّام الأسبوع. عندما أصبحت في سنّ المراهقة،

بدأ النفاق وعدم انسجام اختبار الكنيسة مع الحياة اليومية يرمي بثقله عليّ ويجعلني أتشكّك بحقيقة وجود اللّه.

لقد أردت أن أومن، لكن كلما تقدم بي العمر، كنت أفقد اهتمامي ورغبتي في الانخراط في النشاطات الدينية والتظاهر وقول أمورٍ لا يعيشها أو يؤمن بها أحد. وعندما بلغت سن السادسة عشرة، أذكر جيّداً أنني كنتُ أفكّر في نفسي:

«ليست هذه الأمور الدينية كلها إلا تمويهًا شكلياً يطلب الكبار من الصغار حفظها حتّى نبقى على الخط المستقيم أخلاقيًا إلى أن نكتشف بأنفسنا عندما نكبر كفاية أنه لا وجود لأرنب الفصح و بابا نويل أو حتى للّه.» كان الأمر برمته تمويهًا روحياً مُتقنًا. أحسست بأنني مخدوع ولم يرُقْني الأمر. ولذلك هجرت الكنيسة واللّه، ولم أعتقد أن أيًا منهما قدّم لي مساعدة حقيقية لأجد الهدف والسعادة في الحياة.

تعلّمت، شأني شأن العديد من أبناء جيلي في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات، أنّ السعادة والاكتفاء هما نتاج النجاح. لقد غرس فيّ والدي منذ نعومة أظفاري أهمية وضع أهداف واضحة، ووضع استراتيجية لتحقيقها، ومن ثمّ العمل بجدّ أكثر من الجميع إذا كنت أريد اختبار النجاح والسعادة. من الصعب أن تصبح مخلصًا لعملك لدرجة الإدمان وأنت في الصفّ السّابع، لكنني تمكنت من تحقيق هذا الأمر. وضعت أهدافًا بما يختصّ بالأنشطة الرياضية والمدرسة والفتيات، ومن ثمّ عملت كالمجنون على تحقيقها.

كنت تراني ذاك الفتى المجنون الذي يجرف الثلوج عن الطريق الخاص كي ألعب كرة السلة في منتصف فصل الشتاء. كان حلمي أن أحصل على منحةٍ مدرسية رياضيةٍ في الجامعة وأصبح بطريقةٍ ما مشهوراً وغنيًا وسعيدًا. كنت أعلم أنني ما زلت صغيرًا وأنّ الجامعة ستكون محصورة الفرص بما أحقّقه على المستوى الرياضيّ، ولهذا عملت جاهدًا كي أحصل على علاماتٍ جيّدة تخوّلني للنجاح المستقبلي. وبدا أيضًا أن المال أمرٌ هامٌّ إذا ما كنت جادًا في مسألة النجاح. فما إنْ بلغت الثانية عشرة، حتّى كانت لديّ وظيفتان في توزيع الجرائد اليومية وفي جزّ الأعشاب. واكتشفت طريقةً أُقرض بها أهلي مبلغ ثلاثة آلاف دولارٍ بفائدة تبلغ الستة بالمئة عندما أرادوا شراء قطعة أرضٍ خلف منزلنا.

كانت الحياة محصورة بي وحدي .. بأهدافي وأحلامي ونجاحي الذي سيجعلني يومًا ما مكتفيًا وراضياً وسعيدًا. هذا هو الهدف الذي وضعته نصب عينيّ وسعيت إليه جاهدًا. ثمّ حدث أمرٌ غريبٌ في الليلة التي تخرجت فيها من المدرسة الثانوية. كنت من الأوائل في صفّي، فحصلت على منحة دراسية رياضية في كليةٍ صغيرة للآداب، وحزت على عدد من الجوائز في الطريق. وكانت لديّ صديقة جميلة. ورغم أنني لم أحقق كلّ أهدافي، إلا أنني حققت العديد منها وكنت جاهزًا للانطلاق باتجاه الفصل القادم من حياتي «لتحقيق المجموعة الثانية من أهدافي».

لن أنسى مطلقًا ما حدث معي في الليلة التي تخرجت فيها من المدرسة الثانوية. كانت لحظة روحية حاسمة في حياتي لم أكن أتوقّعها. كنا حوالي عشرين شخصًا جالسين بشكلٍ دائريٍّ في شقّةٍ فارغة نتناوب تدخين لفافة الحشيشة ونتشارك القصص عن المدرسة الثانوية. وعندما حان دوري في تدخين اللفافة، قررت أن أنسحب. لم يكن السبب دينيًا أبدًا، بل كان خوفًا من أن أُدخِل إلى جسمي ما يمكن أن يؤثّر في نجاح مستقبلي الرياضي.

كانت فتاة تدعى جاكي، صديقتي في المدرسة الثانوية، تجلس إلى جانبي. كانت من أوائل الفتيات اللواتي اختبرتُ معهنّ معنى الصداقة الحقيقية ولم يكن لديّ ميول رومانسية تجاهها (نظرًا لضخامة رفيقها وقوّته).

وبسبب صداقتنا، كنّا نتناول الأحاديث العميقة. وكما أذكر، كانت نظرتها ثاقبة. ربما لم تكن تعلم هذا الأمر، ولكنها قالت لي شيئًا في تلك الليلة غيّر لي مجرى حياتي.

«حسنًا، لابدّ أنّك سعيدٌ للغاية هذه الليلة، لقد حققت كلّ ما تريد، لديك منحة دراسية في الجامعة، وصديقة جميلة، وفزت بالعديد من الجوائز، ولديك مستقبلٌ باهرٌ ينتظرك. كيف هو شعورك بأن تكون ناجحًا؟» رغم أنّها قصدت أن يكون الأمر مجاملة، إلا أنني أدركت أنني نادرًا ما أخذت بعض الوقت لأفحص شعوري. وفي تلك اللحظة، كان الشعور بالاكتفاء والسعادة أبعد ما يكونان عني. بل إني شعرت بالفراغ والوحدة وهاجس عدم جدوى كلّ ما حققته.

كنت دائمًا شخصًا منطقيًا للغاية، ولهذا بدأت فورًا بتحليل السيناريو الذي اختبرته. لقد وضعت نصب عينيّ هدفًا واضحًا، عملت بجدّ، وتعلّمت كيف أفتن النّاس لتحقيق مآربي الخاصة، وها قد وصلت أخيرًا إلى النهاية ...

كنت ناجحًا! لكن ما لم أتوقعه هو مدى خواء ذلك النجاح، وبينما كنت عائداً إلى المنزل تلك الليلة، بدأت أحلل الأهداف المستقبلية التي وضعتها في عقلي. قلت لنفسي: «حسنًا. سأذهب إلى الجامعة، وسأصبح محاميًا ناجحًا، وسأكسب الكثير من المال، وسأتزوّج من امرأة جميلة، وسأنجب ثلاثة أولاد جميلين، وسأسكن في الأحياء الراقية، وسأقود سيارةً فخمة، وسأرتدي بزّة بمائتي دولار، وسأصبح قائدًا في مجتمعي – هذه هي صورة النجاح في السنوات العشرة أو الخمسة عشرة القادمة.» ثمّ فكّرت: «سأعمل بجدّ لتحقيق هذه الأمور وسوف ... أشعر بالفراغ التّام كما أشعر الآن. لا بدّ أنّ في الحياة أمورًا أخرى غير هذه.»

قبل أن آوي إلى فراشي تلك الليلة، جلست على سريري ونظرت من نافذة غرفتي. كانت ليلةً ممتلئة بالنجوم السّاطعة. وبدأت بطرح الأسئلة التي لم يسبق أن أخذتها بجدية بما مضى.

«ترى ... لماذا أنا هنا؟ ترى ... ماذا يُفترض أن أفعل في حياتي؟
ترى ... هل اللّه موجودٌ حقًا، وإن كان كذلك، ماذا يريد مني؟»

أتذكر بشكلٍ واضحٍ أني حدقت إلى خارج نافذة غرفتي وصليتُ للمرة الأولى في حياتي صلاة بالغة الصدق: «يا ربّ إن كنت موجودًا حقًا، أظهر نفسك لي. إن كنت حقيقيًا، لا بدّ أنك تملك قوةً كافية لتكشف عن ذاتك لي بطريقةٍ أستطيع فهمها. إن كنت أنت خالق كلّ الأشياء الموجودة وكنت موجودًا حقًا، سأفعل كلّ ما تريدني أن أفعله، ولكن إن لم تكن موجودًا حقًا، إن لم يكن اللّه موجوداً، إن لم يكن ... سأعيش حياتي كالجحيم، أموت يافعًا، وأحصل على كلّ المرح الذي يمكنني عصره من هذا الشيء التافه الذي يُدعى الحياة.»

لم يقدني نجاحي سوى إلى نهاية مسدودة، لقد تحطّم نموذجي الأعلى، النجاح وتحقيق الأهداف الموضوعة (رغم البهجة والسرور خلال العملية) لم يكونا يملكان القدرة على تحقيق السلام أو الهدف في الحياة.

بداية جديدة

بعد بضعة أسابيع من رفعي هذه الصلاة، وجدت نفسي في مخيّمٍ صيفيٍّ تابع لـ«جمعية الرياضيين المسيحيين»، تأخّرُ عملي الصيفي والعرض الذي قدمه لي مُدرّبي بدفع كلّ التكاليف أدى إلى دخولي عالمٍ جديد وغريب. أعطوني كتابًا مقدّسًا وقميصاً قطنياً، ووضعوني في بيئة لم أكن سابقاً أعلم بوجودها. كان الناس يتكلّمون عن اللّه ويسوع كما لو كان شخصًا حقيقيًا.

كان الرياضيون الجامعيون والمحترفون يتكلمون عن علاقتهم بيسوع بنفس طريقة كلامهم عن علاقتهم بزوجاتهم أو أولادهم، ينهض الرجل كلّ صباحٍ ويقرأ مقطعًاً من الكتاب المقدس ويشرحه بطريقةٍ تبدو نوعًا ما مفهومة ومعقولة.

زاولنا الرياضة معظم النهار وامتلأتُ بالعزم والقوة، المرح، الرياضة، الأصالة، الصداقة، والصداقة الحميمة مع رياضيين مرتبطين بعلاقة شخصية بيسوع. كانت أمرًا جديدًا تمامًا بالنسبة لي، ولكي أكون صادقًا، جعلتني اختباراتي الدينية الماضية ممتلئًا بالشك. اعتقدت أن هؤلاء الأشخاص سيحاولون تغييري وتلقيني كي أصبح «مهووسًا بيسوع».

كان من المفترض أن نقرأ في الكتاب المقدس يوميًا، ولكنني ظننت أنّ هذه إحدى طرقهم لغسل دماغي. ولهذا رفضت أن أفتح الكتاب المقدس في الأيام الثلاثة الأولى. ولكن حدث شيء ما، في اليوم الرابع قررت أن أفتح الكتاب المقدس وأنظر على الأقل إلى ما يقوله كوني لم أنكر أبدًا مصداقية هؤلاء الأشخاص ومحبة بعضهم لبعض. كان من الواضح أنهم يملكون شيئًا لا أملكه، وتذكّرت الصلاة التي صليتها سابقًا في غرفتي تلك الليلة بعد تخرجي من المدرسة الثانوية:

«يا رب أرني نفسك بطريقة أستطيع فهمها.»

وهكذا، بسبب ضغط الأقران، كذلك وبدافع من الفضول الحقيقي عندي، فتحت الكتاب المقدس الذي سلّموني إياه بنسخته المبسطة للعهد الجديد، وقرأت ما كُتب في أعلى الصفحة:

> فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِأَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ الله،عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ. وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ،لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ.
>
> رومية ١٢: ١–٢

كنت قد سألت سابقًا هذا السؤال: «إن كان اللّه موجودًا حقًا، ماذا يريد مني أن أفعل؟» لقد افترضت منذ اختباري مع الكنيسة في طفولتي أنّ اللّه يريدني أن أحيا في طاعة لمجموعةٍ من القواعد والوصايا (لم أكن أحب معظمها!). اعتقدتُ أنّه يريدني أن أحضر الاجتماعات الكنسية المملة، حيث لا يصدق الناس أنفسهم ما يقولونه، ومن المؤكد أنهم لا يحيون بحسب ما «يؤمنون» به.

اعتقدت أنها حياة لا تمتّ بصلة لأيّ من الأهداف والأحلام الموجودة في داخلي. وفوق ذلك، لم أكن أعلم ماذا يريد اللّه مني حقًا. ولكنْ بعد مشاهدتي لعدد من محطات التلفزة المسيحية، اعتقدت أنه يسعى إلى أخذ مالي فقط.

اعذروا شكوكي، ونظرتي غير المحترمة إلى اللّه، لكن هذا ما كنت أعتقده حقًا حتّى الوقت الذي ذهبت فيه إلى ذاك المخيم وفتحت الكتاب المقدس بنفسي. والآن، بينما أجلس على مرج الحديقة الصغيرة في جامعة أوهايو مع سبعمئة من الرياضيين، وأقرأ المقطع الذي يجيب عن كلّ الأسئلة التي طرحتها على اللّه سابقًا: «ماذا تريد مني أن أفعل؟» جاءني الجواب : «كلّ ما أريده هو أنت!»

أفهم وأدرك أن رسالة رومية ١٢: ١ ليست مقطعًا خلاصيًا، وأعني بذلك أن هذا المقطع بالتحديد لا يعلّم عن كيفية دخولك في علاقة شخصية بيسوع ونوال الغفران عن خطاياك، لكن اللّه استعمل هذا المقطع ليساعدني على استيعاب ماذا يريد اللّه مني.

لا يريد اللّه النشاطات الدينية، ولا حفظاً لمجموعة من القواعد، ولا أن أكون جنديًا مطيعًا يؤدي وظيفته والمهمّة الموكلة إليه فقط. هو يريد حياتنا وقلوبنا في علاقة شخصية مفرِحة به.

وفي قت لاحق من ذاك الأسبوع، استطعت سماع بشارة إنجيل يسوع المسيح المُفرِحة، استطعت فهم أنني لا أستطيع أن أفعل أيّ شيءٍ بنفسي لأحصل على نعمة اللّه وقبوله، بل المسيح الذي مات من أجلي وصُلِب عنّي لمغفرة خطاياي فعل كلّ شيء، وهذه العطية المجانية لا يمكن نوالها إلا بالإيمان.

لم أفهم حينها الكثير، ولكنني فهمت حاجتي الملحّة لمخلّص والتعليم الواضح من الكتاب المقدس أنّ المسيح سدّ دين خطايانا مرّةً واحدة وإلى الأبد.

«لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ.»
أفسس ٢: ٨-٩

ومؤسف أنّ ما تحدّثتُ عنه للتوّ (بشارة الإنجيل) يصبح في كتبٍ كثيرة وخدماتٍ كنسية كثيرة ليس فقط بداية الرسالة، بل ونهايتها أيضاً. إذ تم تعليم معظم المسيحيين أن هدف الحياة هو أن تعرف المسيح شخصيًا، وتخلُص، وتكون صالحًا، ثم تساعد الآخرين في أن «ينالوا الخلاص». وقبل أن يمضي وقت طويل يصبحون جزءًا من الماكينة الدينية التي تهدف أساسًا إلى مساعدة المزيد من الناس على دخول ملكوت الله.

لا تسيئوا فهمي: التبشير مهمٌّ جدًا، فقيادة الكثيرين إلى معرفة المسيح هو في قائمة الأولويات عند الله. ولكن الجزء الآخر من الرسالة تمّ إهماله بشدّة، وهو ذلك الجزء الذي يتكلّم عن فكر الله وخطته في أن تُصبح ابنًا / ابنة عزيزًا في عينيه وتحيا في اتّحاد عميقٍ معه.

فكر الله وخطته لكلّ أولاده أمر لا يتعلّق بحفظ القواعد والقوانين أو النشاطات الدينية، بل بالعلاقة به. ليس توق الله إلى أدائنا الديني، بل إلى تعلُّمنا كيف نحيا بالنعمة والقبول اللذين لدينا أصلاً.

إن هدف الله الأساسي هو أن نصبح أكثر فأكثر مشابهين لابنه كي نحبّه ونستمتع به وبالآخرين كما يحبهم هو.

هذه الحياة متاحة لك، لقد تذوقتُها بنفسي وشاهدتُ أعدادًا لا تحصى من الأشخاص العاديين مثلي ومثلك يختبرونها. ورغبتي القوية هي أن تتجرّأ وتخرج إلى حواف الحياة الدراماتيكية والمثيرة، إلى حالة الانسجام والتوافق مع الله، وتشعر بأنك ممتلئ بالحيوية والهدف.

ومع أنّ الحافة مخيفة في كثيرٍ من الأوقات، فإنّ هذه الحياة ممتلئة بالشغف والحماسة والمغامرات والمكافآت. فاربط أحزمتك الروحية بينما ننطلق في هذه الرحلة التي ستقودك إلى الحافّة.

الروحانية الصحيحة

عيش الحياة المسيحية بحسب رومية ١٢

الجزء الأوّل

كيف نعطي اللّه ما يريده منا أكثر من أي شيء آخر

التسليم لمشيئة اللَّه

رومية ١٢: ١

يمكن أن تتغيّر نظرة الجنس البشري كاملاً إن استطعنا جميعاً أن نؤمن بأننا نعيش تحت سماء صديقة وودودة، وأن إله السماء، المجيد في قوّته وجلاله، يتوق لأن يكون صديقاً لنا.

– A.W. Tozer

الفصل الأوّل

ماذا يريد اللّه منك حقًّا؟

تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ.[1]

- يسوع الناصري

حسنًا، كنت أودّ القول إن حياتي قد تغيّرت بالكامل، وأني وضعت مشكلاتي خلفي، وأن علاقتي الجديدة بالمسيح هي حياة انتصارات مستمرّة لا تُعَدّ ولا تحصى، لكن لا يسعني ذلك. لقد تغيرت حياتي بالفعل، لقد غيّر اللّه قلبي جذريًا وزرع في داخلي مجموعة جديدة من الرغبات، لم يخبرني أحد أنّ عليّ أن أقرأ الكتاب المقدس، لكنني لم أكن أستطيع أن أتركه من يدي. فكنت أقرأ فيه صباحَ مساء مع شعور يرافقني بأنّ اللّه الحيّ يتكلّم إليّ من خلاله.

لم يجبرني أحد على أن أفعل هذا الأمر، لكن اللّه بطريقة ما غيّر رغباتي... فالخطيئة التي استمتعت بها يومًا أصبحت مُنفرة، وامتلأ قلبي بالسّلام وفمي بالترانيم. أصبحتُ حرًا، وامتلأت بالرغبة بأن أتحدّث عن الحب الذي أختبره إلى كلّ الناس.

حياةٌ جديدة / صراعات جديدة

لكنّ حياتي الجديدة جلبت معها صراعات جديدة. فمع أنّ بعض الخطايا تبخّرت بسرعة، بدا أن بعضها الآخر لا يمكن التغلّب عليه. كنت محظوظًا بدخول بعض المؤمنين الناضجين بالمسيح إلى حياتي بعد اختباري نعمة المسيح المغيّرة بفترةٍ قصيرة حيث درّبوني على كيفية عيش الحياة المسيحية. بدأت قليلاً فقليلاً أعرف اللّه أكثر وأفهم كلمته، فكان يكلّمني ويلمس قلبي، كانت الأيام الأولى ممتلئة بسعادة لم أختبرها من قبل، وكانت الاختبارات اللاحقة رائعة بشكل لم أتصوّره سابقاً.

١ متّى ١١ : ٢٨

بينما كنت أقرأ العهد الجديد من الكتاب المقدس كلّ صباح وأتكلّم مع الله عن الدّراسة، وكرة السلة، والفتيات، سرعان ما تعلّمت أنّ نظرته إلى كيفية عيشي حياتي مختلفة قليلًا عن نظرتي أنا لهذا الأمر. مؤكّد أن يسوع كان مخلّصي، لكنه كان أبعد من أن يكون ربًّا على حياتي.

كنت أنمو مع الرب، لكنني كنت مرتبكاً ومشوَّشاً. كنت أشعر ببهجة كبيرة بهذه العلاقة بيسوع ولكنني لم أكن أحبّ أن يملي عليّ أحد ما أعمل.ومن دون وعي بدأت بتجزئة إيماني (كما لاحظت في الكنيسة في حداثتي) وأخذت أساوم على وصايا الله. فالتزمت بما أعجبني وبدا لي مقبولًا وأطعته، وأمّا ما لم يعجبني ويبدُ مقبولًا فقد قررت تجاهله.

بينما أنظر إلى الماضي الآن، أدرك أنّها كانت طريقةً ملتويةً للعيش. كنت أقرأ كتابي المقدس في الصباح وأمضي وقتًا رائعًا مع الله لأختبر فيما بعد النّدم العظيم والشعور بالذنب حيال أمورٍ أفعلها لاحقاً في ذلك اليوم تُحزن الروح القدس الساكن فيّ. كنت أتطلّع بشوق إلى دراسة الكتاب المقدس كلّ ليلة خميس، حيث تحتشد خدمة داخل الحرم الجامعي في غرفة معيشة ضيقة للترنيم والمشاركات القلبية

واختبار حضور الله بيننا بشكلٍ مجيد ورائع. وفي ليالي الجمعة والسبت، كنا نجمع أنفسنا أنا ولاعبي كرة السلة ونذهب إلى كلّ حانة في مدينة ويلنغ، فرجينيا الغربية (Wheeling, West Virginia). كنت صاحب المهارات الاجتماعية، لذا تمّ تعييني كمعرّف رسمي عن الفتيات الجميلات. وغالبًا ما كنّا نعود في ساعات الصباح الأولى، فأفوّت موعد الكنيسة، وأشعر بالذنب، وأسأل المغفرة من الله، وأنال الغفران، وأتابع هذه الحياة المزدوجة. كنت بائسًا، مع أنني لم أُظهِر هذا الأمر، ومع مرور الوقت، بدأ فرح الرّب يخبو إذ دنّست ضميري باستمرار. وحتّى الخطيئة التي استمتعت بها سابقًا فقدت قدرتها على إعطائي شعور الاكتفاء، فكان يصاحبها دوماً إحساس الذنب والعار – حيث إن الروح القدس كان ساكناً فيّ. بعد مرور حوالي سنتين ونصف السنة من مسيرتي مع المسيح، جعلني الله أعيد النّظر في هذين السؤالين:

«ماذا يريدني الله حقًا أن أفعل أكثر من أي شيء آخر؟
وكيف أقدّم له هذا الأمر؟»

جعلني هذان ال سؤالان أعيد النظر جديًا في علاقتي بالله الحيّ.

إعطاء الله ما يريده حقًا

بينما كنت أقرأ يومًا في الكتاب المقدّس مع مجموعة من الشبان في مثل سنّي، أدركت أن حياتي المجزأة المزدوجة لم تكن قط ما قصد الله لها. كان يريدني أنا – بالكامل !ولا يمكن الإحساس بهذا السلطان المفقود وغياب الفرح إلا عند فهم الحقيقة

الموجودة في رومية ١٢: ١ وتطبيقها، وعندئذٍ فقط يمكنني أن أتعلّم كيف أخضع لمشيئته. أرادني اللّه أن أخضع بالكامل له وأن أُعطيه كاملَ كياني أراد أن يكون له في قلبي نفس المكان الذي يحتله في الكون كسيّد أوحد. كان يريد مني أن أومن وأثق بأنّه صالح ومنعم ومحبّ وأن أعهد إليه بكلّ ما لديّ، موقناً بأن مشيئته لي هي الصالحة دومًا.

كان يريدني أن آتي إليه بكفّين مفتوحتين وأضع أحلامي ومستقبلي وصديقتي ومسيرتي في رياضة كرة السلة وتعليمي بين يديه. كان يريدني أن آتي بكلّ ما لديَّ وأضعه أمامه كي يملك على قلبي كما يملك على الكون. لا يمكنني أن أصف لكم عِظَمَ الصراع الذي اختبرته إلى أن وصلت إلى مكان الخضوع والاستسلام للّه، كانت نظرتي إلى اللّه مشوهة إلى درجة أني اعتقدت أن خضوعي واستسلامي بالكامل له يعني نهاية لكلّ الأمور الثمينة عندي.

كان التسليم والخوف كلمتين مترادفتين في ذهني وقلبي، كنت أعزباً، ومؤكّدٌ أني أردتُ أن أتزوج يومًا ما. لكنني كنت أظنّ أنّي إذا خضعت واستسلمت للّه، فقد يطلب منّي أن أبقى أعزباً فأصبح تعيسًا كلّ حياتي. أو الأسوأ من ذلك أنّه قد يقودني إلى أن أتزوج بامرأةٍ قبيحة لا أريدها ولا أريد أن أكون معها. إن خضعت واستسلمت له، فقد يطلب مني أن أترك كرة السلة ويرسلني إلى أرضٍ غريبة لأكون مرسلاً فيها.

إن خضعت واستسلمت بالكامل له، فقد يطلب منّي أن أغيّر اختصاصي التعليمي وأذهب ربما لدراسة اختصاصٍ لا أحبّه. أصبحت في ذهني قضية الخضوع والتسليم بالكامل للّه ذات أهميّةٍ قصوى. إذ أنظر إلى ما مضى الآن، أرى أن سوء فهمي لطبيعة اللّه، ومبدأ الخضوع والتسليم الكامل له، قدّر لي أن أكون مثقفًا وجدانياً وتابعًا ليسوع – الأمر الذي طالما كرهته حين كنتَ صغيراً.

أردت أن نبدأ رحلتنا معًا بمشاركة قصة صراعي مع الحياة المسيحية، لأنّه وبحسب خبرتي الشخصية وأفضل الأبحاث، فإن غالبية المؤمنين بالمسيح حول العالم تعيش في غياهب هذا الظلام العظيم.والمؤمنون الذين يعرفون اللّه ومحبته، ومع ذلك لا يختبرون فرحه وسلطانه وحضوره هم بعيدون كلّ البعد عن إدراك توق اللّه إليهم بأن يختبروه ويعرفوه أكثر. إن أتعبتك كل القوانين، والصيغ والنشاطات الدينية، وحتى برامج الكنيسة حسنة النية التي تعدك بالتغيير ولكنّها لا تحرّرك، فإني أدعوك إلى أن تشاركني في رحلة النعمة والإيمان، والعلاقة الشخصية التي تقودك إلى التغيير الأصيل. وسنتعلّم معًا كيف يكون تابع يسوع الأصيل، وكيف تستطيع بنعمته وقوته أن تعيش حياةً جديدة ثوريّة وفياضة.

> أن سوء فهمي لطبيعة الله ومبدأ الخضوع والتسليم الكامل له قدّر لي أن أكون مثقفًا وجدانياً وتابعًا ليسوع – الأمر الذي طالما كرهته حين كنتَ صغيراً.

كي يحدث هذا الأمر، عليك بالمشاركة الفعلية، فقراءة الكتاب المقدس وحتى الموافقة معه على ما يعمله لا تجعل حياتك الروحية تتغير. لذا وعند نهاية كلّ فصلٍ من هذا الكتاب سأزوّدك بأسئلة مفتاحية، وواجبات، ومصادر لمساعدتك في معالجة وتطبيق ما يقوله الله لك. سأستعمل عبارة **«ثق بي»** (TRUST ME) للتذكير بأنّ ما يُرضي الله أكثر من أي شيء آخر هو إيماننا:

«وَلكِنْ بِدُونِ إِيمَانٍ لاَ يُمْكِنُ إِرْضَاؤُهُ، لأَنَّهُ يَجِبُ أَنَّ الَّذِي يَأْتِي إِلَى اللهِ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ، وَأَنَّهُ يُجَازِي الَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ»

عبرانيين ١١: ٦

ستكون معرّضاً لأن ترى رومية ١٢ باعتبارها «مقياس التّلمذة» الذي ينبغي لك تحقيقه، بدلًا من كونه شرحاً لما يريد المسيح أن يصنعه في قلبك وعلاقتك به من خلال نعمته وسلطانه.

لا أريدك أن تشعر بأنك مجبرٌ على الإجابة عن كلّ الأسئلة المطروحة في نهاية كلّ فصل أو أن تتمّم كل الواجبات. هذه الأسئلة والواجبات موجودةٌ لمساعدتك على سماع صوت الله، والتغلّب على العوائق الشّائعة، والتعاون مع عمل الروح القدس في قلبك – وليس لتكوّن قائمة جديدة بالأمور الواجب عليك فعلها.

فالسؤال الأكثر أهمية الذي يمكنك طرحه في نهاية كلّ فصل (وفي كلّ الظروف) هو:

«ما هي الثقة بالله؟ ما هي الثقة بالله في ضوء ما قرأته للتّو؟
كيف تظهر الثقة بالله في عملي، علاقاتي، مستقبلي، إلخ....؟»

«ثق بي» (TRUST ME) ستقودك من خلال عملية موجّهةٍ بالنعمة إلى مساعدتك على سماع ما يقوله الله لك. لنبدأ في الفصل الأول بالتسليم الكامل لله.

إنّها خطوتك الخاصة– أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢

يتوق الله إلى أن يتكلّم شخصيًا معك. خذ دقيقتين من وقتك واقرأ على مهل أسئلة واقتراحات **«ثق بي»** (TRUST ME) للنمو الروحي،

ثمّ اجلس بهدوء لثلاث دقائق واسأل الله: أيٌّ من هذه الأسئلة والاقتراحات قد يؤمّن لك سبيلاً يقوّيك ويُشجّعك؟

لا تشعر بأنّك مجبرٌ على أن تجيب عن كلّ الأسئلة المطروحة أو القيام بكلّ الأعمال المقترحة. فاستمع فقط إلى الروح القدس واتبع قيادته لك.

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

أيّ جزءٍ من صراعي مع الخضوع والاستسلام للّه في هذا الفصل لمس قلبك؟

تأمّل (Reflect)

لماذا تظن أن هذا الجانب من قصتي لقيَ صدى في قلبك؟

افهم (Understand)

بم يتكلم اللّه إلى قلبك الآن؟ أأنت خائف؟ أتشعر بالإدانة؟ بالراحة لأنك علمت أن أشخاصًا غيرك لديهم نفس الصراعات؟

سلّم (Surrender)

خذ دقيقة من وقتك وأخبر اللّه ببساطة كيف تشعر، تحدّث إليه عن مخاوفك، وارتياحك، وصراعك الصادق معه. أخبره أنك تريد أن تتعلم أكثر وتريد مساعدته لك كي تفهم حقًا معنى الخضوع والاستسلام الكامل له.

اتخذ إجراء (Take Action)

قرر متى تبدأ قراءة الفصل التالي كي تسمع ما في فكر وقلب اللّه بما يخص الخضوع والتسليم الكامل له.

الدافع (Motivation)

حدد وقتًا للاستماع إلى الرسالة الصوتية والمرئية على الموقع:
www.levantmedia.com/TS

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

خذ دقيقة صلِّ فيها من أجل شخصٍ يمرّ بصراعٍ في رحلة الخضوع والتسليم الكامل للّه.

الفصل الثاني

لماذا يَصْعُبُ عليك أن تسلّم للّه بالكامل؟

اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ.[٢]

- يسوع الناصري

قرأت مؤخّرًا كتابًا ألّفه أستاذ في القانون من جامعة ييل (Yale University) عنوانه «المخاطر، والتحليل وعملية أخذ القرار» (Risk, Reason and the Decision–Making Process)[٣].

يتألّف الكتاب من مجموعة دراساتٍ لحالاتٍ تُستخدَم في كليّة هارفارد لإدارة الأعمال وتكنولوجيا إدارة الأعمال، ورغم أن هذا المصدر ليس دينيّاً أو لاهوتيّاً، فإنّ هذا الكتاب يؤمّن رؤية غير اعتيادية لموضوع الخضوع والتسليم الكامل في ما يختصّ باتخاذ القرارات المصيرية المتعلّقة بالحياة والعلاقات.

دعوني أشارك معكم بعض هذه الحالات المهمّة بينما نفكّر باتخاذ القرارات الحكيمة في علاقاتنا باللّه وبالآخرين.

٢ متى ١١ : ٢٩

٣ هذا الكتاب خيالي. لقد ابتدعتُ قصصه كأمثال تناسب حياتنا الحالية كي تساعدنا على إعادة تقويم نظرتنا بشأن الالتزام والتسليم بالكامل كما فعل يسوع في متى ١٣ : ٤٤–٤٥. لكن كل القصص والكتب الأخرى تاريخية وحقيقية.

الحالة الدراسية -١-

جون مهندسٌ في الثانية والثلاثين من العمر، ويحب الذهاب إلى مبيعات العقارات، ويبحث عن الأثاث الأثري وغيره من الأشياء الثمينة. وجد نفسه ذات عطلة نهاية أسبوع في محلٍّ لبيع العقارات في الجزء الجنوبي من الولايات المتحدة الأميركية، كانت كل القطع في ذلك المنزل تباع بنفس الثمن.

كان الزوار يتنقلون من طابقٍ لآخر، ويتفقدون القطع الأثرية المختلفة ويدرسون العرض المقدّم بإمكانية شراء كل محتويات المنزل دفعةً واحدة لمن يرغب. وبعد أن بحث جون لبعض الوقع على الإنترنت، قرر أن السعر الأنسب لشراء محتويات المنزل ككل كان حوالي خمسة وتسعين ألف دولار أميركي.

كان البيت قديمًا وفي حالةٍ مزرية، ودل الفن المعماري والقطع الأثرية المبعثرة على أن هذا البيت قد تمّ تشييده خلال فترة الحرب الأهلية. وكان جون ضليعًا في دراسة التاريخ لعدة سنوات، وميّز أن مجموعة بنادق فيه تعود إلى تلك الحقبة الزمنية عينها.

وبينما كان يكمل بحثه، تابع النزول إلى قبو المنزل الذي كان رطباً. أخذ مصباحًا للجيب وبدأ يتنقّل بين القطع الموجودة. رأى مكتبًا قديمًا في الزاوية تغطيه شباك العنكبوت. وبينما أخذ يفحص هذا المكتب، وجد جارورًا مخفيًا وفي داخله محفظة جلدية.

بدأ قلب جون يخفق بقوة وضغط دمه يرتفع بينما أخذ يفكّر بنوعية الكنز الموجود بين يديه، فلم يصب بخيبة الأمل، فتح المحفظة ووجد في داخلها اثنتين وعشرين قطعة ذهبية نادرة ممهورة بختم الكونفيدرالية التابعة لزمن الحرب الأهلية. وبحسب علمه، فإن هذه القطع تساوي ملايين الدولارات.

الآن ينبغي عليه اتخاذ قرار، ماذا سيفعل؟ لديه مدّخرات بقيمة عشرة آلاف دولار، فإن استطاع بيع سيارته، وبيته وكلّ ما يملك، يستطيع تجميع مبلغ الخمسة والتسعين ألف دولارٍ المطلوبة. فماذا عليه أن يفعل؟

الحالة الدراسية -٢-

شيلا أستاذة فنون في كلية صغيرة في منطقة الغرب الأوسط في أمريكا، كانت خلال فترة سفرها إلى أوروبا في فصل الصيف تبحث عن لوحات فنية تستطيع شراءها لتضمَّها إلى مجموعتها، وبينما كانت يومًا في قريةٍ صغيرة في جنوبي فرنسا، ذهبت إلى مزاد علني، ورأت لوحةً تشبه إلى حدٍّ كبير لوحات بيكاسو الأصلية، كانت نسخة طبق الأصل

مذهلة ولكن الأشخاص الموجودين في المزاد أخبروها أنّ هذه اللوحة ليست أصلية. لم تكن سوى نسخة غير عادية لعمل بيكاسو لأنّ التوقيع أسفل اللوحة لا يُشابه توقيع بيكاسو في أعماله الأخرى.

سحبت شيلا عدسة مُكبّرة كانت معها وبدأت بتفحّص اللوحة بعناية، مدركةً أنّها قد تكون أمام لوحة أصلية نادرة الوجود، فقد تعلّمت من خلال دراستها أن أعمال بيكاسو الأولى كانت تحمل توقيعًا مخربشًا بأحرف اسمه الأولى، غيّر بيكاسو هذا التوقيع بعد أوّل سنة عملٍ له، فبدأ يوقّع اسمه كاملًا على لوحاته. فإن كان الأمر صحيحًا، فإنها تقف أمام لوحةٍ أصليةٍ لا تقدّر بثمن.

كان السعر على البطاقة خمسة وعشرين ألف دولارٍ أميركيٍّ، وهو مبلغٌ كبيرٌ بالنسبة لها. ولكن كانت هذه لوحةً أصليّةً فعلًا لبيكاسو وواحدة من أصل لوحتين أو ثلاث تمّ توقيعها بتلك الطريقة، ما يعني أنّها أمام لوحةٍ نادرةٍ تساوي الملايين. فماذا عليها أن تفعل؟

كان مبلغ الخمسة والعشرين ألف دولارٍ أميركي مبلغاً هائلاً بالنسبة لميزانية شيلا، لكن قلبها بدأ بالتسارع وعقلها يحسب بسرعة: ماذا يمكنها أن تجني من بيع مجموعتها الكاملة لتستطيع دفع ثمن هذه اللوحة الأصلية. كانت تقف على مفترق طرق. كان بإمكانها بيع كامل مجموعتها فتصبح مليونيرة على الفور، أو تبيع كامل مجموعتها لتكتشف بعدها أنّ هذه اللوحة هي فقط نسخة مطابقة، فماذا عليها أن تفعل؟

للإجابة عن هذا السؤال، يجب على المرء أن يوازن بين المخاطرة والمكافأة لأيّ قرارٍ سيُتّخذ.

طُلب إلى عددٍ من تلامذة كلية إدارة الأعمال في هارفارد أن يدرسوا هاتين الحالتين بناءً على الأسئلة التّالية:

١ – ما هي المخاطر؟

٢– ما هي المكافآت والمكاسب المحتملة؟

٣– ماذا كنتَ أنت لتفعل لو كنت في مكانها؟

٤– لماذا؟

المخاطر مقابل المكافآت

تتضمن القضية الرئيسية في كلتا الحالتين الدراسيتين عوامل تُعدُّ بالغة الأهمية للتحديد والتطبيق من أجل اتخاذ القرار الحكيم. يركّز العامل الأوّل والأهم على موضوع الحقيقة أو الأصالة – شرعية الاكتشاف، فإن كانت القطع الذهبية أصلية فعلًا، شأنها شأن اللوحة الفنية

فستكون قمة الغباء ألّا يفعل كلٌّ من جون وشيلا المستحيل لابتياعهما.ويتمحور العامل الثاني حول موضوع المعرفة. يمتلك كلٌّ من جون وشيلا المعرفة التي يفتقر إليها الآخرون.

كان جون مهووساً بدراسة التاريخ، ولهذا كان قادرًا على التعرّف على البنادق وبعض القطع الأثرية في المنزل كونها من حقبة الحرب الأهلية. وساعدته معرفته وأبحاثه في أن يدرك أن قطع النقود قد صُكّت في الأيام الأولى للحكم الكونفيدرالي قبل أن تصدر العملة الورقية.

وبطريقة مماثلة، ساعدت خلفية شيلا الثقافية على اكتشاف هذا الصيد النادر، إذ درست كمعلّمة فنون لا أعمال بيكاسو فقط ، بل حياة بيكاسو نفسه أيضًا، وقد ميّزتها هذه الثقافة والمعرفة عن باقي المراقبين. وتتطلّب القرارات الكبيرة دومًا معرفة شاملة بالموضوع المطروح لتبيان أصالته وتقييم مستوى المخاطرة التي ينبغي لها أن تخوضها.

وعلى كلٌّ من جون وشيلا أن يسأل ويجيب عن السؤال التالي:

«هل الأمر صحيح؟ هل حقًا ما لديّ هو العمل الفني المميز أو قطع النقود النادرة التي تساوي الملايين، أم أني على خطأ؟» في هذه الحالات الخاصة، سمحت لهما معرفتهما وخلفيتهما الفريدتان بتبيان الأصيل بدرجة احتمال كبيرة.

والعامل الثالث هو الإيمان والشجاعة. إن اعتقادك أن ما لديك هو لوحةٌ أصلية لبيكاسو شيء، وبيع كلّ مجموعتك الفنية لتشتري هذه اللوحة شيء آخر. وينطبق الأمر نفسه على حالة جون. فاعتقادك أن هذه القطع النقدية حقيقية أمر، وبيع منزلك وسيارتك وبوليصة التأمين على الحياة أمرٌ يختلف كثيرًا عن الاعتقاد الفكري.

أعتقد أنّ من الواضح أن هاتين الحالتين الدراسيتين ستولّدان كثيرًا من المناقشات الممتازة حول موضوع المخاطر، والمكافآت، وعملية صنع القرار. وسأعود إلى هاتين الحالتين الدراسيتين فيما بعد، لكن الآن دعونا نُلقِ نظرةً على الحالة الدراسية التالية.

الحالة الدراسية –٣–

تتعلّق هذه الحالة الدراسية بكنزٍ قديمٍ. تقول القصة ما يلي:

> أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ كَنْزًا مُخْفىً فِي حَقْل، وَجَدَهُ إِنْسَانٌ فَأَخْفَاهُ.وَمِنْ فَرَحِهِ مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَى ذلِكَ الْحَقْلَ.أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا تَاجِرًا يَطْلُبُ لآلِئَ حَسَنَةً، فَلَمَّا وَجَدَ لُؤْلُؤَةً وَاحِدَةً كَثِيرَةَ الثَّمَنِ، مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَاهَا.
>
> – يسوع الناصري، في متى ١٣: ٤٤–٤٦

عرض يسوع هذه الحالة الدراسية القديمة ليشرح ملكوت السماوات، يُصوّر لنا في هذه القِصّة وضعًا مألوفاً في تلك الأيام. حينها لم توجد مصارف أو صناديق أمانات، بل كان المرء يأخذ أمواله النقدية ويخبئها في الحقل لحفظها. وغالبًا ما كان الشخص صاحب المال يموت من دون أن يعلم أقرباؤه بمكان وجود الكنز.

لقد كان مألوفاً أن يجد المرء كنز شخصٍ آخر مدفونًا في الحقل. وفي هذه الحالة بالذات، كان تفسير يسوع للأمر مكوّناً من أربعة أجزاء:

الأول: وجد الرجل كنزًا ثمينًا،

الثّاني: خبّأ الكنز،

الثالث: كان مغموراً من الفرح،

الرّابع: باع كل ممتلكاته ليحصل على الكنز.

وكما هي الحال في معظم قصائد العبرانيين وتفكيرهم، فقد أُعطيت القصة الثّانية لبرهنة نفس النقطة لكن باستخدام تفاصيل مختلفة، مع التركيز على المبدأ نفسه. تؤكّد قصة التاجر واللؤلؤة كثيرة الثمن طريقة العيش في ملكوت اللّه. نرى في كلتا القصتين اللتين حكاهما يسوع صورة عن التضحية المتهورة والتخلّي الجامح عن كنز الإنسان الذي بين يديه للحصول على ما هو أكثر قيمة. وبعيدًا عن صورة نبذ التضحية البشرية، نجد هنا صورة إعادة التقييم والمكافأة.

إذًا، ما هو القاسم المشترك بين هذه الحالات الدراسية الثلاث؟ حسنًا، دعني أخبرك أن القطع النقدية كانت أصلية، وأن صاحبنا المهندس جون أصبح ثريًا بشكلٍ غير اعتيادي. وفي سياق مشابه، كان لدى شيلا الإيمان والشجاعة لأن تتبع حدسها، وها هي اليوم تملك إحدى أندر اللوحات المكتشفة لبيكاسو. ما زالت تدرّس في الكلية، لكنها أصبحت أكثر راحة ماديًا طوال حياتها.

قبل أن نبدأ بتفحص الحالة الدراسية التي أعطاها يسوع عن الكنز المخبّأ في الحقل، دعني أسألك بعض الأسئلة الهامّة: «هل شعرت بالشفقة على جون وشيلا بعد بيعهما كلّ شيء؟» فقد باع جون كلّ ما يملكه، وشيلا قدّمت كلّ مجموعتها الفنية ومدخراتها. «هل أنت مُعجب بهما كشخصين فاضلين يستحقّان المديح؟»

قد تسأل نفسك عن سبب طرح هذا السؤال. وسأجيب عن تساؤلك بعد قليل. أفترض أنّك مثلي، قد تسأل في قرارة نفسك: ما الذي يدفعني إلى الاعتقاد أنّهما فاضلان ويستحقّان المديح؟ هما في حقيقة الأمر ذكيان.

وعندما أقرأ قصة جون وشيلا، فإن الأمر الوحيد الذي يخطر ببالي هو أنني أتمنّى لو كنت جون أو شيلا وأعلم ما يعلمانه وأحصل على ما حصلا عليه. بكلماتٍ أخرى، لا أعتقد أنّهما أتقى أو أفضل منّي، لكنّني أعتقد أنّهما ذكيان، ومطلعان، ولديهما الشجاعة الكافية للمغامرة كي يحصلا على الجائزة الكبرى.

والآن، ومع أخذ ذلك بعين الاعتبار، أريدك أن تلقي نظرة مجددًا على الحالة الدراسية التي قدّمها يسوع لمستمعيه في القرن الأوّل. يشرح لنا فيها كيف تسير حياتنا مع اللّه- كيف نحصل على الأفضل مع اللّه وكيف نكتسب هذه الحياة الفياضة والفرح الذي كثيراً ما يتكلّم المؤمنون بالمسيح عنها. تعلّمنا الحالة الدراسية التي قدّمها يسوع ما يلي: إنّ الالتزام الكامل هو القناة التي نحصل بوساطتها على تدفق أفضل وأكبر للبركات الإلهية.

التزام/ تسليم

أنا أستعمل تعبير «الالتزام الكامل» لأنه أسهل للفهم من كلمة «تسليم». يقول الالتزام الكامل: «عندما أدرك عمل اللّه لأجلي، وطبيعة اللّه وحقيقته، والكيفية التي بها هيّأ لي هذه الحياة الجديدة (التي لا أراها)، سأتخلى تلقائيًا عن كلّ شيء وأيّ شيء لأحصل بالمقابل على الحياة الأبدية الرائعة والغنية والمجزية التي يقدّمها لي.» إنّها ليست مسألة تخلٍّ، بل هي بالأحرى مسألة إعادة تقييم.لذا غالبًا ما تترافق كلمة «تسليم» مع ما سنضحي به بدلًا مما سنحصل عليه بالمقابل.

> إنّ الالتزام الكامل هو القناة التي نحصل بوساطتها على تدفق أفضل وأكبر للبركات الإلهية.

في سنواتي الأولى مع المسيح كان تعبيرا «تسليم» و«التزام كامل» يستحضران مفاهيم التضحية والتخلي وتجنّب فقدان ما هو هامّ بالنسبة لي. وأنا مقتنع بأنّ معظم المؤمنين بالمسيح «يماطلون» بالإيمان عندما يطالَبون بالالتزام الكامل، أو يرون أنّ الأمر شاقّ عليهم وصعب الوصول إليه. ويماطل بعض المؤمنين الآخرين- حَسَني النية لأنهم لم يتلقّوا تعليمًا يُخبرهم أنّ الخضوع والتسليم الكامل للّه هو ما يطلبه يسوع من كلّ أتباعه من دون استثناء.

وفي سعينا إلى الحفاظ على الانسجام مع الثقافة الاجتماعية وجعل الأشخاص أكثر راحة في الكنيسة، أُبطلت هذه التعاليم وتوقّف الوعظ عنها.

ليس التسليم أو الاستسلام كلمة سيئة. وليس الالتزام الكامل حكرًا على الأبطال الروحيين، والرعاة، والمبشرين، وأولئك «الأكثر روحانيّةً» من الناس العاديّين مثلي ومثلك.

فالالتزام الكامل هو القناة التي نحصل بوساطتها على تدفق أفضل وأكبر بركات اللّه. وسأساعدك في الفصل القادم على إعادة التفكير بالمعنى الحقيقي للتسليم الكامل للّه كي تقدّم له ما يريده منك حقّاً وتأخذ منه أفضل ما لديه!

إنّها خطوتك الخاصة – أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢

يتوق اللّه إلى أن يتكلّم شخصيًا معك، خذ دقيقتين من وقتك واقرأ على مهل أسئلة واقتراحات «ثق بي» للنمو الروحي. ثمّ اجلس بهدوء مدّة ثلاث دقائق واسأل اللّه: «أيّ من هذه الأسئلة والاقتراحات قد يؤمّن لي دربًا يقوّيني ويُشجّعني.»

لا تشعر بأنّك مجبرٌ على أن تجيب عن كلّ الأسئلة المطروحة أو القيام بكلّ الأعمال المقترحة. بل استمع فقط إلى الروح القدس واتبع قيادته لك.

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

ما هي الرسالة الرئيسية لهذا الفصل؟

تأمّل (Reflect)

كيف كنت تنظر في السابق إلى كلمتي «تسليم» أو« الالتزام الكامل»؟

افهم (Understand)

كيف ساعدتك قصتا جون وشيلا على إعادة صياغة وفهم كلمة «تسليم» في فكرك؟

سلّم (Surrender)

أخبر اللّه عن مخاوفك حول الأمور التي ستخسرها إن خضعت له بالكامل.

اتخذ إجراء (Take Action)

اكتب تعريف مفهوم «الخضوع والتسليم الكامل» على بطاقة صغيرة واقرأه كلّ ليلة قبل أن تأوي إلى فراشك.

الدافع (Motivation)

ماذا على اللّه أن يفعل ليقنعك بأن مشيئته هي الأفضل لك؟

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

اكتب رسالة نصية أو اتّصل بأكثر المؤمنين بالمسيح الذين تعرفهم التزامًا وتكريساً واشكره على كونه مثالاً رائعاً.

الفصل الثالث

هل تعتقد أن اللّه يريد ما هو أفضل لك ؟

لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيف.[٤]

- يسوع الناصري

تعرّفنا في الفصل السّابق على الحالات الدراسية الثلاث التي تحدّت نظرتنا المشوّهة إلى الالتزام الكامل أو التسليم الكامل.لا أعتقد أنّ من قرأ الفصل السابق يشعر بالشفقة على جون أو شيلا أو الرجل الذي وجد الكنز في الحقل. ومع ذلك، كوني كنت راعيًا مدَّة خمس وعشرين سنة،

أستطيع أن أخبرك أن معظم النّاس يخافون الالتزام الكامل، سواء كان هذا الالتزام تجاه شخصٍ آخر كعهد زواج لمدى العمر،أو كان التزامًا كاملًا للّه حيث نقطع عهدًا في قلبنا بأن نُخضع ونُسلم كلّ كياننا وما نملك له. وكما لاحظتم سابقًا عندما تكلّمنا عن كتاب «المخاطر، والتحليل، وعملية أخذ القرار»

أخذت من تعاليم يسوع وصنعت منها أمثلة

(كتاب: Risk, Reason and the Decision–Making Process**)**. وآمل أن يكون هذا قد ساعدك في رؤية الخضوع والتسليم الكامل من وجهة نظر اللّه.

ولهذا، لا تذهب إلى الإنترنت، فلن تجد الكتاب هناك!

٤ متى ١١ : ٣٠

كثيرًا ما أفكّر بالتعاليم السابقة عن موضوع التكريس والالتزام الكليّين والتي تؤكّد مستوى التضحية وإنكار الذات المطلوبين وليس ما قدّمه يسوع بصفته مستوى الفرح والمكافأة التي سننالها. لا تسئ فهمي: لا يتعلّق الأمر بعدم وجود تضحيات، لكن يشبه الأمر تخلّيك عن عقدٍ رخيص مصنوع من البلاستيك مقابل الحصول على عقد ماسٍ أصيل لا يُقدَّر بثمن.

كيف يعمل التكريس أو الالتزام الكلي حقًا

لننزع إذًا تصوراتنا السابقة من ذهننا ونسأل ما يلي: «ما هو الالتزام الكامل بالضبط وكيف يعمل؟» دعني أولًا أعطِك تعريفًا:

- الالتزام الكامل هو المواءمة بين دافع الشّخص وموارده وأولويّاته وأهدافه لإنجاز مهمة محددة، أو متابعة شخص معيّن.إذًا يبدو بوضوح أنّ الخضوع والالتزام الكامل هو التسليم المطلق. ويعني هذا مواءمة إرادتك وعقلك وفكرك وأملاكك وعلاقاتك مع شخصٍ أو هدفٍ، أو قضية. انظر رومية ١٢: ١

> «فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ.»

يأمرنا اللّه بأنْ نُقدّم له أجسادنا (ذواتنا) كذبيحة حيّة. يخبرنا أيضًا أن العبادة المقبولة لديه تبدأ بعمل التسليم أو (التكريس الكامل).

من السهل أن نسمع هذه الكلمات ونبدأ بالانسحاب عاطفيًا معتقدين أنّ الثمن باهظ أو شيئًا «لا أستطيع ولن أستطيع عمله.». لكني أقول إن ردود الفعل العاطفية الأساسية لدعوة الخضوع والالتزام الكامل متأصّلة في نظرتنا المشوهة إلى اللّه ونظرتنا المشوهة إلى ما هو أو ليس هو الالتزام الكامل. يتعلّق الالتزام الكامل بأن تكون حكيمًا وذكيًا، وليس بالضرورة أن تكون نبيلًا أو فاضلًا. لا يتعلّق الالتزام الكامل بإنكارك لذاتك بقدر ما يتعلّق بالمنطق والبديهة السليمتين. لا يتعلّق الأمر بمقدار خسارتك ؛ بل بمقدار ربحك. لنرَ إن كنت أستطيع مساعدتك بهذه الطريقة. في ما يلي أورد جدولاً إيضاحياً وضعته ينظر إلى موضوع الالتزام أو التسليم بعدسةٍ إيجابية مقابل النظر إليه بعدسة سلبية.

> لا يتعلّق الأمر بمقدار خسارتك؛ بل بمقدار ربحك.

سنضع على الجانب الأيمن العدسة الإيجابية وعلى الجانب الأيسر العدسة السلبية. ستنظر العدسة الإيجابية إلى التسليم (أو الالتزام الكامل)، كنظرة الرجل الذي وجد الكنز المدفون في الحقل أو المهندس الذي وجد قطع النقود أو أستاذة الفنون التي وجدت اللوحة الفنية

– إنّها عين الحكمة والمنطق والفطنة القادرة على إعادة تقييم الممتلكات الحالية في ضوء ربح أعظم ونتائج أجمل. وسنضع على الجانب الأيسر العدسة السلبية التي تركّز على ما نخسره.

وتوصَف هذه النّظرة السّلبية إلى الالتزام الكلّي بكلمات مثل التضحية وإنكار الذات والنّبل والاستشهاد والتّخلّي والتّنازل.

الإيجابية مقابل السلبية	
الحكمة	**التضحية**
المنطق	**نكران الذات**
الفطنة	**النبل، الإستشهاد**
إعادة التقييم	**التنازل**

دعني أسألك الآن:

ما طبيعة تفكيرك بشأن الخضوع والالتزام الكامل عندما يتعلّق الأمر بعلاقتك بالمسيح؟

ما هو أكبر مخاوفك في تسليم ذاتك وما تملك له؟ أيّة صورٍ تأتي إلى ذهنك عندما تفكّر بالخضوع والالتزام الكامل للمسيح فتصيبك بالخوف والتّردّد؟

نظرة مشوهة إلى اللّه

أعلم أنّ الأمر بالنسبة لي كان متجذّراً في نظرتي المشوهة إلى اللّه، افترضت أنني إن التزمت بالكامل له، سيسلبني كلّ الفرح ويمنع عني الأمور المفضّلة لديّ في الحياة. ووراء هذا الافتراض الكاذب كان يقبع عدم فهمي الكامل للّه ومنطق الخضوع والالتزام الكامل.

بطريقةٍ ما كوّنت فكرة مسبقة بأنَّ اللّه بخيل وغير صالح، وأنه يتطلّع إلى معاقبتي بسبب طرق حياتي الملتوية التي لم تكن بحسب معاييره.

أعلم أنّ هذه الأفكار والمعتقدات تأتي من فكرٍ لاهوتيٍّ خاطئ ونشأتي بعيدًا عن المسيح. ولكن حتى عندما أقابل أشخاصًا ينحدرون من عائلات مسيحية ممتازة، أجد أن معظم أتباع المسيح

لا يعتقدون أنّ اللّه صالح حقًا. فبدلًا من النظرة إليه على أنه اللّه الذي يحمل لهم كنزًا – منتظرًا منهم الخضوع والالتزام الكامل كي يعطيهم أفضل وأكبر بركاته – نعيش وكأن التزامنا الكامل باللّه سيكون الضربة الساحقة لأحلامنا الشخصية وسعادتنا المستقبلية.

عندما أدركت الأمر أخيرًا

أذكر تمامًا عندما أدركت حقيقة هذ الأمر في حياتي الخاصة بينما كنت أتصارع مع مسألة التسليم، وصلت، مثل العديد ممن يقرأون هذ الكتاب، إلى نقطة أدركت عندها أن الله يطلب ويفترض بالفعل الخضوع والالتزام الكامل في حياتي كخدمة عبادة روحية له. ولكن كلّ ما فيّ قاوم جذْب الروح القدس، وذات ليلة، وبعد أن عشت طوال سنتين في العالم وفي الكلمة معًا، دعاني زوجان شابان إلى تناول العشاء في منزلهما. كان هذا الزوجان قد سلّما حياتهما للرب حديثًا، وكان لديهما طفلان صغيران.

وبينما كنا نتناول الطعام ونتكلّم عن العلاقة الشخصية بالله، رأيت وميضًا في عينيهما وهما ينظر أحدهما إلى الآخر، وميضًا طالما تقت إلى أن يكون لي مثله يومًا ما مع زوجتي المستقبلية. رأيت محبتهما لأولادهما. ورغم إمكانياتهما المادية البسيطة والمتواضعة، كان لديهما الفرح والدفء الذي كان بمثابة «الكنز، لو قُدر لي أن أرى كنزًا.»

كانت ليلة مميزة لأسباب لا أستطيع تفسيرها، ولكنني علمت أنّ ما كان لديهما في حياتهما المسيحية هو ما كنت أبحث عنه طوال حياتي. كان كنز الحياة مع الله ومع شخص آخر، الكنز الذي لا يستطيع أيّ مبلغ من المال أن يشتريه. وبعد وجبة طعام بيتية، تبعتها حلوى التفاح العصرية وجلسة صلاة حول مائدة المطبخ في بيتهما الرّيفي الصغير، توجّهت إلى الجامعة.

وبينما كنت أتكلّم مع الله خلال قيادتي للسيارة عائدًا وأسأله أن يعطيني ما عند هذين الزوجين، سمعت الروح القدس يقول بصراحة لقلبي:

«أريد أن أعطيك الأفضل، لكنك تمنعني. طالما حافظت على سيطرتك أنت على حياتك، سيكون مقدرًا لك دومًا أن تؤمّن ما تستطيع أنت تأمينه لحياتك، وليس ما أريد أنا أن أعطيه لك.»

بدأت معارك مألوفة لديّ متعلّقة بالخضوع والالتزام الكامل، بدأ روح الله يجذبني ويغريني لأقرر مرة واحدة وإلى الأبد أن أمنحه السيطرة الكاملة على حياتي، بينما كان جسدي وعقلي يجادلانني بشأن التضحية ونكران الذات والخسارة التي سيتوجب عليّ استيعابها إن قررت هذا الالتزام.ولكن بينما كنت أقود إلى الجامعة وأمرّ بتلّةٍ شديدة الانحدار توصلني إلى غرفتي في سكن الجامعة، ذكّرني الروح القدس بآية من الكتاب المقدس كنت قد حفظتها حديثًا:

> اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ (يسوع)، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَه (يسوع) كُلَّ شَيْءٍ؟
>
> رومية ٨ : ٣٢

بينما كانت سيارتي الصغيرة تصل إلى أسفل التلة، بدأ معنى هذه الآية يصدح في قلبي للمرة الأولى في حياتي. وكأنّ اللّه كان يقول لي: «إن كنت أحبك لدرجة أن أسمح لإبني بأن يموت عنك، كيف لا تصدق أن خططي لك هي أفضل بكثير من خططك أنت؟» وفي تلك اللحظة بالذات، علمت أن أصل المشكلة في علاقتي الشخصية باللّه أعمق من أن تكون مجرد صراع يدور حول موضوع التسليم. فالمشكلة هي أنني لم أكن أصدّق أن اللّه يحبّني حقّا وأنّه صالح.

فالمشكلة هي أنني لم أكن أصدق أن الله يحبني حقاً وأنه صالح.

إنّها خطوتك الخاصة – أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢

ماذا سيحصل في حياتك إن بدأتَ حقًا بالاعتقاد أنّ اللّه إلى صفك، وأنّه يفهم رغباتك ومخاوفك الدفينة؟ ماذا لو رأيت اللّه كصديق كريم ولطيف ويحرص دومًا على إعطائك الأفضل؟

ماذا لو كانت دعوة اللّه للتسليم له أكثر من مجرّد درب للفرح والبركة؟ ما مدى الصعوبة التي ستجدها بتقديم نفسك وكيانك كله وكل ما تملكه لذاك الذي يقول لك:

«أحببتك محبة أبدية. أنت حدقة عيني. وأنا أجد لذة مقدسة في سعادتك، وسأغمرك بمحبتي لك، وسأغني معبّرًا عن ابتهاجي بك»؟

كيف سيكون الأمر لو التزمت بالكامل نحو اللّه؟ كيف نختبر روحيًا ما اختبره جون وشيلا في العالم المادي؟ كيف نتغلّب على مخاوفنا ونبدأ باختبار الحياة التي طالما أردناها... أن ننال أكبر وأفضل بركات اللّه من خلال قناته الإلهية، والتي يدعوها... التسليم؟

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

أيّ جزءٍ من هذا الفصل كلّمك؟

تأمّل (Reflect)

اكتب جملة واحدة تشرح فيها عائقين (خوفين) يمنعانك من أخذ قرار الالتزام الكامل لله.

افهم (Understand)

كيف تؤثّر نظرتك إلى الله في قدرتك على أن تثق به بشأن حياتك. ما هي نظرتك إلى الله؟ هل هو متطلّب أم صالح؟

سلّم (Surrender)

يفهم الله مخاوفك، ونحن نعلم بالذهن ما علينا فعله أحيانًا ولكن نمتنع، مثل الرجل الذي صلّى قائلًا: «أومن فأعِن عدم إيماني.» اطلب من يسوع أن يساعدك كي تثق به وتراه بوضوح.

اتخذ إجراء (Take Action)

اكتب نص آية رومية ٨ : ٣٢ على بطاقة صغيرة، واقرأها بتأنٍّ كل صباح من الأسبوع المقبل، سائلًا الله أن يساعدك كي تثق وتؤمن بما تقرأ.

الدافع (Motivation)

حدد وقتًا للاستماع إلى الرسالة الصوتية والمرئية على الموقع:

www.levantmedia.com/TS

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

شارك بشيءٍ واحدٍ فعله الله لك في الأسابيع القليلة المنصرمة مع صديقٍ لك، اطلب منه أن يتحدّث عن عمل الله معه.

الفصل الرّابع

ما هي طبيعة الحياة المُسلّمة للّه؟

اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا.
وَلكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ. [٥]

-يسوع الناصري

يحتار معظم المؤمنين بالمسيح حول معنى الخضوع والتسليم الكامل في علاقتهم الشخصية باللّه، فهم ببساطة لا يعلمون كيف! يظنون أنّه أمرٌ نبيل وفاضل لا تستطيع إلا قلّة من الناس «أكثر روحانية منهم» تحقيقه.

لكن المؤمنين بالمسيح الملتزمين بشرٌ عاديون، يختبرون بركات اللّه الكبرى والفضلى، كما أنهم غير ملتزمين أو مكرّسين بالكامل لأنهم أصحاب فضيلة أو روحانية فائقين، لكنهم ملتزمون بالكامل لأنهم حكماء ومنطقيون ويفهمون طبيعة الحياة.

ولكن يبقى السؤال: كيف يكون الأمر عندما تكون ملتزماً بالكامل؟ كيف يبدو الخضوع والتسليم الكامل في علاقتك باللّه، وكيف يعمل؟ ماذا يحدث؟

٥ يوحنا ١٢ : ٢٤

الجواب = رومية ١٢: ١

فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ.[٦]

أريد أن أقدّم بعض الملاحظات على هذه الآية، والتي أعتقد أنها قد تكون مفيدة لك.

أولًا، انظر إلى بنية النص. لاحظ وجود أمرٍ ودافع وسبب.

والأمر هنا هو أن تقدّم جسدك، والدافع هو أن ترضي الله، والسبب هو كون هذا الأمر هو العبادة الروحية التي يريدها الله.

ثانيًا، أريدك أن تفهم سياق هذا المقطع الكتابي،

نحن ننظر إلى رومية ١٢، أي أن هناك ١١ إصحاحًا تسبق هذه الآية. وأنا أشجعك على تحضير فنجانٍ من القهوة أو الشّاي، وتجلس وتبدأ بارتشافها وأنت تقرأ هذه الإصحاحات الأحد عشر.

إنّها من أوضح الشروحات في الكتاب المقدّس لما فعله الله لأجلنا. وفي ما يلي أقدّم لك موجزًا لتعليم هذه الإصحاحات الأحد عشر كي تستطيع أن ترى أن الإصحاح الثاني عشر هو بالفعل استجابتنا نحو الأعمال العظيمة التي صنعها الله لي ولك. ولا يهدف الأمر «قدّموا أجسادكم» لله إلى الحصول على قبوله لنا، بل هو طريقتنا لنقول له: «شكرًا لك يا ربّ على ضوء كلّ ما صنعته لنا.»

رومية الأولى والثانية: رسالة الله عن النعمة				
	الإصحاح ١–٣	الإصحاح ٤–٥	الإصحاح ٦–٨	الإصحاح ٩–١١
الموضوع	مشكلة الإنسان	حل الله	ما يعطيه الله	أمانة الله
اللاهوت	الخطيئة	الخلاص	التقديس	السيادة
الحالة	ضائع	وُجِد	لديه القوّة	مختار
الفعل	الاعتراف	الإيمان	الحسبان	التمجيد والتسبيح

نرى في هذا الموجز أن الإصحاحات ١–٣ تعرّف مشكلة البشرية جمعاء – أخطأنا جميعًا وأعوزنا مجد الله.

٦ رومية ١٢ : ١

ونرى في الإصحاحات ٤–٥ حل اللّه لمشكلتنا بإرسال يسوع، اللّه الابن، ليموت على الصليب كي يسدِّد دين خطايانا. وقد نلنا عطية الخلاص المجانية بالإيمان.

وفي الإصحاحات ٦–٨، يصف الرسول بولس كيف نعيش نمط الحياة الفائق للطبيعة هذا. وليست الحياة المسيحية التي يصفها صعبة، بل مستحيلة. وروح الرب الساكن فينا هو وحده الذي لديه القدرة على إظهار قوة المسيح وحضوره من خلال أجسادنا الفانية.

وأخيرًا، نتعلّم في الإصحاحات ٩–١١ أنه ليست لدى اللّه خطة لحياتنا الحالية فقط، بل أيضًا خطة مستقبلية لإتمام كلّ وعوده لشعب إسرائيل بما يختص بعرش داود والأرض التي وُعِد بها إبراهيم.

وما أريدك أن تراه أكثر من أيّ شيءٍ آخر هو أنّ الأصحاح ١٢ يمثل نظرة شاملة إلى الأصحاحات الأحد عشر السابقة عَنْ محبّة اللّه العظيمة وإحساناته لنا.

فلا يوجد شيء نفعله أنا أو أنت يمكنه أن يجعلك مستحقًا لنعمة اللّه، ولكن الوصية تنصّ على أن نشكر اللّه ونتجاوب مع نعمته علينا بطريقة نحصل منها على الأفضل منه فيتمجّد من خلالنا. هذا هو موضوع رومية ١٢: ١.

دعنا الآن نحلل رومية ١٢: ١ معاً كي نستطيع أن نفهم ماهية التسليم أو الالتزام الكامل.

> فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ.
> رومية ١٢: ١

افحص ما يأمرنا اللّه به في الآية ١:

الأمر: «أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً.»

يأتي الأمر الوارد هنا بصيغة فعلٍ في اليونانية يفيد بأنَّ عَمَل التقديم يحصل في نقطة معيّنة من الزمن. ولا يعالج هذا المقطع كيف يدخل الإنسان في علاقة خلاصية باللّه، بل كيف نعطي اللّه، بعد أن نعرفه شخصيًا، ما يريده منّا أكثر من أي شيء آخر كعبادة روحية مِنّا.

وفي حالتي أنا، كنت قد أسلمت حياتي للرب منذ أكثر من سنتين ونصف قبل أن أقدم جسدي (حياتي) بخضوع والتزام كامل للمسيح. كنت في صراعٍ يائس ومؤلم في حياتي المسيحية، كانت كلماتي تقول شيئًا، لكن نمط حياتي كان يقول شيئًا مغايرًا ولا ينسجم مع كوني تابعًا حقيقيّاً للمسيح. كنت أعلم الحق لكن من دون أن أعيشه!

كنت قد وصلت إلى هذه النقطة حين وجدت نفسي في «جامعة ولاية بنسالفانيا» (Penn State University) حيث أقامت منظمة كنسية مؤتمرًا لتعليم طلاب الجامعة كيف يتخذون «الخطوات التالية» في نموهم الروحي.

حضرت ندوة لمدة ساعتين ونصف الساعة شرحوا فيها حياة إبراهيم، حيث تعلّمنا كيف يطورنا الله في مدرسة الإيمان الخاصة به. جلست في مؤخرة الغرفة، محاولًا أن أفحص رحلتي الروحية من خلال عدسة حياة إبراهيم.كان واضحًا أن الله يقدّر الإيمان أكثر من الأداء الديني أو حتّى طاعة الأخلاق الواجبة في حياة إبراهيم. وبينما ظهرت محورية الإيمان في ذاك المؤتمر، جذب الله انتباهي حين وصلنا إلى سفر التكوين ٢٢. سمعت هناك قصة إبراهيم الذي أمره الله بأن يأخذ ابنه الوحيد، إسحق، إلى الجبل ليقدمه ذبيحة لله.

كان هذا الصبي أغلى وأهمّ ما في حياة إبراهيم. بل كان هذا الولد ذو الاثني عشر عامًا يمثل كلّ وعود الله لإبراهيم. إذ كان إسحق النسل الموعود الذي حصل عليه إبراهيم أخيرًا من الله، وها هو الله يطلب من إبراهيم أن يعيده إليه حرفيّاً.

نهض إبراهيم باكرًا في طاعةٍ للربّ وأخذ الولد إلى الجبل، وحضّر مذبحًا من الحجارة، ورتّب الحطب والعيدان للنار. ثم وضع إسحق فوق المذبح، ورفع السكين التي حضّرها لإغمادها في صدر ابنه. وعندئذٍ سمع صوتاً من السماء يناديه:

«فَنَادَاهُ مَلاَكُ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ:«إبراهيم! إبراهيم!». فَقَالَ: «هأَنَذَا» فَقَالَ: «لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لأَنِّي الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ، فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي.»[٧]

تأتي الأصنام في عدّة أشكال، وبالنسبة لإبراهيم، أصبح ابنه إسحق نقطة ضعفه وشغفه التي في طريقها لتدمير علاقته بالله. طلب الله من إبراهيم أن يُسلّمه أثمن ما يملكه في حياته – لا ليحرمه منه، بل ليتأكّد من أنّه قد أعطاه الأفضل – أفضل ما لديه. بينما جلست في الخلف في ذاك المؤتمر، أدركت أننا جميعًا لدينا «إسحق» في حياتنا، فبالنسبة لي، كانت كرة السلة والفتاة الجميلة التي كنت أواعدها في ذلك الوقت بمنزلة إسحق لي.

لم أكن أبالي أن يفعل الله كلّ ما يريده في حياتي طالما لا يمسّ هاتين المنطقتين. كان أمرًا مقبولًا أن أثق بأن المسيح مُخلّصي وأن أعيش إيماني ما دامت هاتان النقطتان خارج سلطة الله، وفي الواقع كانا صنمي حياتي اللذين يعطياانني إحساسي بالهوية والأمان. بينما كنت جالسًا في الخلف في تلك الغرفة أدركت أنني كنت على مفترق طرق في حياتي، ينبغي أن يكون يسوع السيّد «على كلّ شيء» أو لا يكون السيّد «على الإطلاق».

٧ تكوين ٢٢ : ١١–١٢

أدركتُ لأول مرةٍ في حياتي أن الخضوع والتسليم للّه ليسا حجب أيّ شيء صالح عني، بل كانا الوسيلة لفيض بركات اللّه الكبيرة والعظيمة في حياتي.

أدركت أخيرًا أنّ عليَّ أن أنقل «إسحقي» الثمين إلى الجبل وأضحّي به. كانت لحظة صحوة لا ينبغي الاستخفاف بها. فرفعت يديّ المفتوحتين بالصلاة وأنا جالسٌ في الخلف في تلك الغرفة مقدِّمًا كرة السلة، وزوجتي المستقبلية، ومهنتي المستقبلية وكلّ كياني ذبيحةً حيّةً إلى اللّه. كنت أعلم معنى ونتائج هذا الأمر وأدركت أنه ينبغي لتقديم ذاتي أن يحصل يومًا بعد يوم (إذ يقول «ذبيحة حية»). كنت أتخذ خطوة سيادية كانت تعني التحول الجذري عن كلّ ما هو مألوف – حياة القداسة.

ذلك اليوم، في تلك الغرفة، في حرم «جامعة ولاية بنسالفانيا»، كان أهم لحظةٍ واختبارٍ في حياتي المسيحيّة، فرغم المخاوف والشكوك، قدمت «كامل ذاتي» إلى اللّه. تأثّرت كل قراراتي المستقبلية في كلّ ناحيةٍ في حياتي بشكلٍ مثير منذ ذلك اليوم.

كنتُ مسبقًا قد قرّرتُ أن أسير في مشيئة اللّه وإرشاده واثقًا بالإيمان أنّه يخطّط لما هو الأفضل لي.هل الأمر سهل؟ كلا! هل ينمّ هذا الأمر عن ذكاء؟ نعم! بدأت رحلة تحولي من مسيحي تقليدي إلى تابع أصيل وحقيقي ليسوع المسيح في ذاك النهار التاريخي في بنسلفانيا.

مؤسفٌ أن هذه الخطوة هي أكثر ما نفتقده في جسد المسيح اليوم. فعندما سنحت لي فرصة أن أعلّم عن هذا المقطع على الإذاعة وفي التلفزيون، أرسل لي مئات الأشخاص عبر البريد الإلكتروني يقولون إنهم لم يختبروا قطّ معنى الخضوع والتسليم بالكامل للرب يسوع. ثمّ شاركوا قصصًا مذهلة كيف غيّرت هذه الخطوة حياتهم، وهو الأمر الوحيد الذي يعقب خلاصهم في أهميته (مثل التاجر الذي باع كلّ ما يملك ليشتري اللؤلؤة النادرة، أو المهندس جون الذي باع كل ما يملك ليشتري القطع النقدية الذهبية، أو اللّه الذي يدعونا إلى أن نقدم ذبيحةً حيّةً ومقدسة.)

وسؤالي لك الآن هو: **هل فعلت هذا الأمر؟**

الدافع: رحمة اللّه

إذا كنت تتساءل، لِمَ يجب أن أخضع وأُسلّم بالكامل إلى اللّه؟

تجيبك رومية ١٢: ١

> «فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ.»

كما ترى، لا يرتكز حافز الخضوع وتسليم كلّ شيءٍ للّه على مبدأ كسب أيّ شيءٍ في السماء بل هو استجابة طبيعية لرحمة اللّه. إنّه استيعابٌ لفكرة أنّه أزال خطايانا، وغفر لنا، وأحبّنا، وتبنّانا، وملأنا بروحه القدّوس وسجل أسماءنا في سجل السماء إلى الأبد. هذا ما يحفّزنا ويحثنا على أن نشكر اللّه بالطريقة التي يطلبها. إنّ شكر اللّه على نعمه ورحمته هو أن تقول له: «أومن أنّك محبّ وصالح وأنا سأعطيك ما تريده... ألا وهو ذاتي بالكامل – من دون أن أمنع عنك شيئًا.»

السبب: عبادتنا الروحية

ما هو سبب أهمية خضوعي وتسليمي بالكامل للّه؟ يُخبرنا الجزء الأخير من هذه الآية عن السبب، إنّها عبادتنا العقلية الرّوحيّة. بمعنى آخر، هذا هو ما يريده اللّه منك. لا حضورك الملتزم في الكنيسة، أو أموالك، أو حفظك للقوانين والقواعد، أو أخلاقك، أو نشاطك الديني:

هو يريدك أنت.

يريد اللّه علاقة شخصية بك، يريد قلبك، يريد أن يحبّك وأن تحبّه، هو لا يبحث عن جنود متدينين ليحاموا ويدافعوا عن قضيةٍ له. هو يبحث عن أبناء وبنات يثقون بصلاحه ومحبّته لدرجة أنّهم يقولون من دون تردد:

«أنا وكلّ ما أملك لك.. أحبك يا ربّ.»

ليس الأمر قرارًا عاطفيًا، بل قرارًا منطقيًا، الكلمة «عقليّة» ترجمة للكلمة اليونانية logizomai، التي تعني حرفيّاً «ما هو منطقي وعقلي». ومع ذلك ففي الترجمة اليونانية للعهد القديم، استُخدِمت هذه الكلمة كرديفةٍ لتقدمات الكهنة في الهيكل أيّ تقدمة روحية. فكانت النتيجة انقسام المترجمين في الترجمة حول الكلمة التي تعطي المعنى الكامل المقصود.

وهي في بعض الترجمات «عبادة روحية» (للدلالة على ما يريده اللّه)، وفي ترجماتٍ أخرى هي «عقلية» (للدلالة على المنطق والحكمة والسبب المقنع)، أي أنّ الخضوع والتسليم للّه هو عملٌ منطقي وحكيم وذكيّ في ضوء ما فعله اللّه لأجلنا بالمسيح.

إنّ «ملكوت اللّه»، كما يسميه يسوع، هو استيعاب ماهية الحياة الحقيقية وتعلُّم أن طريق الانتصار الوحيد هو من خلال خضوعك وتسليمك الكامل للّه.

> «الحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ.»
>
> يوحنا ١٢:٢٤

هذا هو التوقّع الطبيعي عند يسوع المسيح بشأن كلّ مؤمن. فسيادة الله هي ما يفتح الباب لاختبار قوة المسيح وحضوره بطريقة مغيّرة وفائقة للطبيعة ويعبِّر ج. ك. تشيستيرتون (G. K. Chesterton) عن الأمر بكلماته البليغة: « لم تُمتَحن المسيحيّة فوُجِدت ناقصةً، ولكنّها وُجِدت ولم تُمتحن.» كما ترى، إن قدْرًا كبيرًا مما سمعناه وتعلّمناه عبر السنين الماضية يفوّت أو يُغفل الدعوة إلى التسليم في رومية ١٢: ١.

> لأن الله لديه الحرية لفعل ذلك فقط مع الذين هم بكليتهم له.

لقد اقتيد المسيحيون الصادقون الغافلون إلى الاعتقاد بأنَّ الحياة المسيحية هي أكثر بقليل من الصلاة وحضور الخدمات الروحية.

الأتباع الأصيلون والحقيقيّون يختبرون قوة الله وحضوره بطرق فائقة للطبيعة لأنّ الله لديه الحرية لفعل ذلك فقط مع الذين هم بكليتهم له.

إنّها خطوتك الخاصة- أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢

- هل سألت نفسك يومًا كيف يكون اختبار قوة الله بهذه الطريقة وحضوره؟
- هل تريد أن تعلم كيف تنزع فتيل قرارٍ كهذا؟
- كيف تحوّل معتقداتك العقلية إلى واقع حياتي؟

سترى ذلك في الفصل القادم. فابقَ معي.

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

ما الذي يمثل «إسحق» في حياتك؟

تأمّل (Reflect)

ما هو أكثر ما يقلقك في تسليم «إسحقك» (صنمك) الثمين بالكامل لله، والسّماح للمسيح بأن يكون السيد على حياتك؟ ما هي الأمور المخفية؟ الأمان؟ المركز المرموق؟ السيطرة؟

افهم (Understand)

ما هي اختباراتك الماضية مع العائلة والأشخاص الآخرين التي كانت السبب في جعل خضوعك وتسليمك الكامل لله أمراً صعباً؟ هل يمكن أن يكون هجران أو ترك أو إهمال أو طلاق أو ما شابه، حدث في الماضي، هو ما يمنعك من أن تثق بالله؟

سلّم (Surrender)

لِمَ لا تأخذ لحظة الآن لتتكلّم فيها مع الله عمّا تفكّر أو تشعر به، واطلب منه أن يقود خطواتك التالية.

اتخذ إجراء (Take Action)

اكتب في دفتر يومياتك ما تظن أنّه يمثل «إسحق» في حياتك. هناك قوة في رؤية ما تفكّر فيه وتؤلمك معالجته مطبوعًا على الورق.

الدافع (Motivation)

حدد وقتًا للاستماع إلى الرسالة الصوتية والمرئية على الموقع:
www.levantmedia.com/TS

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

أخبِر شخصاً تهتم بأمره بأن يفتح موقعنا على الإنترنت

www.levantmedia.com/TS أخبره عن حلم الله ومشيئته لحياته.

الفصل الخامس

هل تراهن بكل شيءٍ؟

لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ، أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ.[٨]

-يسوع الناصري

«هل وقّعت على الشيك؟ ما زلت أذكر آخر كلماتٍ قالتها لي أمي قبل أن أخرج من الباب: «مهما تفعل، لا تضيع الشيك؟» كنت معتادًا أن أنتظر حتى آخر لحظة لأخبر والدتي بوجوب دفع القسط المدرسي، كما كان الحال في ذاك اليوم، أو البقاء في المنزل بينما يذهب كل طلاب المرحلة الثانوية في رحلة ميدانية. لا أتذكّر كم كان المبلغ بالضبط، ولكنه كان كبيرًا. لم تكن أمي تملك المبلغ نقدًا، لذا حرّرتْ لي شيكًا.

كانت هناك مشكلة واحدة، لم أكن أعلم المبلغ المطلوب، ولا إلى من يجب عليّ تسليم الشيك. وكانت أفضل ميزة لأمي ثقتها الكبيرة بي– فأنا أتذكر أنها فعلت شيئًا لم يكن يفعله العديد من الأهل حينها. إذ وقّعت شيكًا على بياض.

ولو وقع هذا الشيك بيد أيّ شخصٍ آخر، أو لو كتبتُ اسمي الخاص عليه، لكان بإمكاني أن أسحب المبلغ الذي أريده من المصرف لنفسي.

أعلم أن هذا الأمر لم يكن يقلق أمي، ولكن عندما وقعتْ على ذلك الشيك، قدّمت التزامًا

٨ متّى ٦ : ٢٤

مفتوحًا بأن ما تملكه في حسابها المصرفي كان متاحًا لكلّ من يكتب اسمه على هذا الشيك ويضع المبلغ الذي يريده. ولحسن الحظ، لم أفقد الشيك، كتبت المبلغ المطلوب، وذهبت في رحلتي الميدانية. تذكّرت هذه القصة بينما كنت أفكّر بالخضوع والتسليم الكامل للمسيح.

نعم لقد تعلّمنا أنّ الدافع هو محبّة الله العظيمة ورحمته علينا، نعم، كما توصلنا إلى فهم أن التسليم لله هو القناة التي تأتي من خلالها بركات الله الكبيرة والفضلى. ولكن كيف يعمل هذا الأمر حقًّا؟ كيف تضغط على الزناد بالإيمان بطريقةٍ تُصبح فيها ذبيحة حية مقدّسة ومقبولة عند الله؟

ومن المؤسف أني أعرف مؤمنين كثيرين بالمسيح يمضون معظم أوقاتهم وهم «يحاولون جاهدين» أن يرضوا الله ولكنهم لا يشعرون بأنهم يرقون إلى المستوى المطلوب. وحياتهم المسيحية عبارة عن محاولات متعددة لإرضاء الله بمجهودهم الخاص. وبالنسبة للآخرين، فإن الحياة المسيحية أداء واجب كالذهاب إلى الكنيسة نهار الأحد، ومحاولة العيش بطريقة أكثر أخلاقية من المجتمع المحيط بهم. ويفتقر كلا النّهجين إلى معرفة قلب الله الحقيقي ومشيئته الحقيقية لأولاده.

هل وقّعت على الشيك؟

بغض النظر عما فكّرت به سابقًا، ما يبحث الله عنه ويريده أكثر من أي شيء آخر هو ذاتك أنت– كل كيانك وما تملك، أريدك أن تتصور حياتك وكأنها صفحة شيك على بياض.

تخيّل أنّ هذا الشيك يحمل توقيعًا في الأسفل، وباقي الصفحة خالية بالنسبة لما يريده الله منك، وأين يريدك أن تذهب، ومن يريدك أن تتزوج، وأية مهنة عليك مزاولتها، ثمّ خذ هذا الشيك بعين عقلك أمام عرش الله وضعْه أمامه كفعل عبادة لتقول له: «يا ربّ أريد أن أسلّم لك كل شيء – ذاتي وكلّ ما أملك لك من الآن فصاعدًا.»

لا يشبه هذا الأمر الزواج بأية طريقة من الطرق. فهذا التزام محدد في يوم مميزّ تنطلق فيه العلاقة الشخصية إلى عمق جديد وحميم. وكما سبق أن ذكرت، كنت قد آمنت بالمسيح قبل أكثر من سنتين قبل أن وقعت على أسفل الشيك وسلّمت حياتي بالكامل ليسوع المسيح. لكن، عندما فعلت هذا الأمر، بدأت باختبار نوع جديد من الحياة المسيحية، تلك التي يتكلم عنها الرب يسوع والعهد الجديد. وسؤالي لك هو ببساطة: «هل وقّعت الجزء السفلي من الشيك على بياض وسلمته إلى الله؟»

هل قلت له يومًا بتواضع وصدق: «يا رب، كلّ ذاتي وما أملك وما رجَوتُه وتمنّيتُه يومًا هو لك. استخدمني يا رب كما تشاء»؟ إن كنت لم تفعل هذا حتى الآن، فإني أقترح عليك أن تضع هذا

الكتاب جانبًا لبضع لحظات، وتقوم بهذه الخطوة الآن. وإذا اتخذت هذه الخطوة بنزاهة وصدق، فسيتغيّر مجرى حياتك.

قد تفكّر: «أنا خائف، لا أستطيع القيام بهذا الأمر الآن. لم هذه الأهمية للخضوع والتسليم بالكامل للمسيح؟ ألا أستطيع أن أكون مسيحيًا بشروطي أنا؟» والجواب هو كلا، لا تستطيع أن تكون مسيحيًا حقيقياً بشروطك أنت لسببين:

١. لأن اللّه يريد لك الأفضل دومًا، والخضوع والتسليم الكامل للّه هو القناة الوحيدة التي تفيض فيها بركات الرب الفُضلى والكُبرى. هو يحبّك، هو لك، يريد الأفضل لك.

٢. تأتي حياتك إما بالمجد أو بالعار لاسم المسيح، فعندما «نقبل المسيح» ولا نتبعه أو لا نطيع وصاياه، فإننا نشوّه صورته أمام العالم المراقب. لا يرفض أشخاص كثيرون المسيحية بسبب المنطق أو اللاهوت، بل بسبب تناقض أولئك الذين يدعون أنهم مسيحيون، وبسبب نفاقهم. لدينا الكثير على المحكّ!!

لذا أرجوك، دعني أشارك معك سرّ الخضوع والتسليم للّه، لقد تطرقت إلى هذا الموضوع بشكلٍ مختصر في الفصول السابقة، لكنني أريد أن أريك ما يمنع مؤمنين كثيرين بالمسيح من تسليم حياتهم للّه، فاقدين بذلك مشيئة اللّه الصاحة والمقبولة.

سرّ التسليم

عندما تسلّم حياتك للمسيح، فإنك تعلن أنك تثق به في حياتك ومستقبلك. عندما كنت أتصارع مع هذا القرار ومع كلّ مخاوف «فقدان السيطرة على حياتي»، استخدم اللّه مزمور ٨٤: ١٠ ليختم به على قلبي :

«لأَنَّ الرَّبَّ، اللهَ، شَمْسٌ وَمِجَنٌّ. الرَّبُّ يُعْطِي رَحْمَةً وَمَجْدًا. لاَ يَمْنَعُ خَيْرًا عَنِ السَّالِكِينَ بِالْكَمَالِ.»

جعلتُ هذا المقطع مقطعاً سياديّاً ذا سلطان على حياتي، وما زلت حتى الآن أقتبسه أو أصلّيه عندما أجد نفسي أتصارع مع طاعة اللّه في ما يدعوني إليه.

من المثير أن نرى كيف يتكلّم الجزء الأول من هذا المقطع عن اسم اللّه وشخصيته. كلمة «الربّ» هي اسم العهد للّه، «يهوه» الذي يعني أنه شخصيٌّ وكلّيّ السلطان والقوّة وذاتيّ الوجود. وكلمة «اللّه» الواردة في هذا المقطع تشير إلى إله الخليقة والعناية والحفظ. تخيّل اللّه كلي الحكمة، وكلي السلطان والقوّة، وذاتيّ الوجود، والخالق والمعيل والحافظ الشخصي للكون – إنه مثل الشمس والمجن للذين يوقعون شيك التسليم الكامل له على بياض.

إنّها صورة اللّه «غير محدود الموارد» لك والذي يستطيع تأمين «حماية غير محدودة»، مهما كانت ظروفك صعبة اليوم أو بعد عشر سنوات من الآن.

ويكشف الجزء الثاني من الآية آمال اللّه وأحلامه لحياتك:

« الرَّبُّ يُعْطِي رَحْمَةً وَمَجْدًا.»

على عكس ما دُفِعتَ إليه من اعتقاد، أو ما كنت تخشاه سرًا في قلبك، ما يريده اللّه لك أفضل بكثير مما يمكنك أن تتخيل. يريدك أن تختبر تجربة عميقة وغنية مع الجنس الآخر. يريدك أن تحصل على وظيفة ومهنة صممها خصيصًا لك لتزدهر وتشعر بالاكتفاء عند إنجازها. يريدك أن تكون جزءًا من بلدك ومن مجتمع محلي من المؤمنين حيث تختبر حقًا الحب الفائق والانتماء اللذين طالما حلمت بهما. واللّه هو رب الكون ومديره التنفيذي، وتوق قلبه هو أن يكون وحده الرقم الأول في قلبك وحياتك. هذا هو المفتاح الرئيسي لاختبار نعمته ومجده.

وقد ساعدني الجزء الأخير من هذه الآية أكثر من أية آية أخرى في الكتاب المقدس على اتخاذ خطوة إيمان عندما شعرت بالخوف:

«لاَ يَمْنَعُ خَيْرًا عَنِ السَّالِكِينَ بِالْكَمَالِ».

أن تتْبع المسيح بطاعة، ولاسيما عندما لا تشعر برغبة في ذلك، هو السبيل لنوال الأفضل من اللّه. فهو لن يمنع عنك شيئاً صالحاً بينما تسير وأنت مسلِّم بالكامل لمشيئته طوال الوقت.

ماذا يحصل عندما أوقّع الشيك؟

حسناً، لقد أخبرتكم عن الصراعات والمخاوف التي كانت لدي عند توقيعي على أسفل الشيك، ولكنني الآن مضطر إلى أن أخبركم عن صلاح اللّه ومقدار بركته عندما قررت أخيرًا أن أضع كامل ثقتي به، وليس بنفسي.

لقد تخللت مسيرتي في كرة السلة إصابات متعددة وتغييرات للمدربين، ونتيجة لهذا الأمر، لم تكن مسيرة لامعة وبراقة. وأخيرًا عندما كنت أحرز بعض التقدم باتجاه كسب الوقت في اللعب، كانت إصابات كبيرة تبعِدني عن المشاركة (حصل الأمر لي مرتيْن!) بقية السنة.

وفي مناسبة أخرى، في الوقت الذي كنت فيه بدأت أعاود اللعب، حصل تغيير في المدربين ثلاث مرات في غضون أربعة أسابيع. ولا حاجة بي للقول إن حلمي بأن أصبح لاعب كرة سلة شهيرًا لمجد اللّه، أُحبِط في عدة مناسبات.

وفي منتصف سنتي الجامعيّة الأخيرة، سلّمت لعبة كرة السلة للّه مُخبراً إياه بأنّه إذا ما عدتُ للّعب ثانية فسيكون هذا مقبولاً عندي. لم يكن هذا الأمر اختيارياً، لكن إن كانت هذه مشيئته وما دعاني إليه، فليجعلني على الأقل راغبًا في ذلك.

انتهت سنتي الأخيرة، وكان لديّ الكثير من السلام عندما لعبت المباريات القليلة الأخيرة من الموسم، وقرْب موعد نهاية العام الدراسي، وصلتني رسالة من مجموعة تدعى «سفراء الرياضة» تدعوني إلى الانضمام إلى لاعبي كرة سلة من جامعات أخرى من مختلف المناطق كانوا يستخدمون لعبة كرة السلة كوسيلة للكرازة. في صيف عامي ١٩٧٦ و ١٩٧٧، وجدت نفسي ألعب مقابل فرق أولمبية من مختلف مناطق أميركا الجنوبية.

كان لديّ امتياز اللعب مع لاعبين أساسيين من كلّ مناطق أميركا كانوا مؤمنين ملتزمين، وكنا نتشارك اختبارات الإيمان في استراحة ما بين الشوطين. وشاركت في عدد كبير من المباريات في صيفٍ واحدٍ أكثر مما شاركت في حياتي الجامعية بأسرها، حيث كنا نلعب مباراتين أو أكثر يوميًا ضدّ أفضل الفرق المتبارية في أميركا الجنوبية.

وفي شتاء عام ١٩٧٨، فتح لي اللّه بابًا آخر للعب كرة السلة في قارة آسيا مع فريق أسترالي، تحدّثنا عن المسيح وأمضيت هناك أفضل أيام حياتي! وكما ترى، لم تكن المشكلة هي كرة السلة بحدّ ذاتها؛ بل كانت المشكلة هي أن كرة السلة أصبحت وثنًا في قلبي وفي حياتي.

وبطريقة مماثلة، سلّمت حياتي العاطفية للّه. وانفصلتُ عن صديقتي التي أحببتها جدًا، لكن كان واضحًا أن نظرتها إلى الحياة وطريقة عيشها مختلفة كثيرًا عن دعوة اللّه لحياتي. فآلمني الأمر بعمق واستغرق الأمر أكثر من سنة للتغلب على شعوري بالخسارة. ولكن أثناء تلك السنة من الشعور بالوحدة والألم، اختبرت علاقة حميمة بالمسيح لم أعرفها من قبل.

كما طورت ونمّيتُ نظرة جديدة ومقاربة مختلفة لكيفية بناء علاقة بامرأة يكون مركز تفكيرها وحياتها أولًا وقبل كلّ شيء، يسوع المسيح. وكان السماح للّه بأن يدير هذه الجزء من حياتي أمرًا مؤلمًا، لكنه كان أحد أفضل القرارات في حياتي.

خياراتي وخياراتك محدودة دومًا – وإذا تُركنا وحدنا، سنختار دومًا ثاني الأفضل لأنفسنا. هناك فقط كائنٌ وحيد في كلّ الأرض يعلم كلّ الأمور الفعلية والممكنة ويهتمّ بعمق لدرجة التزامه بإعطائنا الأفضل، حتى عندما يعني الأمر أن يأتي بالألم أو الإحباط إلى حياتنا ليفصلنا عن أوثاننا.

والخضوع والاستسلام الكامل للّه هو سرّ الحصول على أفضل ما لدى اللّه، هو مفتاح القوّة والقناة التي تتدفّق منها بركات الربّ، والخضوع والاستسلام الكامل للّه هو ما سمح لي بأن ألعب كرة السلة في كلّ أنحاء العالم وأن ألتقي تيريزا وأتزوجها لاحقًا.

والخضوع والتّسليم الكامل للّه هو حاجة قصوى في جسد المسيح اليوم، يمكن للمسيحيين الذين يقولون للّه في نقطة معينة من حياتهم بإيمان وكتجاوبٍ مع نعمة اللّه الفائقة: «كلّ ذاتي وما لي هو لك وحدك»، أن يستريحوا ويثقوا بأن اللّه: «لاَ يَمْنَعُ خَيْرًا عَنِ السَّالِكِينَ بِالْكَمَالِ.»

المراهنة بكل شيء

بينما نطوي هذا الفصل الجوهري من الكتاب، أريد أن أشارك تعبيرًا أخيرًا ساعد الآلاف من الأشخاص في فهم معنى الخضوع والتسليم الكامل إلى اللّه في الحياة اليومية. إحدى أشهر الألعاب الرياضية اليوم على جهاز التلفاز هي لعبة البوكر (Poker). لم أفكر فيها من قبل كلعبة رياضية، ولكن عندما أخذتْ كل الأقنية التلفزيونية الشهيرة تبث هذه اللعبة لعدة ليالٍ في الأسبوع، وجدت من الأسلم القول بوجود اهتمامٍ كبيرٍ بهذه اللعبة.

واللعبة التي استقطبت العديد من الأشخاص في كلّ أنحاء العالم في السنوات الأخيرة هي Texas hold'em. وتأتي اللحظة المُثلى في تلك اللعبة عندما تسمع هذه الكلمات «I'm all in!» أيّ «أراهن بكلّ شيء». في هذه اللحظة بالذات، يحصل لاعبٌ واحد على كل الرقائق أمامه ويدفعهم إلى وسط الطاولة، وتبدأ حينها اللحظات المثيرة، فيقلب اللاعبون الآخرون أوراقهم إلى الأعلى كي يرى الجميع ما هي الأوراق المطلوبة للفوز.

ويبدأ اللاعب الموزع لورق اللعب بشكلٍ منهجيٍّ بقلب آخر ورقتين أو ثلاثة لتحديد الرابح. ولدى اللاعب الذي التزم و«راهن على كلّ شيء» احتمالان، إمّا أن يغادر اللعبة كرابح كبير، أو أن يتم إخراجُه من اللعبة، كون كلّ رقاقة لديه الآن موضوعة في وسط الطاولة.

وتُظهر لعبة Texas hold'em أكثر من أيّة لعبة أخرى أعرفها، معنى تسليم الحياة بالكامل إلى المسيح. لن تبدأ الدراما (اللحظات المثيرة) ولا الإجراءات اللازمة إلى أن تقول للّه: أراهن بكلّ شيء أمامك. عندما تأخذ رقائق عائلتك ومستقبلك وأموالك ومواهبك وأحلامك وكلّ ما تملك وتضعها في وسط الطاولة وتقول: «يا رب، تعاملْ أنت مع كلّ هذا،» عندئذٍ تبدأ الإثارة حقًا في حياتك.

«المراهنة بكلّ شيء» صورة معاصرة لـ«تقديم الأجساد ذبيحة حية مرضية عند اللّه». إنّها اللحظة التي يسلّم فيها المؤمن بالمسيح كل سيطرة على حياته إلى المسيح يسوع.

تسليم السلطة هذا يُدعى «الخضوع والتسليم الكامل» أو إشعال حياة الإيمان بالسلطان الإلهي.

ومن شأن هذا الأمر أن يقلب حياتك بالكامل بينما تسأل اللّه: «يا ربّ ماذا تريدني أن أفعل بعملي، ومستقبلي، وزواجي، وعزوبيتي، ومواهبي الروحية، وأموالي كي أتمّم مشيئتك وأهدافك لحياتي ومن خلالي؟»هنا تبدأ المغامرة الجديدة بينما تسعى إلى سماع صوت اللّه، وتحارب أصنامك، وتختبر حضوره، وتبدأ باختبار استجابات حية للصلاة. لقد اعتنى اللّه، ولا يزال، بكلّ رجلٍ وامرأة قالوا له: «أثق بك بالكامل، أراهن بكل شيء أمامك، أريد طريقك وليس طريقي، أومن أن خططك وكلمتك أفضل من خططي وحكمتي، أنا جاهزٌ كي أحيا بالإيمان!» عندما يأخذ المرء هذه الخطوة، لن تعود حياته كالسابق أبدًا.

> تسليم السلطة هذا يُدعى «الخضوع والتسليم الكامل» أو إشعال حياة الإيمان بالسلطان الإلهي

إنّها خطوتك الخاصة- أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢

بينما تفكّر بخطوة الخضوع والتّسليم الكامل هذه، دعني أشجعك على أن تشارك مخاوفك وشكوكك مع صديق ناضج ومحل ثقة لديك. غالبًا ما لا نعلم ماذا يجري حقًّا في أعماقنا إلى أن نعبّر عن الأمر شفهيًا في بيئة آمنة. إذا لم يكن هذا الأمر ممكنًا لديك، فخذ دفترًا صغيرًا ودوّن عليه كلّ أفكارك، ومخاوفك، وانفعالك، وشكوكك. أنت على وشك البدء بفصلٍ جديدٍ في حياتك بالمسيح يكون ممتلئًا بالفرح والقوة كما لم تعهده من قبل؛ لكنه سيكون أيضًا وقتًا مميزًا للاختبارات المميزة والحروب الروحية، فالمؤمنون بالمسيح الذين تستطيع حياتهم أن تصنع الفرق حقًا يهددون عدو أرواحنا، وسنتعلم في الفصل المقبل من هو العدو وكيف نتغلب عليه وعلى نظام عالمه.

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

ماذا يقول لك اللّه في رومية ١٢: ١؟

تأمّل (Reflect)

لماذا يريدك اللّه أن تكون له بالكامل؟ ولم يُشكّل هذا الأمر تحديًا بالنسبة إليك؟

افهم (Understand)

ما هي الطريقة المثلى بالنسبة لك لمعالجة أفكارك الداخلية ومشاعرك؟ دفتر يوميات؟ استشارة متخصصة، نزهة طويلة؟

سلّم (Surrender)

افعل هذا الأمر! وقّع على أسفل الشيك الفارغ. قل للّه اليوم: «أنا أراهن بكلّ شيء أمامك»

اتخذ إجراء (Take Action)

دوّن في كتابك المقدس التاريخ الذي قررت فيه الخضوع والتّسليم بالكامل إلى اللّه كما في رومية ١٢:١ واخبر شخصاً آخر بهذا الأمر.

الدافع (Motivation)

اكتب مزمور ٨٤: ١١ على بطاقة صغيرة وضعها في محفظتك كي تستطيع قراءتها كلما هممت بشراء أيّ شيء هذا الأسبوع.

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

شارك مع شخصين مزمور ٨٤:١١ إما بوساطة البريد الإلكتروني أو رسالة نصّية أو رسالة بالبريد هذا الأسبوع.

أمام اللّه يومياً - مع المؤمنين أسبوعياً - في مهمة إرسالية مستمرة بلا توقُّف

«يومياً - أسبوعياً - بلا توقف» إرشاد عملي لتكون تلميذاً بحسب رومية ١٢

أمام اللّه يومياً

تكمن «الثقة» ضمن فكرة التسليم، فلن تسلّم للّه إلا إن وثقت أنّه فعلاً وفي الحقيقة صالح ويعرف الأفضل. وتنشأ الثقة من العلاقة، والعلاقة مبنية على استثمار الوقت. وهذا هو هدف المجيء أمام اللّه يومياً، فقضاء الوقت في قراءة كلمة اللّه والتأمُّل بها والصلاة هي المفتاح إلى علاقة عميقة وحميمة مع اللّه، وتنمية عادة تخصيص وقت كلّ يومٍ لتكون فيه مع اللّه ستغيّر نموك الروحي تغييراً مذهلاً.

ولكنّ المجيء أمام اللّه يهدف أيضاً إلى أن تحيا كامل حياتك أمامه، إنّه يعني أن تكون واعياً ومدركاً لمحضره، وأن تتحدَّث معه طيلة يومك، طالباً منه المعونة حين تواجه التجارب، ومعبِّراً عن امتنانك له على هباته الصالحة، وطالباً حكمته في القرارات التي تأخذها.

وإذ تأتي أمام اللّه في الأسابيع القادمة، ابحث عن أمثلة في الكتاب المُقدَّس عن التسليم. وإذ تنظر إلى شخصياتٍ في الكتاب المُقدَّس، انتبه إلى بعض المعوّقات الشائعة أمام التسليم. ولاحظ ما عمله اللّه نتيجة استعداد الناس للتسليم له.

وإذ تقضي الوقت مع كلمة اللّه ابحث عن الآيات والحقائق المتعلقة بطبيعة اللّه وانتبه إليها. فجزءٌ من رحلتنا في التسليم يتمثّل في الحصول على صورة واضحة ودقيقة للّه وتعلُّم أنّه حقّاً صالح ومُحسِن ومنعم وكريم. وحين تنغرس هذه الصورة في أعماقك، يصير التسليم مغامرة مملوءة بالإثارة لا مطلباً مخيفاً يدب الرّعب في القلب.

مع المؤمنين أسبوعياً

كما ناقشنا في هذا الجزء، فإن التسليم هو قرار تأخذه في لحظةٍ حين تعلِن مرّةً وإلى الأبد يسوعَ ملكاً وربّاً على كل حياتك الحقيقي.

ولكنّ البقاء في حالة التسليم تحدٍّ مستمرّ، فيسهل على الإنسان أن يتراجع وينزلق إلى السعي لإرضاء الذات. وثمّة آلاف من الإغراءات الخفية والماكرة التي يمكن أن تضغط علينا لنحيا لأنفسنا ونسترجع زمام السلطة من اللّه.

وأحد أعظم التهديدات التي يواجهها التسليم للّه هو ارتداؤنا أقنعة. فالأقنعة تعكس صورة أنّ حياتنا متناغمة وفي أحسن أحوالها، وهذا يقود إلى حياةِ الازدواجية، بحيث أُظهِر نفسي أمام الناس بصورة تختلف عن حقيقتي حين أكون وحدي.

هـذا مـا يجعـل وجـود مجتمـع حقيقـي وصـادق أمـراً مهمـاً فـي حياتـك، فجميعنـا بحاجـةٍ لأصدقـاء يعرفـون حقيقتنـا ويسـاعدوننا فـي أن نبقـى فـي حالـة تسـليم للّه. ولكـنّ هـذا يتطلـب أن تخلـع قناعـك، وتكشـف حياتـك، وتدعـو بعـض الأصدقـاء الموثـوق بهـم إلى مسـاعدتك في رحلة التسـليم.

ولـذا، إن لـم تكـن ضمـن مجموعـةٍ صغيـرة، فكّـر بالانضمـام إلـى واحـدةٍ مـن هـذه المجموعـات. اسـعَ نحـو أن يكـون لـك مثـل هـذا النـوع مـن العلاقـات التـي تتكلّـم بالحـق إلـى حياتـك وتسـاعدك فـي الاسـتمرار فـي حالـة التسـليم للّه.

في مهمة إرسالية مستمرّة بلا توقُّف

التسـليم أمـرٌ بالـغ الأهميـة فـي تأديـة المهمـة الإرسـالية، تقـدِّم لنـا رسـالة كورنثـوس الثانيـة ٥ صـورة جميلـة تساعدنا فـي فهـم الارتبـاط بيـن التسـليم وتتميـم المهمـة الإرسـالية. فحيـن كان بولـس الرسـول يعلـن أن اللّه أعطانـا خدمـة المصالحـة، يقـول إنّنـا «... كسـفراء عـن المسـيح كأن اللّه يعـظ بنـا» مُقدّماً دعوتـه مـن خلالنـا، السـفير مواطـن مـن أرض أخـرى ومـن بلـدٍ آخـر، وهـو خاضـع لملكـه. كان السـفير يعمـل حسـب رغبـة ملكـه، متمماً مقاصـده.

يـا لهـا مـن صـورة عظيمـة للتسـليم! وإذ تنتقـل لتصيـر تلميـذاً بحسـب رومية ١٢، ابـدأ بتصـوُّر نفسـك سـفيراً. أنـتَ مواطـنٌ مـن بلـدٍ مختلـف (السـماء)، وليـس هـذا العالـم موطنـك، وليسـت مهمتـك علـى هـذا الكوكـب أن تسـعى إلـى تتميـم أجندتـك، بـل إلـى تتميـم مقاصـد ملـكك. وتذكّـر أنّـك أُعطيـتَ «خدمـة المصالحـة». وجـزءٌ مـن المهمـة التـي أُعطيتَهـا هـو مسـاعدة الذيـن حولـك فـي أن يصيـروا أصدقـاء مـع ملـكك.

الجزء الثاني

كيف تحصل على قصد اللّه الأفضل لحياتك

انفصل عن قيم العالم

«لاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ.»

رومية ١٢: ٢

عظمة اللّه تنهض الخوف في أعماقنا،ولكن صلاحه يشجّعنا على أن لا نخاف منه. خوفه وعدم الخوف منه – هذا هو التناقض الظاهري في الإيمان

- A.W. Tozer

الفصل السادس

هل تحصل على أفضل ما قصد اللّه لك؟

وَقَالَ لِلْجَمِيعِ: إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي، فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَتْبَعْنِي. فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكْ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي فَهذَا يُخَلِّصُهَا.[1]

- يسوع الناصري

آمل أن تكون قد أنهيتَ الفصل السابق حول التسليم وقد أخذتَ خطوة القول «أنا بالكامل» للّه ومعه. ليس هذا أكثر ما يريده اللّه لنا فحسب، بل هو سرُّ الحصول على أفضل ما قصده لك أيضاً.

كيف تتمم إرادة اللّه الصالحة لك؟

سنعالج في هذا الفصل هذا السؤال بدراسة رومية ١٢: ٢:

وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ.

الراجح أنك قد سمعت هذه الآية من قبل، إذ كثيراً ما تُقتبس، لكن عندما أسمعها، يكون التركيز في الغالب على الجزء الأول:

« وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ».

[1] لوقا ٩ : ٢٣-٢٤

هذه الكلمات بالغة الأهمية وسندرسها بتمعّن وحرص، ولكن غالبًا ما يتم التغاضي عن الجزء الأخير من هذه الآية:

« لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَة.»

انسَ الجزء الأول من هذه الآية للحظات قصيرة، هل يمكنك أن تتخيّل وجود أمرٍ ما نفعله نحن حقًا ويعدنا الله بسببه أن يجعلنا «نختبر» (الفكرة هي أن نختبر بعمق وبالكامل) كم هي إرادته ومشيئته لحياتنا صالحة وكاملة ومرضية. فكّر بهذا الأمر! يا للروعة يريدك الله أن تختبر صلاحه ومشيئته الكاملة المرضية في حياتك الزوجية وعملك ومستقبلك. وهو يريدك أيضًا أن تختبر مشيئته الصالحة المرضيّة في الظروف الصعبة التي تمرّ بها بينما يعلّمك كيف تنتظر وتتعلّم وترى حكمة الله ونعمته يدعمانك.

نقول كلّ هذا لنؤكد لك أن الله يريد أن يعطيك الأفضل، وأن مشيئته لك هي دائمًا صالحة. لم أقل إنها الأسهل! فلا تخلط بين الأفضل وتعريفك لما هو الأفضل. لكن خالق الكون يعرفك بالاسم، ويرى داخل قلبك، ويعلم ألمك، ويتوق إلى أن يسكب صلاحه وقبوله ومشيئته الصالحة في كلّ دائرة وناحية من دوائر ونواحي حياتك وعلاقاتك.

ومن المؤسف أن معظم المؤمنين بالمسيح لا يختبرون مشيئة الله الصالحة. بل ينخدع وينجر معظمهم إلى تصديق أكاذيب تجعلهم منسجمين مع هذا العالم، فيفقدون بالتالي كلّ الأشياء الرائعة التي يريد الله أن يعطيهم إياها.

هناك معركة حقيقية للحصول على أفضل ما يريد الله إعطاءه

لقد شاركت معكم سنواتي الأولى كمؤمن بالمسيح في الفصل الأول حيثُ كنت ممزقًا بين عالمين. كانت حياتي ممتلئة بالفوضى بين دراسة الكتاب المقدس والحانات الليلية، وبين أوقات مقدسة في الصباح مع الله وتخيلات جنسية في الليل. كنت أسأل نفسي بصدق هل كنت سأستطيع يومًا التخلص من إحساسي بأني عالق في الوسط وبعدم وضوح الهدف في هذه المرحلة من حياتي. حاولت أن أتغير. وعدت الله مرارًا وتكرارًا بأن أتغير. وكنت أودّ ذلك بصدق، لكنني لم أكن أعلم كيف. لم أكن أفهم الجزء الأول من رومية ١٢: ٢. لم يكن لديّ أدنى فكرة عن نظام قيم العالم وكيف يعمل. ولم أكن أعلم ما معنى تجديد الذهن، ناهيك عن معرفة سبب كوني عالقًا! وماذا عنك أنت؟ كيف تسير الأمور معك؟ وما الذي يعوقك عن التقدُّم؟

أتمنى لو أن تجربتي كانت غير اعتيادية، لكن الواقع الحقيقي هو أن تسعة من أصل عشرة مؤمنين بالمسيح «يتعثرون» في مكانٍ ما عبر الطريق، ممّا يحرمهم من اختبار كلمات الجزء الأخير من رومية ١٢: ٢.

وينكسر قلبي وأنا أقرأ مئات من رسائل البرّيد الإلكتروني من مؤمنين صادقين عالقين في الوسط ولا يدرون كيف يتقدمون. فعلى سبيل المثال، كتبت امرأة شابة يومًا:

شكرا لك على البث الإذاعي هذا الصباح من سلسلة « كيف تصبح مسيحيًا بحسب رومية ١٢». سلّمت حياتي للمسيح عندما كنت في الثالثة عشرة من عمري، غير أنني مررت بالكثير من الأوقات والظروف الصعبة خلال فترة دراستي الجامعية وتعرضت علاقتي الشخصية باللّه للعديد من المطبات. وأصبحت في الآونة الأخيرة أشعر بالبلادة والبعد عن اللّه. واستيقظت هذا الصباح وسألت نفسي: «إذا متّ اليوم، ماذا سيقول الناس عني؟» بصراحة لا أعتقد أن الوصف «مسيحية» أو «مرسلة من اللّه» سيكون أوّل ما يُكتب عنّي، بل إن كان سيُكتب أيُّ شيءٍ عني أصلًا.

وفي ذلك الحين، حدث أنني أدرت قرص الراديو واستمعت إلى برنامجك بينما كنت أغسل الصحون، وتباركت كثيرًا بما سمعته. كنت في صراعٍ مرير مع الإدمان على الكحول والزنا. واليوم قررت أن أقدّم ذاتي إلى اللّه وأستسلم له بالكامل، لذا أشكرك والرب يباركك.

لقد اتخذت هذه المرأة الخطوة الأولى – الخضوع والتسليم الكامل، ولكن كي يستمر هذا التحول ويصبح دائمًا، ينبغي أن تتبع هذه الخطوة عملية روحيّة سنتعلم عنها من رومية ١٢: ٢ تسلّمتْ البارحة رسالة بريد إلكتروني بعنوان «النجدة!». يصف رجلٌ في هذه الرسالة كيف اتخذ خطوات محددة في كانون الثاني الماضي سببت له تغييرًا دراماتيكيًا في حياته بعد بضعة أشهر فقط، ثم شرع يصف انزلاقه التدريجي والخداع الذي أغرقه فيه تهوره في أسلوب حياة مدمر.

واليوم قررت أن أقدّم ذاتي إلى الله وأستسلم له بالكامل.

قصدي هو: أنا وأنت في حالة حربٍ، كلنا نكافح ونجاهد، كلنا لدينا عثرات وأخطاء في رحلتنا؛ ولكن رغبة اللّه ومشيئته لك هي أن تختبر مشيئته الكاملة الصالحة والمرضية.

ستتغير الحرب وأنت تواصل النضج الروحي، لكن التحوّل الحقيقي أمر ممكن. ما زلت أتصارع مع أفكاري في أوقاتٍ عديدة، وأنا سريع التأثّر بالرسائل المرئية، ولهذا لا بد لي أن أكون حذرًا جدًا بشأن ما أشاهد أو أين أجول بنظري. لقد تصارعت خلال رحلتي مع الإدمان على العمل، وإرضاء الآخرين، والبرّ الذاتي.

وأنا أبتهج بعمل الرب في حياتي، لكن ما زالت لدي إغراءاتٌ يومية وتحديات بينما تقصفني قيم هذا العالم. لكنني سأقول لك أيضًا إن التغيير العميق الدائم حدث في دوافعي وكلامي وتصرفاتي وعلاقاتي التي أصبحت أعمق وأفضل مما كنت أتخيّل. إن مشيئة اللّه صالحة ومرضية بالكامل.

هـذه الحيـاة متاحـة لـك اليـوم، وهـي تنتظـرك. يمكـن لكلمـات الجـزء الأخيـر أن تصـف حياتـك حيـن تتعلّـم أن تضـع بالإيمـان كلمـات رومية ١٢: ٢ قيـد التنفيـذ. وسـنتابع فـي الفصـول الأربعة الآتية رحلتنا معاً كي نتمكن من فعل هذا الأمر بالتحديد – أن نتعلّم كيف نختبر عمليًا مشـيئته الكاملـة الصالحـة والمرضيـة.

إنّها خطوتك الخاصة – أن تصبح مسيحيًا بحسب رومية ١٢

يتـوق اللّه إلـى التكلّـم شـخصيًا معـك. اصـرف دقيقتيـن فـي قـراءة متمهّلـة لأسـئلة واقتراحـات «ثـق بـي» بشـأن النمـو الروحـي. ثـمّ اجلـس بهـدوء ثـلاث دقائـق واسـأل اللّه: «أيّ مـن هـذه الأسـئلة والاقتراحـات يمكـن أن يؤمّـن لـي سـبيلاً لاختبـار النّعمـة التـي سـتقوّيني وتُشـجّعني؟» لا تشـعر بأنّـك مجبـرٌ علـى أن تجيـب عـن كلّ الأسـئلة المطروحـة أو القيـام بـكلّ الأعمـال المقترحـة. بـل اسـتمع إلـى الـروح القـدس فقـط واتبـع قيادتـه لـك.

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

اقرأ رومية ١٢: ٢ ببطء مع تركيز على الجزء الثاني من هذه الآية.

تأمّل (Reflect)

ماذا يتبادر إلى ذهنك عندما تُفكّر بمشيئة الله؟ هل يميل عقلك إلى كلمات مثل «صعب، مؤلم، غير مُسرّ»؟ أم ترى أن مشيئته صالحة ومرضية وتتوافق تماماً مع مصلحتك وفرحك؟ لماذا؟ هي لك على نحو خاص؟

افهم (Understand)

متى وكيف عانيت أكثر معاناة في رحلتك مع المسيح؟ وأيّة عادات أو خطايا أو نكسات تبدو أنّها تُحبط علاقتك الخاصة بالمسيح؟

سلّم (Surrender)

اسأل الله أن يفتح عينيك وقلبك لمعرفة مشيئته الكاملة الصالحة والمرضية في حياتك.

اتخذ إجراء (Take Action)

حدد وقتًا للاستماع إلى الرسالة الصوتية والمرئية على الموقع:
www.levantmedia.com/TS

الدافع (Motivation)

اكتب هذه الصلاة أو ما شابهها على بطاقة صغيرة أو الصقها أمامك على مرآتك:
أيها الآب السماوي، ساعدني أن لا أدع هذا العالم يضغط عليَّ ويُشكلني في قالبه هو، بل غيرني من أعماقي بينما أتأمل وأطبق كلامك في حياتي.

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

أرسل ملاحظة صغيرة إلى شخص ما يعرف المسيح لكنه لا يسلك معه بالتدقيق. دعه يعلم أنك تهتم به وتصلي من أجله اليوم.

12

الفصل السابع

ما الذي يجعل الحياة المسيحية صعبة؟

لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ، وَأَهْلَكَ نَفْسَهُ أَوْ خَسِرَهَا؟[٢]

يسوع الناصري

لا يملك معظم المسيحيين أية فكرة عن سبب صعوبة الحياة المسيحية، ناقشنا في الفصل السابق المعركة التي يجب أن يخوضها يوميًا كل مؤمن، إن لم تفهم ما هي المعركة التي تخوضها، والعدو الذي تواجهه، ومكان حدوث هذه المعركة، فإنك متّجهٌ حتمًا نحو الفشل الروحي والغضب وفي نهاية المطاف إلى اليأس. أعتقد أن معظم المؤمنين بالمسيح يريدون اتّباع المسيح، لكن تواجههم مشكلة واحدة: نحن نعيش في بيئة سامّة لصحتنا الروحية. وتتضمن هذه البيئة السامة «**مَن**، و**أين**، و**ماذا**».

اعرف عدوّك

من – هو إبليس. هو مهندس هذه البيئة السامة الشريرة، وهو أصل الشرّ اسمه الأصلي هو لوسيفر، كان أجمل مخلوقات اللّه وأذكاها. ويُخبِرنا الكتاب المقدّس أن خطيئة إبليس تتمحور حول كبريائه وجماله الطاغي، فقاده هذا إلى محاولة اغتصاب دور اللّه كحاكم وملك لهذا الكون. ترد هذه القصة في أشعياء ١٤ وحزقيال ٢٨. قاد إبليس ثلثي الملائكة في تمرد روحيّ على اللّه. ويشير الكتاب المقدس إلى أولئك الملائكة الذين تبعوه بصفتهم «سلاطين» أو «شياطين» أو «أجناد الشرّ الروحية».

٢ لوقا ٩ : ٢٥

وقد وضح الرب يسوع هدف إبليس الأساسيّ في قوله:

«اَلسَّارِقُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ لِيَسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ، وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ.»
يوحنا ١٠ : ١٠

ومن الضروري أن تفهم، كتابعٍ للمسيح، أنّ لديك عدوّا روحيّا. كما يحذّرنا الرسول بولس في رسالة أفسس:

فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ.
أفسس ٦ : ١٢

أنت في حرب روحية مستمرّة، وهناك الكثير على المحكّ، فلديك عدوّ هدفه الأساسي تحطيم حياتك وعلاقاتك وشهادتك للرب يسوع المسيح.

تعرّف على ما يخبرك به العالم كلّ يوم

عليك أن تفهم العدو وتعرف هويته، وعليك أن تعلم أيضًا أساليبه وأين تحصل هذه المعركة.

أيـن – المكان الذي يعمل فيه الشيطان هو العالم، أو ما يعرف بنظام العالم. لا تشير الكلمة اليونانية «أيون» أي «الدهر» (المستخدمة في رومية ١٢: ٢) إلى العالم المادي الذي نراه، بل إلى نظام العالم الروحي، وهذا العالم مصمم ليجتذب قلبك ويبعدك عن اللّه، ويدمر علاقاتك بالآخرين، ويقودك إلى الخطيئة التي تجلب الإدانة إلى قلبك فتنكسر بذلك علاقتك بأبيك السماوي.

ويتم تعريف نظام هذا العالم «كوسموس» في الكتاب المقدس هكذا: «شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ (١ يوحنا ٢: ١٥–١٧). سنحلل في الفصل القادم بشكل وافٍ ماهية نظام العالم وكيف يُشوّه طريقة تفكيرك، ويُعمي بصائرك، ويفتن روحك. ولكن قبل أن نتفحّص في نظام العالم، عليك أن تفهم ليس فقط **مَـن** (إبليس) و**أيـن** (نظام العالم) للحرب الروحية، بل أيضًا ماذا.

تعرَّف إلى الحرب الروحية الجارية في داخلك

مـاذا – هو ما يدعوه الكتاب المقدس «الجسد»، أو كما في بعض الترجمات «الذات القديمة» أو «الإنسان القديم». يحتار بعض المؤمنين بالمسيح ويصيبهم الإحباط لاكتشافهم بعد تسليم حياتهم للمسيح أن الصراع مع الخطايا القديمة وأنماط الخطايا المعتادة ما زال قائمًا.

فإن كان قد غُفر لنا ونحن الآن خليقة جديدة في المسيح، فلماذا ما زلنا نتصارع ونقع في فخ أنماط حياتنا القديمة؟ وأهم من هذا كله أيضًا، ماذا ينبغي أن نفعل إزاء هذا الأمر؟ وللإجابة على هذه التساؤلات علينا أن نوضح ماذا حصل حقًّا حين وثِقنا بالمسيح وما هي العوائق التي ما زالت قائمة.

عندما وضعتَ إيمانك في المسيح يسوع مخلصاً شخصياً لك، حصلت أمور رائعة في حياتك:

- غُفِرت خطاياك بالكامل وفوراً.
- نلتَ برَّ المسيح الذي حُسِب لك.
- أصبحت من عائلة اللّه.
- أُخرِجت من ملكوت الظلمة وأُدخِلت إلى ملكوت النور.
- سكن الروح القدس في داخلك.
- أصبحت ابنًا / ابنة للّه الحيّ بنعمة اللّه المُعطاة لك من خلال عمل المسيح على الصليب وقيامته.

حصل هذا التحول الروحي الأبدي عندما سمعت الخبر السار عن الرب يسوع المسيح وقبلت بالإيمان نعمة الخلاص. ويصف الكتاب المقدس هذا الأمر بـ «الولادة الجديدة» أو «الولادة من فوق».

ويشرح الرسول بولس هذا الأمر بعمل الفداء حيث تم شراؤك للّه بدم المسيح:

> «أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ، الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللهِ، وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ؟ لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ. فَمَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ للهِ»
> اكورنثوس ٦: ١٩–٢٠

ونتيجة لذلك، تمتلك الآن أربع هبات رائعة من اللّه:

- أنت الآن ابن/ابنة للّه.
- لديك سلامٌ مع للّه.
- لديك ختم الروح القدس عليك للأبدية، وهو يسكن فيك.
- غُفرت لك عقوبة الخطية وكُسر سلطان الخطيئة عنك.

وما لا يفهمه معظم المؤمنين هو أن القدرة على ارتكاب الخطية ما زالت داخل كلّ مؤمن، فرغم أنّ خطايانا قد غُفِرت، وأن لدينا الآن القوة والسلطان للتغلب على المغريات والتجارب.

سنظل نتصارع دائمًا مع الخطيئة لأننا ما زلنا نملك ما يدعوه الكتاب المقدس«الجسد». هذه هي المقدرة التي تسكن داخل كل أولاد اللّه والتي تجذبهم نحو الحياة القديمة والطرق القديمة والرغبة في العيش بعيدًا عن مُلك اللّه على حياتنا. هذا هو ما أشرت إليه في السابق.

القدرة على ارتكاب الخطية ما زالت داخل كلّ مؤمن

يختصر الرسول بولس هذه المعركة بالقول:

«لأَنَّ الْجَسَدَ يَشْتَهِي ضِدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ، وَهذَانِ يُقَاوِمُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، حَتَّى تَفْعَلُونَ مَا لاَ تُرِيدُونَ.»

غلاطية ٥: ١٧

وهاتان القوتان في حرب مستمرة، ولن يكون خيارك أبدًا بعيدًا عن هذا التضارب. وكما ترى، المؤمنون الحقيقيون بالمسيح تبعوه وسط كل هذه البيئة العدائية والسامّة. فإبليس كذاب ومخادع، وهو يستخدم نظام العالم الذي خلقه لإغواء أبناء اللّه بحسب رغبات أجسادهم ليأتي بالدمار إلى حياتهم. ومن المؤسف أن معظم المؤمنين بالمسيح لا يفهمون المعركة التي يخوضونها، والعدو الذي يواجهونه، والوسائل الإلهية التي منحها اللّه لنا للتغلب على إغراءات العدو وتجاربه وخداعه في نظام العالم الحالي. ونتيجةً لذلك، ورغم إخلاص معظم المؤمنين بالمسيح، فإنهم يجدون أنفسهم يعيشون حياة مزدوجة ممتلئة بالمساومات.

بعد المحاولات العديدة الجاهدة لطاعة وصايا العهد الجديد لمشابهة الرب يسوع، يجد معظم المؤمنين أنفسهم محبطين ومهزومين. فالمحاولة الذاتية الجاهدة لفعل الصواب والمشاركة في كل النشاطات الدينية وسائل غير فعالة لمقاومة إغراءات نظام هذا العالم وكذبه المخادع. فبعد خدمتي الرعوية لأكثر من خمسٍ وعشرين سنة، لا أستطيع أن أخبركم كيف أنَّ مقابلة أتباع المسيح الحَسَني النية، الذين يعيشون حياة داخليّة تتّسم بالشّعور بالذّنب والخزي أمرٌ طبيعيٌّ.

وبعد سنين من بذل الجهد الذاتي والفشل الروحي، يحتفظ معظم هؤلاء باعتراف سطحي بالإيمان بالرب يسوع بينما لا تختلف حياتهم كثيرًا عن أصدقائهم غير المؤمنين بالمسيح. وليست هذه مشكلة جديدة، إذ كانت سائدة كذلك في الكنيسة الأولى.

القوتان في حرب مستمرة، ولن يكون خيارك أبدًا بعيدًا عن هذا التضارب

ولهذا يعطينا اللّه الحل لهذه المعضلة:

«وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ.»

رومية ١٢: ٢

تعلَّمنا في رومية ١٢: ١ كيف نعطي اللّه ما يريده أكثر من أي شيء آخر، ألا وهو خضوعنا وتسليمنا الكامل له. ويقدم معظمنا هذا الالتزام في نقطة معينة من حياتنا بعد الخلاص، حيث نعلن الرب يسوع ربًّا على حياتنا وعلى كلّ ما نملك. وتلي تعريف السيادة هذا عملية مفصّلة في رومية ١٢: ٢. لاحظ أن هذه العملية تتميز بأمرين وجملة هدف.

أمران وجملة هدف

• الأمر السلبي (نهي):

«وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ.»

والفعل اليوناني المترجم إلى «تشاكلوا» له خصائص هنا: صيغة المبني للمجهول، وصيغة الأمر وصيغة الحاضر. وتقول الترجمة الموسعة هي: «توقفوا عن السماح لأنفسكم بأن تشكلكم الظروف والضغوطات الموجودة في نظام هذا العالم.»

• الأمر الإيجابي:

«بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ.»

هذا الفعل له أيضًا صيغ ثلاث: صيغة المبني المجهول، وصيغة الأمر، وصيغة الحاضر. تقول ترجمتي الموسعة: «اسمحوا للّه بأن يغير تفكيركم الداخلي وتصرفاتكم الخارجية بالتعاون القلبي المخلص لحظة بلحظة مع عملية تجديد الروح القدس.»

الجملة الهدف:

« لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ.»

الترجمة الموسعة: «كي تختبر حياتكم (طريقة حياتكم طوال الوقت، أي أربعًا وعشرين ساعة على مدى الأسبوع) وتُظهِر مشيئة اللّه الصالحة الكاملة والمرضية.»

يأتي الأمر الأول سلبيًا، أي في صورة النهي: « وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ»، في حين أن الأمر الثاني يأتي إيجابيًا: « بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ». وعبارة الهدف هي التي تقدِّم السبب الذي لأجله يريدنا اللّه أن نعلن الحرب على أكاذيب العالم الحالي وقيمه ويريدنا أن نجدد عقولنا بحسب مشيئته:

« لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ.»

لا أستطيع أن أصف الحسرة التي شهدتها على مدى السنوات وأنا أرى زملائي المؤمنين

بالمسيح محاصرين بالإدمان ومحتجزين في أنماط حياة خاطئة. فقد سلبت هذه منهم فرحهم وعملهم، وتفكّكت عائلاتهم، وأصبحوا أسرى عواطفهم ورغباتهم. لا يستطيعون أن يفهموا كيف يستخدم إبليس نظام قيم هذا العالم ليؤثر في طريقة تفكيرهم بطرق دمرت وتدمّر علاقتهم الحميمة باللّه. ولو أنهم استطاعوا فقط فهم كيفية تطبيق رومية ١٢: ٢، لتغيرت حياتهم كليًا. دعونا نلقِ نظرة هذا النص عن قرب.

الفعل الموجود في جملة: « وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ» يرِد في صيغة المجهول (في اللغة الأصلية)، أي أنّه يشدّد على متلقّي هذا الفعل (أنتم)، فالعالم يحاول باستمرار أن يشكّلنا بحسب قالبه. وتتضمن الجملة أيضًا صيغة النهي، حيث تستوجب الاستجابة تفعيل إرادتك.

أخيرًا، هذا الفعل هو في صيغة المضارع – أي أن ما هو منهيٌّ عنه هنا كان يحصل في الواقع في ذلك الحين في الكنيسة. ويقدم الدرس المذكور في قواعد اللغة بعض النتائج المثيرة للاهتمام. تعكس ترجمتي الموسعة لهذا النص بعض الفهم للتركيبة النحوية:

توقفوا عن السماح لأنفسكم بأن تشكلكم الظروف والضغوطات الموجودة في نظام هذا العالم. توقفوا عن السماح لإبليس بأن يستغفلكم ويخدعكم ويعدكم بحياة وحب وسلطان وقوّة من خلال نظام العالم المغري الذي لن يعود عليكم إلا بخيبة الأمل والهزيمة والاكتئاب، وسيجعلكم عبيداً للخطيئة.

إلى متى علينا، كأتباع للمسيح، أن نستمر في تصديق الأكاذيب أن الجنس والرّاتب المرتفع والمكانة الاجتماعية هي ما تجعلك «ذا قيمة»؟ متى سنميط اللثام عن الخداع ونكتشف أن المتع الحسية، والممتلكات، والمراكز بعيداً عن اللّه لن تُشبِع أبداً أعمق احتياجات نفوسنا؟

لقد شاركت في الفصل السابق عن صراعاتي ورحلتي في هذا المجال، فمع أنني كنت ابنًا حقيقيّاً للّه، كانت الشهوة مستمرّة في السّيطرة على عقلي. تجذرت أفكاري وتصرفاتي بالإيمان الخادع بأن إشباع الغريزة الجنسية والشهرة والشعبية ستجلب معها السعادة الأبدية والاكتفاء. كنت أعبد صنم ذاتي واستخدمت الجنس الآخر كوسيلة إشباع ذاتية بدلًا من أن تكون تلك العلاقات فرصة للحب الحقيقي والعلاقة العميقة، وإضافة إلى ذلك، لم تكن كرة السلة مجرد لعبة تُمارس في الجامعة.

إذ كانت محاولة مني لاكتساب مكانة مهمّة في عيون الآخرين ولإثبات أن أدائي كان مهمًا وجديرًا بالاهتمام. ركزت اهتمامي على صورتي، أمام الآخرين، وصورة أدائي، وعلى الأشخاص الذين أحتاج إلى أن أثير إعجابهم، وكيف أحصل على ما أريد.

كانت شفتاي تقولان أمورًا بينما كانت حياتي تقول أمورًا أخرى – وفي أصدق لحظاتي، كان يتملكني شعور طاغٍ بالذنب والازدواجية. وكان عليَّ التحرك بسرعة وإخماد روح الإدانة بينما أعيش هذه الحياة المزدوجة. كنت من الداخل أشعر بالتعاسة، ومن الخارج كنت أشوّه وألطخ اسم ذاك الذي قدم حياته ذبيحة على الصليب من أجلي.

يبدو الأمر جليًا وأنا أستذكره الآن، ولكن في ذلك الحين، لم أكن أعلم سر صعوبة عيش الحياة المسيحية، ولِمَ تحول ما كان ممتلئًا بالبهجة والمغامرة الممتعة إلى معركة قبيحة خاسرة معظم الوقت.

إنّها خطوتك الخاصة– أن تصبح مسيحيًا بحسب رومية ١٢

فماذا عنك أنت؟ كيف تُبلي في المعركة؟ ما نوع الازدواجية الذي تراه في حياتك؟ هل توقفت للحظة لتتأمل ما تفتقده من مشيئة اللّه لحياتك؟ أتريد أن تتغير؟ أتريد أن تفهم كيف يعمل نظام هذا العالم ولماذا يمتلك كلّ هذه القوة على سرقة قلبك وعواطفك من الرب إلهك؟

حسنًا، هذا ما ينتظرك في الفصل القادم، سنكتشف ما هو نظام العالم بالضبط وكيف يعمل في حياتي وحياتك.

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

ما الفهم الجديد الذي اكتسبتَه في هذا الفصل؟

تأمّل (Reflect)

لم الحياة المسيحية بهذه الصعوبة؟ ما هي الاستراتيجيات التي يستخدمها العدو في نظام هذا العالم والتي تغريك أكثر من غيرها؟

افهم (Understand)

كيف يمكنك حاليًا محاربة تأثيرات «قيم العالم» في حياتك؟ ما الذي ينجح؟ وما الذي لا ينجح؟

سلّم (Surrender)

شارك بصدق مع اللّه أكثر مَواطِن صراعاتك قوةً في حياتك. ثم اجلس بهدوء واستمع بعد أن تسأل اللّه أن يكشف عن أي شخص أو أمر يعيق علاقتك الشخصية بالمسيح.

اتخذ إجراء (Take Action)

عالج كلّ ما يكشفه اللّه لك بالصلاة بينما تستمع إليه. اسأله المغفرة وأعلن هذه الآية: «إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ.» (ايوحنا ١: ٩)

الدافع (Motivation)

حدد وقتًا للاستماع إلى الرسالة الصوتية والمرئية على الموقع:
www.levantmedia.com/TS

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

ادعُ إلى منزلك أو إلى العشاء أو إلى درس الكتاب شخصًا تعلم أنه يمرّ بصراع روحي، بغرض التواصل معه ومعرفة أخباره.

الفصل الثامن

هل أنت مُحِبٌّ أمين؟

ثُمَّ أُصْعِدَ الرب يسوع إِلى البرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ. فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَخِيرًا فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرِّبُ وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا.»[٣]

- تجربة يسوع

كان دايفيد (ليس اسمه الحقيقي) يرتجف بالكامل، اصفرّ وجهه وهو يستذكر قصة الساعات الأربع والعشرين الأخيرة. كانت الدموع تغطي وجنتيه بينما أخذ يشاركني باكتشاف خيانة زوجته له. ففي الليلة السابقة شاهد رجل الشرطة سيارة في منطقة نائية ومصابيحها مطفأة، وعندما حقق في الأمر وجد زوجة دايفيد تمارس الجنس مع رجلٍ آخر في مؤخّرة هذه السيارة، كانت مشاعر دايفيد تختلط بين الغضب والإحراج والنكران. تواجه أمور كثيرة راعي الكنيسة المحلية، ولكن لا شيء يماثل شعور الألم والدمار عندما يكتشف أحد الزوجين خيانة الطرف الآخر.

لا عشاق آخرون!

أشارك هذه القصة على أمل أن تستطيع أن تلمس عمق المشاعر ومستوى الألم والرفض الذي يحدث في قلب شخصٍ ما عندما يعاني من جرح الخيانة. فالعلاقات الغرامية غير المشروعة تدمر العلاقات، وهي تدمّر الثقة.

٣ متى ٤ : ١-٣

ما من علاقة يمكنها الاستمرار إذا ادّعى أحد الطرفين الإخلاص للطرف الآخر بينما هو يعيش سرًا حياة مخفيّة مزدوجة. يمكننا احتمال أيّ عدد من العيوب والشوائب في الشريك الآخر، لكن يوجد حدود لا يمكن تخطيها أبدًا... لا عشاق آخرون!!

نرى في رومية ١٢ أنّ هذا هو جوهر موقف اللّه الأساسي معنا: « وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ» هو إعلان اللّه من أجل سلامة العلاقة معه. فهو لن يتحمّل «عشاقًا آخرين!» لا يشير هذا الدهر أو هذا «العالم» إلى العالم الماديّ المحسوس، بل إلى النظرة الكونية أو نظام العالم الذي يصممه إبليس. وعندما يأمرنا اللّه: « وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ»، أي بعدم السماح لقيم هذا العالم بأن تضغطنا في قالبها، يعطينا اللّه أمرًا بشأن الإخلاص الروحي له. تكلّم اللّه مرات كثيرة في العهد القديم إلى شعبه واصفًا إياهم بكونهم زناة روحيين أداروا ظهورهم له وعبدوا أوثانًا. وفي هذا المقطع يحرص الرسول بولس على أن يحمّل عبارة «هذا الدهر» كلّ المعاني التي كان يفهمها قرّاء القرن الأول في الكنيسة.

كيف يعرّف اللّه «العالم»

ما هو «العالم» بالضبط؟ ممَّ يتألف؟ من أين له سلطان التشكيل أو التأثير في حياتنا؟ كيف يمكن إغراء المسيحيّين الصادقين به وبقيمه فيجرهم لارتكاب الزنى الروحي؟ كيف نتجنّب عواقب إغراءات هذا العالم على المستوى الشخصي ومستوى العلاقات؟ سنكتشف في هذا الفصل الإجابة عن كل هذه الأسئلة.

في بعض الأحيان يكون أفضل تفسير للكتاب المقدس الكتاب المقدس نفسه. بكلمات أخرى، استُخدم تعبير «العالم» في أماكن أخرى من الكتاب المقدس بطريقة تشرح فيها معناها بالتحديد. مثلًا:

> لاَ تُحِبُّوا الْعَالَمَ وَلاَ الأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ. إِنْ أَحَبَّ أَحَدٌ الْعَالَمَ فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ الآبِ. لأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ: شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الآبِ بَلْ مِنَ الْعَالَمِ. وَالْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ فَيَثْبُتُ إِلى الأَبَدِ.
>
> ١ يوحنا ٢ : ١٥–١٧

لاحظ عدد المرات التي استخدمت فيها كلمة «حب/ محبة» بأشكالها المختلفة في هذه الآيات الثلاث. أشرتُ إليها بالخط العريض.

يتحدث هذا المقطع عن الحب، أي عن العلاقة الشخصية الخاصة. لقد وضعت خطاً أيضًا تحت كلمة « العالم» لمساعدتك على رؤية أن موضوع هذا المقطع هو المنافسة بين محبتنا للعالم وكل ما يقدمه ويعرضه علينا مقابل محبتنا للّه وكل ما يعرضه.

وتلي عبارة «كلّ ما في العالم» ثلاثة أشياء محددة من قيم هذا العالم: «شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ.» وبما أن هذه العبارات لا تُستَخدَم فعليًا في الحياة اليومية، سأقدم لك تفسيرها:

- شَهْوَةَ الْجَسَدِ = الرغبة الجامحة في الحسّية – الشغف بالمتعة
- شَهْوَةَ الْعُيُونِ = الرغبة الجامحة في التملّك – الميل إلى المادية
- تَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ = الرغبة الجامحة في «أن تكون» – الأنانية والتمركز حول الذات.

تظهر هذه الأنواع من الشغف بكلّ وضوح نظام العالم وقيمه. إنّها رغباتنا المكبوتة للمتعة والأملاك والمناصب التي تَعِدنا بالتميز والأمان والسعادة. وتتجذّر الرسالة المخفية وراء كلّ إعلان تجاري ودعائي في في إثارة إحدى هذه الرغبات.

وشَهْوَة الْجَسَدِ هي الجنس، إنّها تتعلّق بإشباع احتياجاتنا إلى كلّ ما يجلب لنا المتعة، إلى احتياج إلى المزيد لا يشبع. وشَهْوَة الْعُيُونِ تتعلق بالرواتب والسلطة والقوة التي يأتي بها المال.

وتَعَظُّم الْمَعِيشَةِ تتعلّق بالمركز والتّفوق. يتعلق تعظّم المعيشة بامتلاك أو تحقيق هذه الرموز الخارجية التي تعطي الآخرين صورةً عن قيمنا ومركزنا وأهمّيتنا.

أمرٌ جيّد بأسلوب سيّئ

أرجو أن تنتبه إلى أنّ كلّ واحدة من قيم العالم متجذرة في الاحتياجات والرغبات المشروعة التي أعطانا إياها الله كبشر. فالاحتياج إلى الطعام، والرغبة في الجنس، والترفيه والمتعة كلّها هامة وضرورية ولا يمكن اعتبارها شرّا. لكن نظام قيم العالم يسعى إلى إعطائك الأشياء الجيدة بأسلوب سيئ أو في توقيت سيئ.

مثلًا، الجنس هبة من الله لشخصين متزوجين، والغرض منه هو المتعة والتناسل ووسيلة لإيصال الحب بحماس والتزام نحو الشريك الآخر. لكن نفس هذه الرغبة المشروعة عندما تؤخذ خارج الرباط الزوجي، تصبح هدفًا بحد ذاتها. ونحن نعيش في مجتمع مشبع بالجنس، سواء أكان ذلك في المجلات المنتشرة في كل مكان ودعاية المنتجات التي «تحتاج إليها» لتبدو وتشعر بأنك مثير، أم الإعلانات المزعجة التي تظهر فجأة على جهاز الكمبيوتر الخاص بك وتدعوك إلى الدخول إلى المواقع الإباحية الإلكترونية.

الجنس يسيطر على التفكير والمواقف والسلوكيات في هذا العالم. وليس المؤمنون بالمسيح محصَّنين ضد إغراءات وتجاذبات الرسائل الجنسية التي تمطر مئات المرّات يوميًا عليهم. تحذير الله

هو أن هذه الآراء الخاطئة عن الحياة الجنسية مع وعودها بأن تجعلك تشعر بالاكتفاء هي في منافسة مباشرة على قلبك وعقلك.

وعلى نفس المنوال، ليس هناك بالتأكيد خطأ في امتلاك أشياء نحن بحاجة إليها لنعيش، وليس خطأ أن تمتلك منزلًا أو سيارة أو تمتلك الأموال في المصارف. لكن شهوة العيون هي ذلك الشّغف إلى امتلاك المزيد والمزيد في سعيك إلى إثبات قيمتك وتأمين أمانك والتأثير بمن حولك.

وشهوة العيون هي ما تنتج مدمني العمل ومدمني التسوق، ونفس الشهوة العالمية هي السبب الرئيسي وراء الديون الشخصية الهائلة والضغوطات المالية التي يرزح تحتها أغلبية المسيحيين يوميًا. هذه كلها مؤشرات إلى أن قلوبنا أُغريت من قبل عاشق آخر– إله آخر– المال.

كم من شخص تعرفه (بما فيهم أنت شخصيًا) يعملون لساعات جنونية لابتياع أمورٍ ليسوا بحاجة إليها أساسًا، ولإثارة إعجاب أشخاصٍ لا يعرفونهم، على حساب صحتهم، وعائلاتهم، ونموهم الروحي؟

المغوي الثالث في نظام قيم العالم هو تعظُّم المعيشة، وهو شغف المكانة – أن تكون مميزًا وهامًا ومشهورًا، وأن تكون في المقدمة، وتُعامَل معاملة خاصة، ويُنْظر إليك على أنك أفضل من غيرك. إنه أن تجعل غرورك الذاتي واحتياجاتك مركزًا للكون. ويظهر الشغف بأن تكونَ الأول، في الطليعة، والتغلب على كلّ منافسيك، وإظهار تفوقك للعالم في كلّ شيء حواليك – من الملاعب الرياضية للشباب حتى أعلى المناصب في الأرض.

ويكذب الناس ويغشون ويطعنون آخرين في الظهر، ويفعلون تقريبًا أي شيء لاكتساب مراكز النفوذ والسلطة والشعبية، سواء أكان ذلك يتضمن الفضائح على شاشات التلفزة أم السعي إلى ابتياع مركز حكومي، أم العاطفة الجامحة للأمجاد الخاصة. كلّ هذه ذات نتائج مدمرة على صعيد علاقتك الشخصية بالرب يسوع المسيح.

تكلم اللّه بعبارات لا لبس فيها:

> « أَنَا الرَّبُّ هذَا اسْمِي، وَمَجْدِي لاَ أُعْطِيهِ لآخَرَ، وَلاَ تَسْبِيحِي لِلْمَنْحُوتَاتِ.»
> أشعياء ٤٢ : ٨

غالبا ما نبدأ بدوافع نقية في عملنا، وعائلاتنا، وخدمتنا، وأنشطتنا الرياضية، وعلاقاتنا، لكنّنا نسمح تدريجياً بعد ذلك لهذه الدوافع مع مرور الوقت بأن تصبح « شخصية وخاصة بك». هكذا يعمل نظام قيم العالم على أشخاص مثلي ومثلك.

الجنس والراتب والمركز... أمام عتبة دارك

طالما سمعت وصفًا لهذه القيم الثلاث بعدة طرق. لكن ما أريدك أن تلاحظه وأنت تنظر إلى القائمة التالية هو أنّ هذه المشاعر المشحونة تعمل يوميًا من خلال التلفاز والأفلام والإعلانات والأزياء والمجلات والثقافة الشعبية.

وهي مصممة إستراتيجيًا لإغواء قلبك بعيداً عن المسيح، لقد صمم إبليس مجموعة من القيم في هذا العالم الساقط لتجذب جسدك وتغريك لتلبية الاحتياجات والرغبات المشروعة للأحاسيس والامتلاك والكينونة... بعيدًا تمامًا عن اللّه. اطلب من الروح القدس وأنت تقرأ القائمة التالية أن يشير إلى أيّ من هذه القيم أنت أكثر تأثرًا بها.

شغف العالم			إغراءات العالم	
الإحساس	الجنس	المتعة	الفتيات / الفتيان	طعام
التملك	الراتب	الأملاك	ذهب	ثروة
الكينونة	المركز	المكانة	مجد	شهرة

سمع المؤمنون بالمسيح على مدى خمسين عامًا العديد من العظات عن الشر الموجود في بعض الأمور المذكورة أعلاه. وفي جهودنا للتخلص من الحركة الأصولية القديمة لنصبح أكثر صلة بـ «الثقافة»، يبدو أننا قد سقطنا فيها. إذ تشدد الحركة الأصولية على إدانة المتعة المحلَّلة من اللّه وجمال الحميمية الجنسية والوكالة الصحيحة والتمتع بالممتلكات.

وكرد فعل على مسيحيةٍ كثيرةِ القوانين وتفتقر إلى المرح، أخشى أننا أصبحنا جيلًا من المسيحيين الذين يعتقدون أن الجنس والراتب والمركز هي المفاتيح الأساسية لحياة مكتفية وسعيدة.

وحسب آخر الإحصاءات، لا يعيش المؤمن المعتدل بطريقة مختلفة بشكلٍ ملحوظ عن أولئك البعيدين عن الإيمان. وقد أنتجت الوعود الحضارية عن الجنس المحموم والبيت الكبير والوظيفة الرائعة والارتقاء إلى أعلى نسب طلاق لم يسبق لها مثيل وانهياراً ماليّاً وأطفالاً محرومين واكتئاباً على نطاق واسع بين الكثيرين ممن يُدعون باسم المسيح. ولهذا نرى أن كنيسة القرن الحادي والعشرين ضعيفة ودنيوية.

تأمل حقيقة كَوْن وجهات نظر المؤمنين بالمسيح لا ترقى إلى مستوى وقياس المسيحية التقليدية. إليك دراسة قام بها كلّ من كينمان (Kinnaman) وليونز (Lyons) في كتابهما «غير مسيحي» (UnChristian).

اعتمدت هذه الدراسة على عينة من المسيحيين المولودين ثانية من الشريحة العمرية ٢٣-٤١ وكذلك ممّن في سن الثانية وأربعين وما فوق، والذين يعدّون أن بعض هذه الأمور مقبولة أخلاقيًا.

إليك نتيجة هذه الدراسة في القائمة التالية:

العمر	٢٣-٤١	٤٢+
• مساكنة	٥٩%	٣٣%
• لعب الميسر	٥٨%	٣٨%
• أفكار أو تخيلات جنسية عن شخص ما	٥٧%	٣٥%
• ممارسة الجنس خارج العلاقة الزوجية	٤٤%	٢٣%
• مشاهدة صور وأفلام إباحية	٣٣%	١٩%
• إجهاض جنين	٣٢%	٢٧%
• سلوك جنسي مثلي	٢٨%	١٣%

نرى نسبة من المسيحيين تتعارض وجهات نظرهم مع الكتاب المقدس، يمكنك أن ترى من وجهة نظر المسيحيّين الصغار في السن أن الأمور لا تتحسن، لم أقصد بهذه الكلمات الإدانة ولكنني قصدت سرد الوقائع الحقيقية والمحزنة.

من تُحبّ حقًا؟

اقرأ ببطء وبتمعن الوصية الواردة في ايوحنّا ٢: ١٥

«لاَ تُحِبُّوا الْعَالَمَ (قيم العالم كوسيلة لملء أشواقك القلبية العميقة) وَلاَ الأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ.»

لماذا؟

«إِنْ أَحَبَّ أَحَدٌ الْعَالَمَ فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ الآبِ.»

هل تدرك معنى هذا الأمر؟ هل يمكنك أن تفهم حتى من بعيد ما معنى أن تحب شخصًا ما لدرجة أن تترك كل شيء من أجله، وتعاني ظلمًا من أجله، وأن يسخر منك ويستهزئ بك أحباؤك ويرفضونك، ثم تختار بإرادتك أن تموت بدلًا عنهم لتراهم يركضون إلى أحضان عاشق آخر (العالم – الذي صمّمه وهندسه إبليس نفسه).

وإن حدث أنك تعتقد أنني أبالغ، فإليك ما كتبه يعقوب، الأخ غير الشقيق للرب يسوع، في وصفه علاقة المؤمن الحقيقي بالعالم الحاضر:

أَيُّهَا الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ للهِ؟ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْعَالَمِ، فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا للهِ. أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ الْكِتَابَ يَقُولُ بَاطِلًا: الرُّوحُ الَّذِي حَلَّ فِينَا يَشْتَاقُ إِلَى الْحَسَدِ؟
يعقوب٤ : ٤-٥

في بعض الأحيان، عندما كنت أقرأ هذا المقطع كنت حرفيًا أبكي على حال الكنيسة، وفي أحيان أخرى كنت أقرأ هذا المقطع وأنظر داخل قلبي، وكان الأمر يحزنني للغاية. فكما ترى، يعمل نظام قيم العالم في كلّ مكان. يمكنك أن تكون راعيًا عظيمًا تعمل كلّ ما يطلبه اللّه منك، ومع هذا فإن «شَهْوَةَ الْعُيُونِ» لديك يمكن أن تكون الحصول على خدمة أكبر أو منزل أكبر أو مؤسسة أكبر.

ولا يعني«أن تكون دنيويًا» في المقام الأول سلوكيات خارجية وقائمة من القواعد حول ما يمكنك أو لا يمكنك فعله، ففي قلب «الدنيوية» تجد من تحبه وتثق به في تلبية أعمق احتياجات حياتك. عندما أنظر إلى الأمر من هذا المنظار، أصبح أقل انشغالاً ببعض الحجج الخارجية حول ما هو مقبول أو غير مقبول وأصبح أكثر تركيزًا على علاقة محبتي الشخصية بالرب يسوع. أين أنت من هذا الأمر؟ كيف تسير أمورك؟ هل أغرى نظام هذا العالم قلبك؟ كيف تغيَّرتَ؟ وما هو الجواب؟

أنا شخصياً مقتنع بأن الكثير من الدنيوية لدينا هو سوء الفهم الكلي للقضية الحقيقية.هناك عدد كبير جدّاً من الناس الذين أعادوا الخطيئة مرارًا وتكرارًا لأنهم يعتقدون أن للمسألة علاقة بسلوكهم الفعلي، لكن السلوك مجرد الأعراض الظاهرة، وأما القضية الحقيقية فهي أعمق بكثير. إذا بدأنا نشعر بالحزن العميق إزاء الوقوع في أحضان عاشق آخر وفهمنا مدى عمق الحزن الذي يصيب إلهنا الذي يحبنا ويتوق إلى أن يعطينا الأفضل، أعتقد أننا سوف نرى مؤمنين كثيرين يعيشون كمؤمنين.

ففي قلب «الدنيوية» تجد من تحبه وتثق به في تلبية أعمق احتياجات حياتك.

أنا مندهش أنّه حتّى في خطيّتنا نتوصّل إلى طريقة لجعل الأمر «يتمحور حولي»: خطيئتي، مشكلتي، سلوكي، إدماني، صراعاتي، خلفيتي الصعبة. كل هذه كلمات وتعابير تركز على الذات فقط.

«لاَ تُحِبُّوا الْعَالَمَ وَلاَ الأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ – شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ» لماذا؟ لأننا عندما نفعل هذا، نصبح زناة روحيين، نخون ثقة الآب بنا، وندمّر أنفسنا والآخرين.

لكن الأهم من هذا كله، هو أننا عندما نحب العالم، نكسر علاقتنا باللّه الآب السماوي فنتلقى عواقب خطيئتنا بدل من أن نختبر تغييرًا في أرواحنا.

إنّها خطوتك الخاصة– أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢

إذًا كيف يسير هذا الأمر؟ كيف تختبر النصرة على قيم العالم الحالي؟ كيف يمكنك أن تصبح أكثر نقاء روحيًا من دون أن تكون مفصولاً عن ثقافتك؟ كيف تتحرر إن كنت محتجزًا في بعض معاقل الخطيئة؟ حسنًا، هذا هو ما سنتكلّم عنه في الفصل التالي.

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

في أية ناحية تكلم اللّه إليك في هذا الفصل؟ ما هي المشكلة الكبيرة الوحيدة التي ظهرت على السطح في حياتك؟

تأمّل (Reflect)

كيف تغيرت جاذبية هذا العالم بالنسبة إليك عندما علمت أنه مغرٍ؟ كيف جعلك تغيير صورة الخطية بصفتها «قضية علاقة»، وليست مجرَّد «تجاوز القانون»، تشعر تجاه المرات التي أخطأت وتخطئ فيها؟

افهم (Understand)

أين يكمن ضعفك الذي يجعلك أكثر عرضة لخداع هذا العالم؟ شَهْوَةَ الْجَسَدِ – شَهْوَةَ الْعُيُونِ – تَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ.

سلّم (Surrender)

اسأل اللّه أن يعطيك الشجاعة لتتغلب على حالة النكران والتبرير فتصبح صادقًا تماماً مع نفسك ومع اللّه، كن حقيقيًا وصادقاً، وتحمّل مسؤولية أعمالك، وتُب، واقبل الغفران من اللّه.

اتخذ إجراء (Take Action)

صُم مدة ثلاثة أيّام أو أربعة أو حتى سبعة عن كل أجهزة الاتصالات. اقطع خطوط التلفاز، وتوقف عن حضور الأفلام، وأنشطة الكومبيوتر غير المتعلقة بالعمل ... وشاهد ماذا يحدث. (رومية ٣١: ٤١).

الدافع (Motivation)

حدد وقتًا للاستماع إلى الرسالة الصوتية والمرئية على الموقع:

www.levantmedia.com/TS

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

حمّل الرسالة التي شاهدتها عبر الرابط وأعطها لشخص تعلم أنّها سوف تساعده.

الفصل التاسع

هل يُمكن أن يقتل نظام غذائك العقلي روحك؟

فَأَجَابَ وَقَالَ: «مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ».[٤]

- يسوع الناصري

كنت أتحدث مؤخرًا مع صديق عن فيلم وثائقي شاهده مع أولاده، يدور الفيلم حول شخصٍ اختبر نوعية الطعام في أحد مطاعم الوجبات السريعة الأمريكية الأكثر شهرة. كانت خطة الثلاثين يومًا تتضمن أن لا يأكل غير الوجبات السريعة المصنعة صبحًا وظهرًا ومساءً. أُجريت له الفحوص والتحليل وسيُعاد إجراؤها، والتي تتعلّق بمستوى الدهون، والدهون الثلاثية، وزيادة الوزن، والصحة العامة، قبل البدء بالاختبار وستُجرى له تحاليل وفحوص أُخرى مماثلة بعد الانتهاء منها.

ومؤسفٌ أن فترة الاختبار لم تستمرّ ثلاثين يومًا، فبعد حوالي عشرين يوماً من اتّباع نظام غذائي ثابت من الوجبات السريعة فقط، بدأت وظائف جسد الرجل تتعطل، حيث بدأت المستويات العالية من السكر والدهون والأغذية المقليّة والمعالجة ببناء السموم داخل الجسم إلى درجة أنه تم نقله إلى المستشفى للمعالجة العاجلة. ومن المفارقات الساخرة أنّ الطعام كان لذيذًا، ولكنّ المؤسف أنه كاد يُفقده حياته.

٤ متى ٤ : ٤

طعمٌ رائع ولكنه قد يقتلك

ليس كل ما طعمه رائعٌ مناسبًا لنا. يخبرنا الباحثون بأننا قد نُصاب بالإدمان نتيجة طعم بعض أنواع الطعام (سكّر أو حلويات). قد يبدو الطعام رائعًا ورائحته جميلة، وطعمه لذيذًا، لكن كلّ هذا لا يعني أنّه جيّد للصحة. تعدك كلّ هذه الأطعمة بالمتعة واللذة والمرح (تناوَل برغبين الوقت والآخر لن يؤذي أحداً)، لكن اتّباع نظام غذائي ثابت غني بالسعرات الحرارية والدهون وفقير بالتغذية الصحيحة سيقتلك حرفيًا. وكما قال أحدهم يومًا بحكمة:

«ما نحن إلا ما نأكله!»

إن ما لا يُدركه معظم المؤمنين بالمسيح هو أن الأمر نفسه ينطبق على المجال الروحي. إذا ملأنا أفكارنا بنظام قيم العالم (كما ناقشنا في الفصل الثامن – شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ)، فسنموت. وسنختبر الموت أو الانفصال في علاقتنا الشخصية بالله وأنفسنا والآخرين. إنه يشبه الوجبات السريعة المصنعة إذ طعمه لذيذ ويبدو رائعاً و ويعد بقضاء وقتٍ جميل ورائع لينتهي في الحقيقة بالموت. ولكي نتمتع بحياتنا ونحصل على أفضل ما يقدمه لنا الرب، علينا أن نُغيّر نظامنا الغذائي. تكلّمنا في الفصلين السابقين عن النّهي الوارد في رومية ١٢: ٢:

« وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ.» وفي هذا الفصل سنلقي نظرة على الأمر الإيجابي:

«تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ.»

ليس اتّباع القواعد والمبادئ المتعارف عليها هو حلّ لدى الله للتغيير الحقيقي، ولا يأتي هذا الحل بمجرّد التركيز على كلّ الأشياء التي لا يجب أن نقوم بها. ليس الحل الإلهي هو أن تحاول جاهدًا أن تكون أكثر أخلاقية أو أكثر نقاء روحيًا من خلال الجهد الذاتي. وفي واقع الأمر، لا يرتكز الحل الإلهي أساسًا على النشاطات والبرامج الدينية. ورغم أهمية حضور الاجتماعات في الكنيسة والمشاركة في البرامج الكنسية ودورها وفوائدها، لكنها في حد ذاتها غير قادرة على إحداث تغيير دائم في الحياة.

كلا، فالتحوُّل الفائق للطبيعة يأتي من غذائنا الروحي، وتكمن ساحة المعركة الروحية (كما رأينا في الفصل السابق) في الذهن. ويستخدم إبليس نظام قيم العالم ليغري جسدك بشكلٍ أساسيٍّ من خلال استخدام الأكاذيب عمّا يكفيك ويملأ أعمق أشواقك القلبية. وعقلك هو المفتاح لاختراق قلبك.

والقرار اليومي الأكثر أهمية يتعلّق بالأمور التي تسمح لها بالدخول إلى عقلك! وإن كنت تعتقد أنني أبالغ في هذا الأمر، ألقِ نظرة قريبة أخرى على الأمر الإيجابي في رومية ١٢: ٢: « وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ.» الفعل «تغيّروا» يرتبط بالكلمة اليوناني التي تُشتق

منها الكلمة الإنجليزية metamorphosis. وتعني كلمة meta «مع»، بينما تعني كلمة morphosis «التحول».

التحول (metamorphosis): نتائج الغذاء الروحي الفعال

التحول (metamorphosis) هو عملية التغيير الذي يحصل من الداخل إلى الخارج، خذ مثلًا الفراشة الجميلة التي نستمتع بمشاهدة ألوانها البرّاقة الجميلة وعلاماتها المميزة، والتي كانت قبلًا دودة صغيرة خضراء تزحف على غصن الشجرة. ثم يحدث التغيير بعد أن تدخل لفترة في بيئة جديدة تدعى الشرنقة. فتتحول الدودة الخضراء مع الوقت من الداخل إلى الخارج لتصبح فراشة جميلة.

ويسمي العلم هذه العملية metamorphosis، أي تغيير الشكل والانسلاخ. وقد استُخدمت هذه الكلمة أيضًا في مرقس ٩: « وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ.»

اصطحب الرب يسوع معه أقرب ثلاثة من أتباعه إلى أعلى أحد الجبال، حيث تقابلوا مع موسى وإيليا وسمعوا صوت اللّه يشهد ويؤكّد على أن الرب يسوع هو ابن اللّه. وفي وسط هذا الاختبار، يقول الكتاب: «وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ.»

لم يذكر الكتاب أن ضوءًا مشعًا كان يأتي من السماء على الرب يسوع، بل إن نورًا ساطعًا أقوى من نور الشمس كان ينبعث منه بينما كان يكشف مجده وألوهيته لبطرس، ويعقوب ويوحنّا. والنقطة الأساسية التي أريد توضيحها هي أن تغيير الحياة – النضوج الروحي الحقيقي والأصيل– ليس نتيجة جهد ذاتي خارجي، بل عملية فائقة للطبيعة تتدفق من الداخل إلى الخارج.

ولفهم هذه العملية بشكل أوضح وأفضل، تحتاج إلى دراسة قواعد اللغة التي كُتبت فيها رومية ١٢: ٢ وَلاَ تُشَاكِلُوا (بعد اليوم لأيّ من أنماط) هـذَا الدَّهْـرِ، بَـلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَـكْلِكُمْ بِتَجْدِيـدِ أَذْهَانِكُمْ (عندها ستكون قادراً على اختبار)، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِـيَ إِرَادَةُ اللهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّـةُ الْكَامِلَةُ.

الأمر الإيجابي:

« بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ.»

« تغيروا»: هذا الفعل له سمات ثلاث: صيغة المجهول، صيغة الأمر، وصيغة الحاضر. تدل صيغة المجهول على أن اللّه وحده هو من يتمّم هذا الأمر في حياتنا. في حين أن صيغة الأمر تفيد أن علينا أن نتحمّل مسؤوليتنا في التّعاون مع اللّه في عملية التغيير هذه. وأخيرًا، تدل صيغة الحاضر على أنها عملية متواصلة.

الترجمة الموسعة التالية تعطيك نوعاً من الإحساس بشأن ما تشير إليه قواعد اللغة:

«اسمحوا للّه بأن يغيّر تفكيركم الداخلي وسلوككم الخارجي بالكامل بالتعاون القلبي لحظة فلحظة مع عملية التّجديد التي يجريها الروح القدس.»

ما لا يدركه معظمنا هو أننا نتغير في أفكارنا طوال الوقت – إمّا بسبب نظام قيم العالم أو بسبب الحق في كلمة اللّه. ويمطرنا العالم بقيمه يوميًا عبر آلاف الرسائل على لوحات الإعلانات، وفي الأفلام والأغاني وألعاب الفيديو وبرامج التلفزيون التي تشدد على نظرة حياتيّة كونيّة تقول لي إنَّ كلّ شيء يدور حولي «أنا». إنها رسائل تقول لي إن الحياة تتمحور حول ممتلكاتي ومكان سكني ونوع سيارتي ومستوى تعليمي وكمية الأموال التي أجنيها، ومعارفي ومقدار نجاحي... وتطول القائمة أكثر وأكثر.

وعلى نقيض ذلك، يستخدم اللّه روحه القدوس وكلمته والطبيعة والكتب العظيمة وجماعة المؤمنين الصادقين الحقيقيين ليُذكّرنا بأن الحياة تدور حوله وحده. وتتمحور الحياة في المسيح حول ما يمكنني تقديمه، والذين يمكنني أن أحبهم، وكيف يمكن للّه أن يستخدمني، ومدى تميّزي ومقبوليتي بغض النظر عن عملي أو مكان سكني أو شهرتي.

التّجديد: الطاقة الغذائية للتغيير الروحي

نعيش أنا وأنت في حالة صراع عنيف بين قلوبنا وعقولنا. إذ يتم جرُّ ما يهبه اللّه لنا من احتياجٍ للشعور بالأهمية والأمان والانتماء باستمرار في اتجاه قِيَم العالم وطرقه. وباختصار، فإنّ الشرح الأكثر اختصاراً لسبب عيش معظم المؤمنين بالمسيح حياة الازدواجية والتناقض هو غذاؤهم الروحي.

إذا كان نظامي الغذائي يتألف باستمرار من حضور برامج الذروة على التلفزيون والأفلام والمجلات وكتب المساعدة الذاتية والروايات الرومانسية، فلا عجب إذًا أني أظن أنني أنا محور العالم وأنه كله يدور حولي، وأن عليّ أن أسعى إلى الإنجاز وتقديم أداء جيد والعمل على جعل حياتي «تنجح» لأجل نفسي. أستطيع أن أكون حقًا مولودًا من جديد، وأذهب إلى الكنيسة باستمرار، وأعبّر بكلماتي عن محبتي للّه (وأعنيها)، وأملك النيّات الصادقة والرغبة في أن أكون «مؤمنًا صالحًا بالمسيح»، ومع هذا أعيش حياة لا تشبه المسيح إلا في أقلّ القليل. لماذا؟ لأن التغير نحو صيرورتك ابنًا أصيلًا وحقيقياً للّه يتعلّق بطريقة تحوُّل ذهنك. فلنلقِ نظرة على معنى هذا الأمر عن قرب.

إن الشرح الأكثر اختصارا لسبب عيش معظم المؤمنين بالمسيح حياة الازدواجية والتناقض هو غذاؤهم الروحي

• تجديد الذهن هو عملية تركيز مستمرة على منظور رومية ١٢: ١. يساهم استيعابي لكلمة اللّه وتأملاتي في الطبيعة وأوقاتي التي أقضيها في العبادة والصلاة وتفاعلي مع أصدقائي

المؤمنين جميعها في تذكيري بأن اللّه هو الرب المطلق والرئيس التنفيذي للكون أجمع. وأنا أستيقظ يوميًا على حقيقة أنني قد خضعت واستسلمت له بالكامل في الوقت المناسب، لكنني اليوم أقدم له حياتي من جديد، وأخضع وأستسلم له بالكامل كي تتحقق إرادته هو في حياتي – وليس إرادتي أنا.

• ينطوي تجديد الذهن دائمًا على معركة، ويتآمر في هذه المعركة كلّ من نظام هذا العالم والشيطان، مهندس نظام هذا العالم، وجسدي معًا لخداعي في ما يتعلّق بهويتي، ومكان انتمائي، وسبب وجودي هنا. ويتطلب تجديد ذهني أن أخوض المعركة الروحية وأن أعمل على استئسار

«كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ»
٢ كورنثوس ١٠ : ٤–٥

• تجديد الذهن هو عمل الروح القدس الخارقّ للطبيعة، وتقع عليّ أنا مسؤولية تركيز فكري على الأمور السماوية:

«فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللهِ. اهْتَمُّوا بِمَا فَوْقُ لاَ بِمَا عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي الله مَتَى أُظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ فِي الْمَجْدِ»
كولوسي ٣ : ١–٤

غير أنّ التغيير الحقيقي في طريقة تفكيري هو عمل الروح القدس:

"لأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ"
فيلبي ٢ : ١٣

علينا أن نحذر من الوقوع في فخ التفكير الخاطئ بأن مجرّد ملء رؤوسنا بآيات من الكتاب المقدس أو عزل أنفسنا عن شرور هذا العالم كفيلٌ بإنتاج حياة المسيح فينا.

• ويكون تجديد الذهن دائمًا متمحوراً حول الحب والعلاقة، ففي قلب عمل تجديد الذهن تكمن الرغبة في معرفة المسيح والتمتع بالعلاقة به.

لا تتعلق الروحانية أبداً بالسلوك الخارجي لدينا، بل تتمحور حول علاقتنا الشخصية الداخلية التي تطفو إلى الخارج في سلوكنا الخارجي. أظهر الزعماء الدينيون في أيام الرب يسوع قدرة مذهلة على التشبع الفكري بكلمة اللّه، لكنهم أغفلوا بالكامل علاقتهم الشخصية باللّه نفسه.

وأعتقد أن الرسول بولس استطاع تصوير هذه العلاقة بين عقولنا ومعرفة الرب يسوع عندما قال:

«وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ.»

٢ كورنثوس ٣ : ١٨

وكما ترى، فإن الغاية القصوى من قراءة كلمة الله ودراستها ومشاركة الحياة مع المؤمنين الآخرين هي أن ترى الرب يسوع كما هو حقًا، وتعرفه، وتتمتع بعلاقة شخصية به، وتحبه وتُحَب منه. وفي خضم عملية رؤية الرب يسوع ومقابلته، تحصل عملية التحول. كتب أحد تلامذة الرب يسوع المقربين قائلاً:

«أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ.»

يوحنا الأولى ٣: ٢

كثيرًا ما يُقال للمؤمنين بالمسيح إن قراءة الكتاب المقدس هو أمرٌ هامٌّ للغاية، ولكنني مقتنع بأن الكثيرين لا يعرفون لماذا. أصبحت قراءة الكتاب المقدس للكثيرين بمثابة أداء واجب، لتخفيف الشعور بالذنب، والتأمل فيه يأتيهم بالحظ الجيد مثل الرصاصة السحرية. إذًا كيف نتفاعل مع كلمة الله بحيث يكون تفاعلنا متمحوراً حول العلاقة مع اللّه؟ كيف نوازن بين الحد من الرسائل والإغراءات التي يرسلها إلينا العالم من دون أن نصبح منعزلين، ومنقطعين عن الاتصال به وفهمه، ومتدينين غريبي الأطوار؟

لنكن عمليين. ما هي طبيعة غذائك العقلي؟ ما هي الأمور التي تغذّي عقلك بها؟ ما هي برأيك نسبة الوقت الذي تقضيه بالاستماع والتأمل في كلمة اللّه بمقابل الوقت الذي تقضيه بالاستماع إلى رسائل العالم من خلال التلفزيون والأفلام وجهاز الكومبيوتر؟

أرجو أن لا تهمل التفكير بالإجابة عن هذه الأسئلة. لا أنا ولا اللّه ضدّك، ولم تُطرَح هذه الأسئلة لجعلك تشعر بالذنب، بل لمساعدتك على التقييم الدقيق لنظام غذائك العقلي. فما أنت إلا ما تأكله! قدّمتُ المشورة لكثيرين من الناس، ولم ألتقِ رجلًا أو امرأة لم يختبر التغيير الجذري الرائع في حياته بعد تغيير نظام غذائه العقلي.

كيف أفعّل نظام غذائي العقلي

شاركت في الفصل الثامن من هذا الكتاب عن صراعي مع الشهوة، كنت سجين شهواتي ولم ينقذني أي جهدٍ ذاتي من هذا الأمر. ومهما تضرعت إلى اللّه، وسألته المغفرة،

وأطلقت الوعود تلو الوعود عن تصرفاتي المستقبلية، كنت أنهزم المرة تلو الأخرى إلى أن غيرت نظام غذائي العقلي. لم أكن أفهم مبادئ التغيير الروحية الأساسية التي أشارككم بها اليوم، لقد اكتشفت هذا الأمر بالصدفة.

كان زميلي في السكن في ذلك الوقت يستعد للذهاب إلى مؤتمرٍ تدريبيّ صيفي مع مؤسسة كنسيّة، وكان أحد متطلبات حضور هذا التدريب حفظ ستين آية من الكتاب المقدس مكتوبة على بطاقات صغيرة تغطي ثلاثين موضوعًا من الحياة المسيحية. كانت هنالك آيتان أساسيتان لكل موضوع، وكان المطلوب حفظ الآيات والشاهد. لا تسألني لماذا، ولكن في أحد الأيام، بعد أن غادر زميلي الغرفة، قررت أن أسحب آياته وكتبتها على بطاقات صغيرة وحفظتها جميعًا قبل أن يفعل هو. ورغم أن دافعي لم يكن تحسين حياتي الروحية بقدر ما كان منافسة زميلي والتغلب عليه، فإنَّ الله استخدم هذا الأمر للخير.

وبفضل أحد المساقات المملة التي كان عليّ أن أحْضرها في الجامعة، وجدت نفسي أحفظ آية كلّ يوم وفي اليوم التالي أراجع ما حفظته وأحفظ آية أخرى بينما كنت أجلس في مؤخرة القاعة متظاهرًا بالاستماع للشرح.

كان أحد شروط البرنامج التدريبي أن تراجع كل الآيات يوميًا لمدة ستين يومًا كي تستطيع حفظها بالكامل. ولن أنسى أبدًا ماذا حدث في اليوم الواحد والعشرين، فمع واحد وعشرين آية موجودة في قلبي، وبينما كنت أسير في حرم الجامعة التقيت مصادفةً إحدى الفتيات الجذابات التي كنت أشعر بانجذاب نحوها. كانت أيضاً مصدرًا أساسيًا لإحساسي بالذنب الشخصي، كونها كانت فتاة مؤمنة، كما كانت موضع شهوة كثيرةٍ عندي في نفس الوقت.

لا يمكنني أن أذكر بالتحديد ما تكلمنا عنه، ولكن ما أذكره هو السير في اتجاه غرفتي وأنا في حالة صدمة حقيقية. لم أشتهِها، لقد استطعت أن أركز عيني عليها كشخص وليس كشيء، لم يتبادر إلى ذهني أيّ من الأفكار التي غالبًا ما كنت أتصارع معها أثناء حديثي معها أو بعده، لقد اختبرت النصرة! لقد ربحت للتو معركة كنت في ٩٩% من الوقت أخسرها. ماذا حدث؟ لقد كان الأمر رائعًا! كان أمرًا ممكنًا! وفكرت في نفسي أنّني أستطيع الحياة من دون أن تغلبني شهواتي.

لم يطل الأمر حتى اكتشفت العلاقة بين النصرة التي اكتشفتها حديثًا وحفظ الآيات الكتابية، لقد اكتشفت أن بالإمكان الشعور بالنصرة ليس فقط في ناحية الشهوة، بل في محاولة إرضاء الآخرين، وإدمان العمل، والكبرياء، والحسد، والقلق، ومجموعة من القضايا الأخرى أيضًا.

ومع مرور الوقت، أصبحت أكثر جدية في ما يختص بتجديد ذهني عن طريق حفظ آيات من الكتاب المقدس ودراستها بنفسي. بدأت أنظر إلى نواحي احتياج محددة في حياتي وأجد وعودًا

في كلمة اللّه أستطيع إعلانها، وحفظها، والتأمل بها، ومن ثم أراقب التغيير يحدث. ليس التحول مجرد شيء ممكن فقط، لكنه أيضاً أمرٌ من اللّه. فلا يأمرنا اللّه بأن نفعل أمرًا ما من دون أن يزودنا بالوسائل والقدرة على تنفيذه، هل أشعر بالشهوة أو القلق أو الكبرياء، أو الحسد؟ هذا مؤكد. فما زالت هذه الأشياء تطلّ من وقت إلى الآخر بوجهها البشع في حياتي في بعض الأوقات، لكنها الاستثناء وليست القاعدة الآن. لم أعد عبدًا لها ولا تصف أسلوب حياتي العام. لن نكون أبدًا كاملين في هذه الحياة، لكن بإمكاننا باستمرار وإصرار أن ننمو بالبرّ والقداسة والمحبة.

إنّها خطوتك الخاصة- أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢

كيف يكون هذا الأمر ممكنًا؟ من أين تبدأ؟ ماذا تقرأ؟ ماذا تدرس؟ هل عليك أن تحفظ آيات معينة قبل آياتٍ أخرى؟ كيف تمنع تحوُّل هذا الأمر إلى حالة من الناموسية والتديُّن؟ كيف تجد الوقت لتجديد ذهنك بينما تمتلئ حياتك بالالتزامات والمطالب. حسنًا هذا هو الموضوع الذي سنتحدث عنه في الفصل التالي.

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

ما العمل الذي يؤمَر به في رومية ١٢: ٢ كي تتغير وتتجدد؟ كيف يختلف هذا الفعل عن الطرق الأخرى التي حاولتَ اتباعها كي تزداد شبهاً بالمسيح؟

تأمّل (Reflect)

كيف تصف نظام غذائك العقلي والروحي؟ ما هي العلاقة التي قد تربط بين نواحي «الصراع» في حياتك؟ ماذا يدور في ذهنك؟

افهم (Understand)

ما هو العائق الأكبر في تجديد ذهنك؟

- لا أعلم من أين أبدأ؟
- لا توجد خطة لديّ؟
- لا أملك الانضباط الكافي؟

استسلم (Surrender)

اسأل الله أن يخلق شهوة في قلبك إلى معرفته وإلى كلمته، اسأله أن يريك من أين تبدأ القراءة في الكتاب المقدس.

اتخذ إجراء (Take Action)

ضبط المنبه الخاص بك عشرين دقيقة إلى الوراء يوميًا لمدة أسبوعين والتقِ الله لتبدأ نهارك معه.

الدافع (Motivation)

حدد وقتًا للاستماع إلى الرسالة الصوتية والمرئية على الموقع:

www.levantmedia.com/TS

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

اسأل أحدهم أن يشاركك الالتزام باللقاء مع الله كل يوم مدة أسبوعين. تواصلا معاً بإرسال رسائل عند الظهر من أجل المساءلة المتبادلة!

الفصل العاشر

هل مللت «المحاولة الجادّة» والشعور بالذّنب؟

إِنَّكُمْ إِنْ ثَبَتُّمْ فِي كَلَامِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تَلَامِيذِي، وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ.[٥]

- يسوع الناصري

يكتب الرسول بولس رسالة شخصية عميقة إلى ابنه في الإيمان تيموثاوس يحثّه فيها على أن يسير مع اللّه في خضم بالوعة الأخلاق في أيامه. كان تيموثاوس راعيًا شابًا في مدينة معروفة بانتشار أحياء الدعارة فيها، وكثُرت المعابد في كلّ زاوية للحصول على كلّ أنواع الممارسات الجنسية التي يمكن للإنسان أن يريدها– وكانت البغايا – ذكورًا وإناثًا – متاحة ليل نهار. كان العيش في مدينة أفسس يُشبه الحصول على موقع إباحي دائم على شاشة الكومبيوتر الخاص بك.

ولمثل هذه البيئة كتب الرسول بولس عن اللّه: «الَّذِي خَلَّصَنَا وَدَعَانَا دَعْوَةً مُقَدَّسَةً»(٢ تيموثاوس ١: ٩)، «وليتجنب الإثم كل من يسمِّي اسم المسيح» (٢ تيموثاوس ٢: ١٩). لم يكن الحل الوسط الأخلاقي خيارًا تعتمده كنيسة العهد الجديد.

٥ يوحنا ٨ : ٣١ – ٣٢

وقد أكّد الرسول بطرس هذا الأمر في رسائله:

«كَأَوْلاَدِ الطَّاعَةِ، لاَ تُشَاكِلُوا شَهَوَاتِكُمُ السَّابِقَةَ فِي جَهَالَتِكُمْ، بَلْ نَظِيرَ الْقُدُّوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا قِدِّيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ. لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ:

«كُونُوا قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ»

بطرس ١ : ١٤–١٦

تميزت الكنيسة الأولى التي هزت وغيرت العالم بميزتين:

١– محبة بعضهم لبعض راديكاليّة ومضحيّة بالذات.

٢– حياة القداسة والطهارة الأخلاقية غير الممتزجة بالبرّ الذاتي والتديّن والتزمّت.

ويبقى السؤال: «كيف استطاعوا تحقيق هذا الأمر؟» هذا ما سنتناوله في هذا الفصل. بعد إخفاقات كثيرة على الصعيد الشخصي وتقديم المشورة للمؤمنين بالمسيح مدة حوالي خمسة وعشرين عاماً، أصبحتُ أكثر اقتناعاً بأن كثيرين منا يعتمدون اعتمادًا مفرطًا على قوة الإرادة والجهد الذاتي والنشاطات الدينية في محاولتنا أن نحيا حياة البرّ والقداسة. وأخيرًا عندما نكتشف عدم جدوى هذا الأمر، نفعل أحد هذين الأمرين: إما أن نبدأ بتمثيل أننا نعيش حياة البرّ والقداسة فنعيش بالتالي حياة الرّياء والازدواجية، أو نتفق معًا على أن «مقياس القداسة» عالٍ ولا يمكن الوصول إليه.

وهكذا، نقنع أنفسنا والآخرين بأنّ الله لا ينتظر منّا أن نعيش حقّاً حياة البرّ والقداسة وفق هذه المعايير المستحيلة.

لقد أصبحت القداسة نسبية في أيامنا هذه، إذ نسمح لأنفسنا بتخفيض مقياسها فنبدأ بالتالي باختيار ما يناسبنا من الوصايا التي نود إطاعتها. كانت نتائج وتداعيات هذا الأمر خلال العقود القليلة الماضية كارثية، يسخر غير المؤمنين من الفساد المنتشر بين وعّاظ التلفزيون وزملاء العمل.

لقد أعيدت صياغة مسيحية العهد الجديد النّابضة بالحياة وسُوّق لمسيحيّة ذات مستوى أدنى بمطالب أقل ووعود صارخة. فالمسيحية التي تم تعريفها بأنها

«اَلدِّيَانَةُ الطَّاهِرَةُ النَّقِيَّةُ عِنْدَ اللهِ الآبِ هِيَ هذِهِ: افْتِقَادُ الْيَتَامَى وَالأَرَامِلِ فِي ضِيقَتِهِمْ، وَحِفْظُ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِلاَ دَنَسٍ مِنَ الْعَالَمِ»

يعقوب ١: ٢٧

استُبدِلت بمسيحية مُستحدثة تحوّل الرب يسوع إلى جني يساعدك على تحقيق النجاح الدنيوي، وتحقيق الذات، وأهم من ذلك «تحقيق السعادة الشخصية». وقد تركت هذه العلامة التجارية المنحرفة لإيماننا التاريخي بعض الأتباع الصادقين في حال توق شديد إلى العلاقة الحميمة باللّه، كما تركت غير المؤمنين مع القليل من الرسائل الحيّة لإرشادهم إلى الرسالة الثورية: «المسيح فينا رجاء المجد».

لا أعتقد أن غالبية أتباع المسيح أداروا ظهورهم عمدًا للّه الحيّ، نحن نتاج ما نسمع وما نؤمن به، وبالنسبة للعديد منهم، لم تقدم لهم تجربتهم أو إرشاداتهم الروحية الحقّ أو الأدوات المناسبة للتغيير الصادق. لديهم التوق الروحي والرغبة في التغيير الحقيقي – ولكنهم لا يعلمون كيف.

وقد أدت بعض خطوات التنازل الصغيرة إلى تراكم الكثير من مشاعر الألم والتشاؤم عبر السنين. كما أصيب كثيرون أيضًا بخيبة الأمل من نفاق مؤسساتهم الكنسية وتصرفاتها غير المسيحية لدرجة أنهم ببساطة تخلوا عن الكنيسة وفقدوا الأمل بها، ولكنهم لا يزالون يتوقون إلى اللّه الآب والحياة التي وعد بها المسيح.

النمو الروحي ≠ المحاولة الجاهدة

إذًا كيف يحدث التغيير الحقيقي للحياة (التغيير الروحي الذي ينتج حياة المحبة والقداسة) حقًا؟ إن كان معظم المؤمنين بالمسيح لا يعيشون «كمسيحيين حقيقيّين»، فلا بد من وجود عيب أساسي في فهم الحياة الروحية. أريد أن أساعدك على أن تفكّر بنموّك الروحي على نحوٍ مختلف، أريدك أن تبدأ بفهم أن النمو الروحي ليس أداءً موجهًا بل علاقة مع اللّه.

أريدك أن تتعلّم الفرق بين الثقة باللّه وبوعوده وبين محاولتك الجاهدة الخاصة لتكون «مسيحيًا صالحًا»، أريدك أن تتحرر من زقاق المسيحية التقليدية وتختبر نعمة اللّه اللامحدودة ومحبته الجنونية في أعماق روحك. لذا فكّر مليّاً معي بينما نستكشف كيف يحدث النمو الروحي حقًا.

دعني أعطِك بعض الملاحظات بشأن ماهيّة النموّ الرّوحي:

١- لا يبدأ النمو الروحي بالتركيز على السّلوك.

٢- لا يبدأ النمو الروحي بالتركيز على المواقف.

٣- يبدأ النمو الروحي دائماً بالتركيز على تفكيرنا.

٤- يُنجَز النمو الروحي ويتم بالروح القدس، من خلال كلمة اللّه، في سياق مجتمع أصيل وحقيقي (غير مزيّف)، وبهدف تمجيد اللّه.

٥- يتطلّب النموّ الروحي أن نمتلك بالإيمان نعمة اللّه المعطاة لنا من خلال قنوات روحه وكلمته وشعبه.

وكما ترى، فإن اللّه وحده يستطيع تغييرنا، لكنه لا يفعل ذلك بمفرده، ليس التركيز على محاولتنا الجاهدة لتغيير تصرفاتنا أمرًا ناجحًا، لأننا لن نستطيع ذلك. فالتركيز على السّلوك والتصرفات طريقٌ مسدود. تؤدي محاولتنا بأن نصبح مشابهين للمسيح من خلال تغيير تصرفاتنا فقط إلى إحدى نتيجتين: بالنسبة للأشخاص ذوي الإرادة الصلبة، يقودهم ذلك إلى توافق خارجي مع مجموعة من القواعد والقوانين وأخيرًا إلى البر الذاتي. كان الفريسيون أفضل مثالٍ لهذه النوعية من الروحانية.

ولكن بالنسبة لمعظم الأشخاص، يقودهم التركيز على السّلوك والتصرفات الشخصية إلى الإحباط والفشل. ينتج عن المحاولات الفاشلة المستمرة والمتكررة لتغيير السّلوك والتصرفات الشخصية اليأس أو الرّياء، وهذا هو حال معظم مسيحيي القرن الحادي والعشرين.

النمو الروحي = تجديد الذهن

لا يكون التركيز على التغيير الحقيقي بمحاولة تغيير سلوكنا – «يجب ألا أفكّر بهذه الطريقة، يجب ألا أشعر هكذا، يجب ألا أبالغ بإدانة الآخرين، يجب أن أكون محبّاً أكثر، إلى ما هناك ...». فالتركيز على «ما يجب» أو «ما يجب عدم فعله» ينتج عنه الشعور بالإدانة الذاتية. وهناك وقت ومكان محددان للتركيز على السلوك، ولكن ليست هذه هي نقطة البدء بالتغيير. ينبغي أن تكون نقطة الانطلاق في طريقة تفكيرنا!

«لأَنَّهُ كَمَا شَعَرَ فِي نَفْسِهِ هكَذَا هُو»

حسب قول سليمان، الأكثر حكمة في العالم. لا تعّلمنا الآية في رومية ١٢: ٢ أن لا نكون مشابهين لهذا العالم وأن نتغير من خلال بعض الأنشطة الدينية، أو مجموعة من القواعد والقوانين أو بجهدنا الخاص. بل

«تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ.»

لو كانت المحاولة الجاهدة، أو الانضباط، أو المشاركة في الأنشطة الدينية قادرة على تحطيم قوة الخطيئة وتغيير حياتك حقًّا، لربح العديد منا الجائزة الأولى في هذا المضمار.

فنحن نحاول يائسين تغيير تصرفاتنا الشخصية التي نعلم بأنها لا تشبه المسيح، ونقهر أنفسنا محاولين باستمرار أن يكون لنا «سلوك أفضل».

دعني أشاركك هذه القصة التي ستساعدك على فهم مدى قوة مبدأ تجديد الذهن. في بداية حياتنا الزوجية، كانت لدي بعض الخلافات مع زوجتي بسبب عدم عودتي إلى المنزل في الوقت المناسب للعشاء، ربما لا يبدو الأمر هامًا، ولكنني كنت أعود دائمًا متأخرًا لمرة أو أكثر أسبوعيًا.

كانت تحضّر الطعام، وتجلس مع الأولاد حول الطاولة، وكنت أتأخّر بالقدوم إلى المنزل، فيبرد الطعام

فتستشيط غضبًا، فنتجادل عندما أصل. كنت كلّ مرّة أتأخّر عن العودة يكون عذري «كرة السلة». كنت ألتقي بعض الرفاق وأنا في طريق العودة إلى المنزل فنلعب شوطاً واحدًا من كرة السلة، وإذا ربحنا الشوط، احتجت إلى البقاء لشوط آخر كي لا يشعر زملائي بالخيبة والانزعاج. كنت في عقلي أبرر هذا الأمر لنفسي بأنني كنت طالباً في كلية اللاهوت بدوامٍ كامل وأعمل بدوامٍ كامل، وأحاول أن أكون أبًا صالحًا لثلاثة أطفالٍ صغار.

وكانت هذه أوقاتًا نادرة من الأسبوع أستطيع فيها أن أفعل شيئًا لذاتي. لم تفهم زوجتي يوماً كيف أنّ الخروج من الملعب بعد الشوط الأول لم يكن خياراً ممكناً لي، لم أكن أفهم أنا أيضًا كيف يكون لموعد وصولي في الوقت المحدد للعشاء مرّة في الأسبوع هذه الأهمية القصوى بالنسبة لها! لذا كنا نتشاجر، وقد يبدو لك الأمر سخيفًا ولكننا تشاجرنا كثيرًا.

كانت تختبئ عقلية متحجرة خلف هذا الصراع، كان الأمر متعلّقًا بممارسة حقوقي وتوفير الوقت الخاص بي. اعتقدتُ أنها لم تكن منطقية، وأن عليها أن تكون أكثر تفهمًا.

«ماذا في الأمر لو أننا أكلنا بعض الطعام باردًا من وقت لآخر؟ – كان الأمر يستحقّ ذلك، في نظري.» كان هذا رأيي في الموضوع ولم أكن أفهم لماذا كانت تنزعج باستمرار. حاولت أن أغير تصرفي ولكنني كنت أفشل دائمًا.

لم أكن أريد هذا الصراع، ولكن في أعماقي لم يتغير نمط تفكيري. عدت إلى المنزل في وقت باكر مراراً وتوافقت معها ظاهريًا، ولكن محاولاتي لم تدم طويلًا. كنت أقول لنفسي إنه لا ينبغي أن أكون أنانيًا، ومع أنني لم أفهم لماذا، لكن يجب أن أكون زوجًا محبًا وصالحًا. وبكلمات أخرى، كنت أقهر نفسي لعدم وجود موقف أفضل لديَّ – ولكن كلّ ذلك لم يجدِ نفعًا أيضًا. ثمّ حدث في أحد الأيام ما «جدّد ذهني» وغيّر طريقة تفكيري بعمق لدرجة أن العودة باكرًا لم تعد تشكل مشكلة بعد ذلك.

كنت حاضراً في إحدى المحاضرات عن تقديم المشورة وأحسست بإشارة من اللّه لي كي أعطي وأضع حياتي من أجل زوجتي (أفسس٥: ٢٢–٣٣). اخترق الحق الكتابي قلبي وبدأت أصلّي من أجل الحكمة كي أعرف كيف «أحب زوجتي بطريقة مفهومة لديها». حتى إنني كتبت هذه العبارة على بطاقة صغيرة ووضعتها في جيبي. وفضلًا عن ذلك، كانت زوجتي قد بدأت تتعلم أيضًا كيف تعبّر عن غضبها بطريقة مناسبة باستعمال رسائل تبدأ بـ «أشعر».

ففي الماضي، عندما كنتُ أصل البيت متأخرًا، كان دائمًا في استقبالي شخص غاضب على نحوٍ ملموس يبدأ بإخباري ما «يجب» و ما «لا يجب» وما «ينبغي» عليّ فعله. كانت هذه الرسائل تشبه رسائل الأم لابنها أكثر مما تشبه رسائل الزوجة لزوجها. كنت أتجاوب بغضب وبأسلوب دفاعي مع هذه الرسائل، ممّا كان يصبّ الزيت فوق النّار على المشكلة الأساسية.

بعد تقديم هذه الخلفية، تخيّل الوضع عندما وصلت إلى البيت متأخرًا على موعد العشاء لأجد الشموع مضاءة فوق الطاولة وزوجتي تنتظرني وهي بمزاج لطيف. لقد تساءلتُ بجدية عمّا حصل، وأين الخطأ. كنت قد حضرت لنفسي حجة جيدة وأنا في الطريق إلى المنزل. لكن لا يوجد هناك جدال حول ما «ينبغي» و«يجب» مع امرأة تسيطر على نفسها، تتصرف بلطف، وتقدم لي طعامًا قد أعيد تسخينه. وبعد حوالي خمس أو ست دقائق من مراقبتي وأنا أتناول الطعام، سألتني إن كانت تستطيع مشاركتي أمرًا. أجبتها: «بالطبع، تفضلي».

لن أنسى أبداً ما تفوهت به بهدوء ورويّةٍ وهي تعطيني رسالة «أنا أشعر». قالت بالحرف الواحد: «أشعر بالأذى العميق وكأنك لم تعد تحبني عندما أمضي النهار بأكمله وأنا أعدُّ لك وجبة طعامٍ مميزة لأعبّر لك عن مقدار ما تعنيه لي، ثمّ تأتي أنت متأخرًا وتفقد كلّ ذلك.» لم يكن هناك صراخ، ولا مطالب، بل مشاركة بسيطة لشعورها. بدا وكأن سكيناً قد اخترقت أحشائي وأنا أسمع هذه الكلمات.

لم أفكّر يومًا أن إعداد الطعام لي كان رسالة حبٍّ منها إليّ، لم أفكّر يوماً أنني أؤذيها. كنت أعتقد فقط بأنني أضايقها وبأنها غاضبة لأنني ألعب كرة السلة. ففي تلك اللحظة تجدد ذهني، بدأت أفكّر بطريقة مختلفة بقضية كانت مصدر صراع وخلاف في علاقتنا.

تحولت القضية من «محاولة تغيير سلوكي كي أصل إلى البيت في الوقت المناسب لأن الأمر مفروض عليّ» إلى الاختيار المتعمّد بأن أترك شيئًا ممتعًا للغاية كي أتواصل مع أهمّ شخصٍ في حياتي والذي أقدّر للغاية تضحيته ومحبته لي. ومن دون مبالغة، أصبحتُ نادرًا ما أتأخر على العشاء بعد تلك المحادثة. وفي لحظة، بل في ومضة عين، امتزج الحقّ الكتابي.

« أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا»

أفسس ٥ : ٢٥

مع صدق زوجتي وهي تتكلم الحقّ بكلّ محبّة، والتي استخدمها الروح القدس لتجديد ذهني – أو التفكير بطريقة مختلفة كليًا بشأن الوضع. كان الأمر متعلقًا بالحبّ... وليس بكرة السلة. كان الأمر متعلقًا بالحبّ، وليس بالعشاء. كان الأمر متعلقًا بالحبّ، وليس بمن هو على حق.

هل يمكنك أن ترى ماذا يحدث في حياتنا عندما نبدأ التفكير بشكل مختلف، من منظور اللّه، وبطريقة تركز على العلاقة وليس على القوانين والتصرفات الخارجية؟

هل يمكنك أن تتخيل الحرية التي ستبدأ باختبارها عندما تتحرر من التصرفات النموذجية والأداء في الحياة المسيحية حيث يتم التركيز على المهام والواجبات، والحضور، والتأديب الروحي، والعشور، وتأثير الشعور بالذنب بالنسبة لكل الأمور «التي من المفروض أن تقوم بها»؟ ليس لأن هذه الأمور بحدّ نفسها خاطئة، بل لأنها أصبحت بالنسبة لملايين المسيحيين تمثّل تعديل السلوك الذي يتم تحقيقه من خلال الإرادة الذاتية أو قوّة الجسد.

أود أن أخبركم أن الحضور على الوقت صار أسهل بمجرّد أن تَجدَّد ذهني، كانت كفة كرة السلة خاسرة مقارنة بكفّة شعور زوجتي بالوحدة وبأنها غير محبوبة من قبلي. وينطبق الأمر نفسه على علاقتنا بالمسيح.

كيف تجدّد ذهنك

إذًا ما الذي يجب أن يحدث للسماح لنا بأن ننظر إلى الأمور من هذا المنظور العلاقي: «اللّه يحبني بعمق»؟ عندما يقع إدمان التسوق أو الطعام أو العمل، أو زيارة المواقع الإباحية ضمن خانة الأمور التي لا يجب فعلها، لأن اللّه يأمر بذلك، يجعلك كلّ ذلك فكريًا «تحاول القيام بالأمر الصائب»، بينما تعتقد في الحقيقة في قرارة أعماقك أن التسوق أو العمل أو الطعام أو الشهوة ستعطيك ما تحتاج إليه حقًا. هناك تسعة احتمالات من عشرة أنك ستخسر هذه المعركة. فلا يمكن أن تنجح قوة الإرادة مقارنة بالشهوة والاحتياجات التي تصرخ مناشِدةً تلبيتها.

ولكن عندما يتجدد ذهنك وتصلك رسالة أنك محبوبٌ للغاية ومقبول، وأنك تُفرح قلب الرب يسوع لدرجة أنه يريد أن يُبعدك عن النشاطات المؤذية التي تكسر قلبه وتُخرب علاقتك به، سترى الأمور بمنظار مختلف. وعندها تتغيّر الصّورة من «محاولة أن تكون صالحًا» بالتحكم بتصرفاتك إلى «التعبير عن حبّك» عندما تثق بوعوده.

كيف تُجدد ذهنك؟ حسنًا، الأمر بسيطٌ للغاية، عليك أن توقف تدفّق السموم إلى تفكيرك (أي الإعلام الفاسد، والعلاقات السيئة البعيدة عن اللّه)، ويجب أن تملأ عقلك وفكرك (من أجل هدف التجديد – وليس الأداء) بالحق الإلهي الذي في كلمة اللّه، وجمال خليقة اللّه، وتشجيع شعب اللّه. ستحتاج إلى اتخاذ خطوات جذرية لتُسكت إمدادات رسائل قيم هذا العالم التي تضربك.

لا يمكنك أن تستمر بتعبئة عقلك برسائل تثير شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظّم المعيشة. إن فعلت هذا الأمر سترى دومًا وصايا اللّه قيوداً ومطالبَ غير معقولة هدفها إبعادك عن «ملذات الحياة» والأمور التي تكفيك وتشبعك حقًا. ومن المؤسف أن هذه هي وجهة نظر مؤمنين كثيرين إلى وصايا اللّه. وعوض النظر إليها كأسوار تحميهم وتؤمّن لهم أفضل ما في الحياة، ينظرون إليها كسياجٍ وجدار يحرمهم من «ملذات الحياة». ثُمّ تغويهم «ملذات الحياة» من خلال الفجور والصّور الإباحية وإدمان العمل والإنفاق غير الحكيم والعلاقات العاطفية، فيحصدون حياة الأمراض المنقولة جنسياً والطلاق والعائلات المفككة والديون الساحقة والشعور بالذنب والعار والإدمان التي تأسرهم مدى الحياة. نتائج هذه الأمور في حياتهم مريعة، إذ لا تسير حياة معظم المسيحيين سيرًا حسنًا، بل إنها تكسر قلب اللّه.

> تتغير الصورة من محاولة أن تكون صالحاً بالتحكم بتصرفاتك إلى التعبير عن حبك.

يتوق الله إلى تجديدك

إن كنت تحصد الألم بسبب ماضيك، لا تيأس، فالله يتوق إلى مساعدتك- بدءًا من اليوم. لقد رأيته ينقذ مدمني المخدرات والعائلات المفتتة ومدمني العمل، وما قد يبدو حالات مستعصية، ويصنع المعجزات. يريدك الله أن تكون واحدًا منهم، وسيستلزم الأمر الكثير من العمل الجاد وخطوات إيمانٍ محددة، لكن لا يزال هناك أمل ومساعدة لتبدأ النظر إلى الحياة بعقلٍ متجدِّد. لن يحصل الأمر بلمح البصر وسيحتاج إلى بعض التّدريب والانضباط.

ولكن بعد مرور يومين أو أكثر من صيامك عن وسائل الإعلام، وبدء تجديد ذهنك بطرقٍ جديدة بكلام الله، ستختبر أمرًا مذهلًا ورائعًا- سيبدأ تفكيرك بالتغيير. وكنتيجة حتمية، سيحصل التغيير في رغباتك ومواقفك. ستبدأ باكتشاف أن بعض التصرفات التي تصارعت معها قد بدأت تفقد جاذبيتها. وعندما تُقفل مورد الصور والإغراءات وتجدد ذهنك بالحق، سيأخذ روح الله كلمة الله ويجعلك تماثل المسيح أكثر فأكثر.

قال الرب يسوع:

«وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ»
يوحنا ٨: ٣٢.

صلّى الرب يسوع لأبيه السماوي في الليلة الأخيرة من حياته من أجل أتباعه:

« قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلاَمُكَ هُوَ حَق»
يوحنا ١٧: ١٧.

وعلى نفس المنوال، أعلن داود في المزامير:

«بِمَ يُزَكِّي الشَّابُّ طَرِيقَهُ؟ بِحِفْظِهِ إِيَّاهُ حَسَبَ كَلاَمِكَ بِكُلِّ قَلْبِي طَلَبْتُكَ. لاَ تُضِلَّنِي عَنْ وَصَايَاكَ. خَبَّأْتُ كَلاَمَكَ فِي قَلْبِي لِكَيْلاَ أُخْطِئَ إِلَيْكَ»
المزامير ١١٩: ٩-١١

هناك العديد من الكتب والمراجع التي تؤمن أدوات ممتازة لمساعدتك على تجديد ذهنك، ولكن خمسة أمور كانت مفيدة لي على نحو خاص.

إليكم الطرق الخمس لتجديد ذهنك بكلمة الله :

طرق عملية لتجديد الذهن

١- اسمع كلمة اللّه

«إِذًا الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ، وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ اللهِ.»

(رومية١٠: ١٧)

٢- اقرأ كلمة اللّه

«طُوبَى لِلَّذِي يَقْرَأُ وَلِلَّذِينَ يَسْمَعُونَ أَقْوَالَ النُّبُوَّةِ، وَيَحْفَظُونَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهَا، لأَنَّ الْوَقْتَ قَرِيبٌ.»

رؤيا ١: ٣

٣- ادرس كلمة اللّه

«اجْتَهِدْ أَنْ تُقِيمَ نَفْسَكَ لله مُزَكًّى، عَامِلًا لاَ يُخْزَى، مُفَصِّلًا كَلِمَةَ الْحَقِّ بِالاسْتِقَامَةِ.»

٢ تيموثاوس ٢: ١٥

٤- احفظ كلمة اللّه

«بِمَ يُزَكِّي الشَّابُّ طَرِيقَهُ؟ بِحِفْظِهِ إِيَّاهُ حَسَبَ كَلاَمِكَ بِكُلِّ قَلْبِي طَلَبْتُكَ. لاَ تُضِلَّنِي عَنْ وَصَايَاكَ.
خَبَّأْتُ كَلاَمَكَ فِي قَلْبِي لِكَيْلاَ أُخْطِئَ إِلَيْكَ.»

المزامير ١١٩: ٩-١١

٥- تأمل بكلمة اللّه

«لاَ يَبْرَحْ سِفْرُ هذِهِ الشَّرِيعَةِ مِنْ فَمِكَ، بَلْ تَلْهَجُ فِيهِ نَهَارًا وَلَيْلًا، لِكَيْ تَتَحَفَّظَ لِلْعَمَلِ حَسَبَ كُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهِ. لأَنَّكَ حِينَئِذٍ تُصْلِحُ طَرِيقَكَ وَحِينَئِذٍ تُفْلِحُ.»

يشوع ١: ٨

عندما نفهم الهدف من تجديد أذهاننا، ستتغير بشكل جذري نظرتنا إلى الكنيسة وقراءة الكتاب المقدس والشركة والصلاة والتدريبات الروحية.

لن يكون المنطق وراء ذلك هو «أنا مجبر على أن أفعل ذلك». فليست طريقة فعلك للأمر هي ما يجعلك أكثر قربًا أو قبولًا من اللّه، ولكنها الطريق لحضور اللّه.

فأنا أختار بملء إرادتي أن أفعل هذه الأمور كي أرى الحياة من منظور الله وأبقى متيقظًا مدركاً لمحبته الفائقة لي. وعندما أنشغل وأفوّت الكنيسة أو الصلاة أو قراءة الكتاب المقدس، يبدو لي الأمر وكأنني فوّتُّ موعدًا مع زوجتي بسبب أزمة مرورية. لا أشعر بالذنب، ولكنني أشعر بأنني فوّتُّ ذلك اللقاء. أنا أحبها، أتمتع بحضورها، وأريد أن أكون معها.

في الختام، «تجديد الذهن» هو وصفةٌ إلهية للحصول على أفضل ما عند الله لي. إذ تتميّز مشيئته لي ولك بهذه الوصايا المحددة:

- **صالحة:** فاتنة وجذابة وجميلة، ومشبعة بشكل غنيّ
- **سارّة:** مقبولة من الله ومرضية له
- **مثالية وكاملة:** بحسب قصد الله، موجّهين كامل قدرتنا في اتجاه إتمام مشيئته في حياتنا.

إنّها خطوتك الخاصة- أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢

هل تتوق إلى اختبار مشيئة الله في حياتك؟ هل تود أن تعلم كيف ستبدو مشيئته لحياتك على نحو محدد وشخصيّ؟ لماذا خلقك الله بشخصيتك هذه، وبمواهبك التي تمتلكها، وما هي أهدافه لك؟ سنكتشف في الجزء التالي «كيف يمكنك أن تستوعب ذاتك الحقيقية».

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

ماذا قال لك اللّه من خلال هذا الفصل؟

تأمّل (Reflect)

ما هي الأفكار التي وردت إلى ذهنك عن كيفية حصول التغيير؟

افهم (Understand)

هل يمكنك أن تفكر باختبار حصل معك حين أدى «تجديد تفكيرك» إلى تغيير في علاقاتك أو تصرفاتك؟

سلّم (Surrender)

اسأل اللّه أن يجدد تفكيرك بما يتعلّق بوصاياه- فتصبح سور حماية بدلاً من أن تكون قيداً يخنقك.

اتخذ إجراء (Take Action)

اختر واحدة من الوسائل الخمس لتجديد الذهن وابدأ بها هذا الأسبوع. احفظ رومية ١٢ كتذكير طويل الأمد بصيرورتك مسيحياً حسب تعليم رومية ١٢.

الدافع (Motivation)

حدد وقتًا للاستماع إلى الرسالة الصوتية والمرئية على الموقع:

www.levantmedia.com/TS

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

اتصل اليوم بشخص ساعدك على النمو الروحي وأخبره أنك تعلّمت عن « تجديد الذهن».

أمام اللّه يومياً - مع المؤمنين أسبوعياً - في مهمة إرسالية مستمرة بلا توقُّف

«يومياً - أسبوعياً - بلا توقف» إرشاد عملي لتكون تلميذاً بحسب رومية ١٢

أمام اللّه يومياً

كما تحدَّثنا وأظهرنا في هذا الجزء من الكتاب، فإننا في معركةٍ يومياً مستمرّة. نحنُ نحارب:

- جسدنا (طبيعتنا القديمة)،
- الشيطان، الذي يقول الكتاب المُقدَّس عنه إنّه أتى ويأتي ليسرق ويقتل،
- نظام العالم، الذي يحيط بأفكارنا ويعمي بصائر أذهاننا، ويغري نفوسنا.

يسهل أن تتعرَّض قلوبنا للإغراء فتبتعد عن اللّه نحو نظام العالم. لهذا قال لنا بولس الرسول أن «نتغيَّر بتجديد أذهاننا.» مجيئك أمامَ اللّه يومياً وتجديد ذهنك يومياً بحقّه هو المُضادّ لسُمّ نظام العالم.

اطلب من اللّه أن يخلق فيك شهيةً لكلمته، وأن يجعل المجيء إلى محضره عادةً يوميّة لديك، وأن يغمر قلبك وعقلك بكلمته لتترك بصمتها فيك.

مع المؤمنين أسبوعياً

لكون جاذبية قِيَم العالم قوية جدّاً، فإننا نحتاج لمؤمنين آخرين يمكنهم أن يساعدونا في الصمود بمواجهة القصف المستمرّ للتجارب والمغريات. خُضْ مع مجموعتك الصغيرة في نقاش تسعون فيه لتحديد بعض قِيَم نظام العالم التي تتعارض مع قِيَم اللّه.

وبعد ذلك، خوضوا في نقاش صريح عن النقاط والجوانب التي فيها يضغط نظام العالم عليك وعلى عائلتك. اخضع للمساءلة من مجموعتك، واطلب منهم أن يساعدوك في سعيك لأن تحيا حياةَ مُقدَّسة وطاهرة.

كانت إحدى الخطوات العملية في هذا الجزء الصوم عن متابعة وسائل الإعلام. إن لم تكن قد عملت هذا بعدُ، ففكِّر بأن تشجّع كامل المجموعة على أن تصوموا معاً عن متابعة الإعلام مدّة ثلاثة أيام إلى خمسة. يمكن للقليل من ضغط الأقران والأصدقاء أن يكون مفيداً في قبول تحدٍّ مثل هذا والنجاح فيه، كما أن هذا سيسمح لمجموعتك بأن تكتشف معاً النتائج الإيجابية لمثل هذا الصَّوم.

في مهمّة إرسالية مستمرّة بلا توقُّف

قال يسوع إنّنا «في العالم» ولكنّنا لسنا «منه»، لسنا مدعوّين للانعزال عن العالم، فحتّى نكون ملحاً ونوراً لعالمنا، ينبغي أن نكون قريبين منه. وقد كان يسوع مثالاً جميلاً لمعنى أن نكون «في» العالم دون أنْ نكون «منه».

اختلط يسوع باستمرار بالبعيدين عن اللّه، حتّى إنّ الكتاب المُقدَّس يقول إنّه كان صديقاً للخطاة. ولكنّه كان مختلفاً عن هؤلاء. وقد حارب بكلّ شجاعة ولطفٍ نظام قِيَم العالم.

في تفكيرك بالانفصال عن العالم، لا تسمح لهذا أن يصل حدّ الانعزال. فكما تكلّمنا في هذا الجزء، أنتَ سفير، وكسفيرٍ عليك أن تحيا في وسط أرضٍ غريبة، ولكنّ قِيَمك ومهمّتك يحدِّدهما ملكك.

الجزء الثالث

كيف يمكنك أن تستوعب ذاتك الحقيقية

الصحو في التقييم الذاتي

رومية ١٢ : ٣–٨

المعرفة اللاهوتية هي المحيط الذي تطفو فيه وعبره الروح فتدخل إلى القلب البشري. ومع ذلك لا بد من وجود توبة حقيقية قبل أن يستطيع الحقّ أن ينتج إيماناً.

A.W. Tozer

الفصل الحادي عشر

من تظن نفسك؟

لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ.[1]

- يسوع الناصري

كان العام ١٩٧٢. ومن دون أن أنتبه، كنت قد بدأت رحلة لأجل الإجابة عن أهمّ سؤالٍ في حياتي: «من أنا؟» لم أكن أقصد أن يكون سؤالًا من المسائل الفلسفية والميتافيزيقيا، بل قصدت البحث العميق في أعماق الروح للوصول إلى معرفة يقينية بحقيقتك وهويتك.

ليست الإجابة عن هذا السؤال دائماً سهلة، كون العديد من العوامل والأشخاص تحاول باستمرار أن تخبرك بالإجابة. ومما يزيد المسألة تعقيدًا أنَّ سعينا الدائم إلى قبول الآخرين لنا يدفعنا إلى أن نبحث ونسعى ونتصرف كما يريدنا الآخرون أن نكون بدلاً من أن نكتشف هويتنا الحقيقية. نتصارع جميعنا مع هذا السؤال والذي له اليد الطولى في تقييم نوع العلاقات ومستوى القناعة والرّضا التي نختبرها في هذه الحياة.

العوامل التي تشكّل حياتنا

تلعب الخلفية العائلية والبيئة والميزات الشخصية والآخرون والمثال الأعلى في الطفولة ونظام القيم والمعتقدات التي تعلمناها دورًا هامًا في تشكيل هويتنا الذاتية الخاصة.

فعلى سبيل المثال، ترعرعت في عائلة من الطبقة الوسطى في وسط أوهايو. كان والداي يعملان في سلك التعليم، وسبق أن كان أبي من الذين خدموا في البحرية في جنوب المحيط الهادئ في غوام وأيوا جيما خلال الحرب العالمية الثانية.

١ لوقا ١٤ : ١١

كان رياضيًا بارعًا، وحصل على منحة رياضية في البيسبول ليلتحق بالجامعة، وحاز على جائزة الملاكمة للهواة في ولاية فرجينيا، والتحق بفريق «سانت لويس براونز» (St. Louis Browns) للبيسبول بعد الدّراسة الجامعية. ومع ذلك عاش أول خمسين عاماً من حياته مدمنًا الكحول، غير قادر على أن يتغلب على الفظائع التي رآها والشعور بالذنب لقتله العديد من الأشخاص في فترة الحرب. أراد الأفضل لي، ولكن بسبب فقدانه لوالده بمرض الغرغرينا عندما كان في الثالثة عشر من العمر، واجه صعوبة في أن يتواصل بحب وعاطفة مع أولاده.

كانت أمي امرأة رائعة، مُحِبة، متفانية وذكية ولديها مهارات مدهشة في التعامل مع الناس. كانت سر تماسك العائلة، وكانت تتستر أيضًا عن غير قصد على والدي بطرق أعطته قوّة وأبقت على نظامٍ غير سليم في علاقاتنا.

هذه هي باختصار خلفيتي العائلية من وجهة النظر النفسية بعد ثلاثين عامًا حسب ما حللها الابن (أنا) الذي حصل على بكالوريوس في علم النفس.كان لدي والدان رائعان أحباني بعمق، كانا هما أيضًا نتاج خلفية عائلتيهما.

وعاشا مرحلة الكساد الاقتصادي والحرب العالمية الثانية، وربّياني في العقود المضطربة في أواخر الخمسينيات وحتّى أوائل السبعينيات.

أمّنوا ما بوسعهم تأمينه، وضحيا وأعطيا أبناءهم كلّ ما في مقدرتهم. وأنا أعترف بفضلهم إلى الأبد. لم أنشأ في عائلة مسيحية لديها علاقة شخصية بالمسيح أو كانت تذهب إلى كنيسة تتمحور حول الرب يسوع المسيح والعلاقة الشخصية به، بل ترعرعت في عائلة متدينة تركز كثيرًا على الأخلاق والقيم العالية والثقة بالنفس، وتقدِّم التأييد القوي لأفرادها.

بين خلفيتي العائلية والحمض النووي الذي أعطاني إياه اللّه، نشأتُ مندفعًا بشدة وبشعورٍ عميق بعدم الأمان وعاملاً بجدٍّ ومنجزاً. أعرب والدي عن حبه مع أفضل نيّاته برغبته بأن أحصل على أفضل ما في الحياة. كانت طريقته في إنجاز هذا الأمر من خلال الأداء المتميز والمكافأة المشروطة بالرّضا.

إن عدت يومًا إلى المنزل ولدي علامة واحدة في التقرير المدرسي تقل عن الممتاز، كان يتبع هذا الأمر نقاش خطير عن سبب الخطأ الذي حصل وكيف. وكان يحدث نفس الأمر إذا أحرزت اثنتين من أربع ضربات في لعبة البيسبول. كان كل إنجاز أو تحقيق هدف أو الحصول على درجة جامعية تتبعه ابتسامةٌ عريضة ونقاش حول الهدف التالي أو الدرجة الأعلى. وأنا لا أتحدّث عن هذا الأمر في هذه المرحلة من حياتي لأحمّل والدي أي ذنب أو لأصور نفسي ضحيةً على الإطلاق، بل أنا أفعل ذلك لأساعدك في أنْ تستوعب بشكلٍ أفضل الطّريقة التي تربّيتَ بها وتجاوبتَ معها، وعندها ستكتشف حقيقتك أو هويتك.

> ستكتشف حقيقتك وهويتك عندما تستوعب بشكلٍ أفضل الطّريقة التي تربّيتَ بها وتجاوبتَ معها.

قادتني رغبتي في إرضاء أبي ومكافآته المشروطة (مع دعمه الكامل ومحبته لمجهودي بطبيعة الحال) إلى أن أصبح شخصًا ذا حافزيّة عالية، ومدمناً على العمل ومتمحوراً حول تحقيق الهدف، ويمتلك مؤهلات ومهارات أكثر ممّا لدى الناس العاديّين. حصلت على الدرجات الممتازة وعلى منحة رياضية للجامعة. تعلمت كيف أحصل على شعورٍ يشبه الحب بتحقيق توقعات الآخرين.

ومع تقدمي في العمر كنت أكتشف أن المجموعات المختلفة لديها توقعات مختلفة. ولهذا أصبحت أشبه الحرباء الاجتماعية. تعلمت أن أكون رقيقًا وأنا مع الفتيات في المدرسة الثانوية كي أفتنهنَّ وأستأسر قلوبهن. وتعلمت أن أجيب أساتذتي بـ «نعم سيدي» و «كلا سيدي»، كلما وجّهوا لي السؤال، لأكسبهم إلى صفي، ولكي أحصل على الصورة اللامعة التي سأستفيد منها مع القليل من النعمة الزّائدة عند وضع العلامات.

وتعلمت أن أتصرف بخشونة في غرفة تغيير الملابس، وأن أشتم كالبحار، وأجنِّد أضخم وأقوى شخص في الفريق ليكون أفضل أصدقائي. ففي ما يتعلق بأوصاف قياسي الجسدي، كنت بحاجة إلى شخص يعزز ثقتي المختلقة بنفسي، والموقف الرافض لأي خطإٍ بحقّي. ربما تضحك الآن بينما تقرأ هذه الكلمات. يفهم كثيرون منكم محاولاتي اليائسة «لأكون شخصًا آخر» كي أكسب قبول الآخرين.

ومن المؤسف أن هذه المحاولات الصبيانية الجاهدة لم تفلح في أن تعطي النتائج المرجوّة. فحين تتظاهر باستمرار أنك شخص آخر أو تحاول دومًا أن تكسب موافقة الآخرين بتمثيل ما تظن أنهم يريدون منك، فإنك تبث ما يُسمَّى «صورة ثلاثية الأبعاد» لتلميع شخصياتك المتعددة.

وتُبَث هذه الشخصية المختلفة لأشخاص متعددين وفي أوقات مختلفة على أمل أن يدركوا أنني من نوع الشخص الذي سيقبلونه، ويكافئونه، ويتبنّونه. كلنا نفعل الأمر نفسه على مستويات مختلفة بغض النظر عن وضعنا في الحياة، ولكن عندما يصبح الأمر صفة تميز طريقة حياة وعلاقات الشخص، يكون الأمر مميتًا.

كلنا نكره النفاق – حتى عندما نراه في أنفسنا، وفي الوقت الذي وصلت فيه إلى نهاية صفوفي الثانوية، كنت قد أتقنت فنّ تلميع الصورة الذاتية. كنت قد أصبحت بارعًا في إعطاء شخصية مختلفة عني لأشخاص ومجموعات متعددين في عالمي. وأدى هذا الأمر إلى نجاح ملحوظ وعدد كبير من العلاقات السطحية.

ولكنني كنت أموت من الداخل. كنت أشعر بالوحدة، تعبت من التظاهر، لكنني لم أكن أعلم كيف أتصرف بطريقة مختلفة. عندما فكرت بهذا السؤال: «من أنا حقًّا؟» لم أكن أعلم ببساطة كيف أجيب أو حتى كيف أكتشف الإجابة.

في هذا الجزء (من الفصل الحادي عشر حتى الفصل الخامس عشر)، أريد أن أساعدك في الإجابة عن هذا السؤال: «كيف يمكنك أن تستوعب ذاتك الحقيقية؟»

في رحلتنا معًا إلى اكتشاف الذات، لا يسعني إلا أن أشعر بالإثارة لهذا الأمر. فمنذ بضعة أسابيع شاركت نفس هذه المواد مع مجموعة تتراوح أعمارها بين العشرة والعشرين عامًا في غرفة معيشتي ضمن مجموعة «دراسة الكتاب المقدس». كانت أمانتهم وصدقهم وتساؤلاتهم كاشفة ومؤكدة.

بينما كنت أراقبهم وهم يصبحون أكثر إثارة وفرحاً في استيعاب ذاتهم الحقيقية وكيف نفهم الله، تذكرت أهمية أن يكون المرء حقيقيًا – كم هو ثوري أن ألا تعود بحاجة إلى ادعاء ما لست عليه وتتقبل بالكامل نفسك كما أنت بالحقيقة!

رأيت نفسي بالألوان الحية – ولم يكن ما رأيتُه جميلاً

حصل الاختراق في حياتي مباشرة بعد تخرجي من المدرسة الثانوية، فرغم أنني لم أكن مؤمناً في ذلك الوقت، فإنَّ مدرب فريق كرة القدم دفع عني تكاليف ذهابي إلى المخيم الصيفي الذي عُقد برعاية «شركة الرياضيين المسيحيين». كنا يوميًا وقبل تناول الفطور نمارس التمارين الصباحية ثم نُعطى خمس عشرة دقيقة لقراءة الكتاب المقدس.

وبما أنني لم أكن قد قرأت الكتاب المقدس من قبل، كنت بطيئًا في الانضمام إلى هذا البرنامج، لكن في اليوم الرابع فتحت الكتاب المقدس وبدأت أقرأ كلمات الله التي أطلقت رحلتي في اتجاه اكتشاف ذاتي الحقيقية.

> «فَإِنِّي أَقُولُ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي، لِكُلِّ مَنْ هُوَ بَيْنَكُمْ: أَنْ لاَ يَرْتَئِيَ فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَئِيَ، بَلْ يَرْتَئِيَ إلى التَّعَقُّلِ، كَمَا قَسَمَ اللهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِقْدَارًا مِنَ الإِيمَانِ.»
> رومية ١٢:٣

من الصعب أن تشرح ما حدث في تلك اللحظة بالذات لأي شخصٍ آخر. لم أقرأ الكتاب المقدس من قبل ومن المؤكد أني لم أكن أعرف ما يمكن توقعه، ولكن بينما كنت أقرأ هذه الكلمات:

> « أَنْ لاَ يَرْتَئِيَ فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَئِيَ،»

اخترق الروح القدس قلبي (لم أكن أعلم حينها أن هذا ما يحدث) وكشف لي تكبّري وثقتي الزائفة بنفسي.

بينما بقيت كلمات الكتاب المقدس في عقلي، حصل معي اختبار لن أنساه أبدًا. فكأن الله قد ضغط على زر الانطلاق «Play» في جهاز الفيديو في عقلي، فبدأت أرى لقاءات سابقة بيني وبين مختلف المجموعات التي كنت أتصرف فيها بشكل مختلف عن الأخرى.

رأيت نفسي بالألوان الحية البراقة، كيف كنت أتصرف بلباقة وطيبة مع فتاة جميلة في المدرسة بينما تتكشف نيّتي الحقيقية معها. رأيت نفسي كيف كنت أحاول التلاعب بعواطف أحد أساتذتي بطريقتي المعهودة كي يغير لي إحدى علاماتي، ومع هذا تأتي صورة لي في غرف تغيير الملابس وأنا أقذف كلمات الإدانة والسخرية من زملائي الرياضيين كي أخفي مخاوفي وشعوري بعدم الأمان.

كان الأمر غريبًا! أحسست بالإدانة! لكن أكثر شعور كشفًا لحقيقتي من أي شيءٍ آخر كان الشعور بالفراغ والوحدة والحزن كما لم أحس من قبل. مؤكد أنني لم أكن أعلم ما يعنيه أن «أفكّر بنفسي وأحكم عليها بشكلٍ صاحٍ وواعٍ،» لكن ما أعلمه هو أنني لم أحب نفسي كما رأيتها. لم أحب التظاهر بغير ما أنا عليه. وإن كان الأمر ممكنًا، أردت أن أعلم الإجابة عن السؤال: «من أنا؟»

كانت هذه بداية رحلتي. والآن ماذا عنك أنت؟ من أنت بالحقيقة؟ كلنا نتظاهر بما لسنا عليه إلى حدٍّ ما: كيف تفعل هذا الأمر؟ عندما تنظر إلى المرآة، هل يعجبك ما تراه؟ هل تعلم أن الشخص الأكثر جاذبية في العالم هو أنت كما خلقك الله بشكل فريد ومميز؟ أليس رائعًا أن تكتشف من يكون هذا الشخص حقًا؟

حسنًا، إن كانت الإجابة «نعم»، فشدّ حزام الأمان، لأن رحلتك ستبدأ بينما نحاول اكتشاف الإجابة في الفصول القادمة من هذا الكتاب. ولكن قبل الانطلاق، دعني أسألك أن تأخذ بضع دقائق لتفكّر فيها مليًا أو تشارك أفكارك مع صديق، وتبحث في الأمر بعمقٍ أكثر قليلاً.

إنّها خطوتك الخاصة – أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢

يتوق الله إلى أن يتكلّم شخصيًا معك، خذ دقيقتين من وقتك واقرأ على مهل أسئلة واقتراحات «ثق بي» (TRUST ME) للنمو الروحي، ثمّ اجلس بهدوء ثلاث دقائق واسأل الله: أيّ من هذه الأسئلة والاقتراحات قد يؤمّن لك سبيلاً إلى النّعمة التي ستقوّيك وتُشجّعك. لا تشعر بأنّك مجبرٌ على أن تجيب عن كلّ الأسئلة المطروحة أو القيام بكلّ الأعمال المقترحة. فاستمع إلى الروح القدس فحسب، واتبع قيادته لك.

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

ماذا كان يتبادر إلى ذهنك وأنت تقرأ هذا الفصل؟

تأمّل (Reflect)

ما جوانب تشابه قصتي مع قصتك؟ ما الجوانب الصّعبة في قصتك؟

افهم (Understand)

متى كانت آخر مرة فكرت فيها بجدية حول هذا السؤال: «من أنا حقًا؟» أيّ جزء من إجاباتك عن هذا السؤال أشعرك بعدم الراحة؟ الانفعال؟ الخوف؟

سلّم (Surrender)

اسأل اللّه أن يفتح عينيك وقلبك لترى نفسك كما يراك هو.

اتخذ إجراء (Take Action)

اكتب أسماء ثلاثة أشخاص وأحداث كانت السبب وراء الطّريقة التي تنظر بها إلى نفسك اليوم.

الدافع (Motivation)

حدد وقتًا للاستماع إلى الرسالة الصوتية والمرئية على الموقع:
www.levantmedia.com/TS

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

فكّر بشخصٍ لديه نظرة سيئة عن نفسه وحدّثه عن ميزات إيجابية تراها أنت في حياته. أخبره أن الأمر يتعلّق بواجب دراسي لمشروع التنشئة الروحية الذي تعمل عليه، وذلك كيلا يشعر بالإحراج.

الفصل الثاني عشر

هل أجبت عن أسئلة الحياة الكبيرة؟

فَقَالَ لَهُمْ:أَنْتُمُ الَّذِينَ تُبَرِّرُونَ أَنْفُسَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ! وَلكِنَّ اللهَ يَعْرِفُ قُلُوبَكُمْ. إِنَّ الْمُسْتَعْلِيَ عِنْدَ النَّاسِ هُوَ رِجْسٌ قُدَّامَ اللهِ.[٢]

- يسوع الناصري

يسعى البشر دومًا (عن قصد أو عن غير قصد) إلى الإجابة عن هذه الأسئلة الثلاث الرئيسية في الحياة:

١. من أنا؟ يتعلق هذا السؤال بالهوية.

٢. إلى ماذا أنتمي؟ يتعلق هذا السؤال بالشعور بالأمان.

٣. ماذا يُفترَض بي أن أفعل؟ يتعلق هذا السؤال بأهميتنا.

عندما تفكّر بالأمر، فإنّ طريقة إجابتنا عن هذه الأسئلة تدلّ على أسس عيشنا لكل حياتنا.

٢ لوقا ١٦ : ١٥

الأسئلة الثلاث الرئيسية

١- من أنا؟

يتعلّق هذا السؤال بالطريقة التي نفكّر بها بشأن أنفسنا والأسلوب الذي نعرّف به عن أنفسنا للآخرين. قد تختلف الإجابات بحسب الأشخاص. من أنا؟ أنا طبيب، رياضي، ربة منزل. عندما كنت صغيرًا وأنا أستعد لمغادرة المنزل، كان والدي يحثّني على أن أتذكّر دومًا هذه الجملة: «أنت من عائلة إنجرام، لذا تصرف دومًا على هذا الأساس».

تتعلق كلّ هذه المدلولات بشأن أنفسنا بالهوية. بينما نكبر في السن وتتغير حياتنا، نعيد تشكيل هويتنا في عقلنا وفي تواصلنا مع الآخرين. لكن لاحظ أنّ معظم المصطلحات التي نستخدمها عادة للدلالة على أنفسنا ترمز إلى ما نفعله وليس إلى ما نحن عليه (حقيقتنا)

٢- إلى ماذا أو مَن أنتمي؟

يتعلّق هذا السؤال بالشعور بالأمان، نحن نسعى دومًا، من اللحظة التي فيها نبدأ السير على أقدامنا حتّى اللحظة التي نضطر لاستخدام العكازات، إلى الانضمام إلى النوادي والمجموعات، ونرسم الوشوم، ونشتري الملابس ذات الماركات العالمية، بهدف أن نُخبِر الآخرين عمّا ننتمي إليه. لنأخذ مثلًا خلال مواسم دورات كرة القدم. ترى الأعلام والشارات على السيارات وشرفات المنازل ترمز بفخرٍ لهوية واضعها.

قد يذهب آخرون إلى ارتداء القمصان التي تشير إلى فريقهم المفضل، وقد تدفع النساء آلاف الدولارات لشراء حقائب تشير إلى هوية مصممها، التي ترمز إلى الأناقة والغنى.

نتوق جميعًا بقوة إلى الشعور بالانتماء، ونريد أن يعلم الجميع عن العائلة أو المجموعة أو النادي أو الزمرة أو الحزب السياسي أو الطبقة الاجتماعية أو الأخوية أو السكن الجامعي أو العرق أو الكنيسة التي ننتمي إليها، وذلك لملء احتياجنا من الإحساس بالأمان.

٣- ماذا يفترض بي أن أفعل؟

يركّز السؤال الثالث على قضيّة الأهمية والمعنى: «ماذا يفترض بي أن أفعل في حياتي؟» أو «لماذا أنا موجود على كوكب الأرض؟» نسأل ونجيب عن هذا السؤال منذ الطفولة إلى منتصف العمر. طوّر الفلاسفة واللاهوتيون والأديان كافة مختلف الأجوبة عن هذا السؤال- كونه سؤالًا رئيسيًا فعلًا في الحياة.

تشكّل هذه الأسئلة الثلاثة حجر الزاوية لوجودنا بأكمله، ومن المؤسف أنه في يومنا هذا يطغى انجذابنا الآسر إلى وسائل الإعلام وضجيج نمط الحياة السريع، على نفوسنا،

فتبدأ أرواحنا تطالب بالإجابة الصريحة عن هذه الأسئلة الرئيسية الثلاثة.

يمضي كثيرون معظم حياتهم رافضين مواجهة هذه الأسئلة، كون الأمر يتطلّب تفكيرًا عميقًا يقودهم بالتالي إلى المسؤولية الأخلاقية. لا يمكن أن تتجنب «مسألة اللّه» حين تسأل: «لماذا أنا موجود هنا؟» حتى أولئك الذين يعلنون عن محبتهم للّه وثقتهم بالرب يسوع المسيح يمرون على هذه الأسئلة بسرعة.

وإنه أسهل لنا أن نقبل أجوبة دينية مألوفة وننخرط في نشاطات دينية فعالة على أن نخوض في عملية مؤلمة وصعبة من «كُفُّوا وَاعْلَمُوا أَنِّي أَنَا اللهُ. أَتَعَالَى بَيْنَ الأُمَمِ، أَتَعَالَى فِي الأَرْضِ.»[٣] لكن لكي يخبرك اللّه من أنت ولماذا أنت موجودٌ هنا وماذا عليك أن تفعل، عليك أن تلتزم الهدوء وعدم عمل شيء.

لماذا تصعب الإجابة عن هذه الأسئلة؟

لماذا يبدو التوقف لمواجهة هذه الأسئلة صعبًا دائمًا؟ لماذا يبدو صعبًا أن تسأل وتجيب عن ثلاثة أسئلة بسيطة؟ لماذا يقدم أشخاص مختلفون أجوبة مختلفة عن هذه الأسئلة؟ لماذا يجد الأشخاص الأذكياء صعوبة في اكتشاف من هم، وما ينتمون إليه، وماذا ينبغي عليهم أن يفعلوا؟

قبل الإجابة عن هذه الأسئلة، أريد أن أطلب منك أن تشاركني في رحلة قصيرة إلى مكانٍ آخر وزمانٍ آخر حيث يكشف اللّه لماذا ستبقى الإجابة عن هذه الأسئلة صعبة دومًا وستبقى مصدرًا للحيرة على المستوى الشخصي وفي العلاقات.

المشهد هو في حديقة، هناك مشكلة واحدة – ألا وهي أن الخطيئة دخلت العالم، فكانت الرّواية التالية عن المواجهة الأولى بين اللّه وأبوينا الأولين بعد أن عصيا أمر اللّه عمدًا. لاحظ بينما تقرأ هذا النّص ببطءٍ وانتباه التغيير الذي حصل في العلاقة المنفتحة الرقيقة والمُحبة بين اللّه وآدم وبين اللّه وحواء. ثانيًا، لاحظ دخول الخطيئة الديناميكية العلاقية بين الزوج والزوجة الأولين:

> وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: «لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا». فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا! بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ». فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ. فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ».

٣ المزامير ٤٦: ١٠

فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟» فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ». فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْمَرْأَةِ: «مَا هذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: «الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ».

تكوين ٣ : ٣-١٣

بما أنّ هذه القصّة معروفة، أود أن أسألكم أن تعلّقوا أفكاركم المسبقة عن كون هذه القصة تشرح كيف دخلت الخطيئة إلى العالم. في هذا الحوار القصير بين اللّه وآدم، ولاحقًا بين آدم وحواء، نجد نمطًا جديدًا في العلاقات سيغير إلى الأبد كيفية تواصلنا مع اللّه وبعضنا مع بعض. ولن تفهم تمامًا ما حدث في علاقتهما باللّه وأحدهما بالآخر، ما لم تتمكن من الإجابة عن أسئلة الحياة الأكثر عمقًا بشكلٍ فعّال.

لنلقِ نظرة معًا على هذه الفقرة، عند هبوب ريح النهار سمع آدم صوت اللّه يمشي في الجنة. ونفترض هنا أنّه كان قادمًا ليمضي بعض الوقت معه. يبدو أنّ هذا النّص يشير إلى أنّ هذا الأمر كان عادة مألوفة في هذا الوقت من النهار، وأنّ آدم أجاب بشكلٍ مختلف عن الأيام السابقة. كان اللّه الذي صنعه، وأحبّه، ويلتذ به، قادمًا ليمضي بعض الوقت معه. ومع هذا فعل شيئًا مختلفًا – اختبأ!! «فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟»» لم يكن هذا سؤالاً يتطلّب إجابة إخباريّة، بل كان تشخيصًا.

واضحٌ أن اللّه عرف أين هو آدم، لكنه أراده أن يجيب بنفسه عن هذا السؤال: «أين أنا؟» وأتى ردّ آدم كاشفاً وفاضحاً:

«سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ.»

لاحظ الكلمات المفتاحيّة: «خشيت، عريان، اختبأت.» ما الذي تسبّب في خوف آدم؟ أصبح لديه الآن وعي ذاتي جديد. لقد وعى حقيقة كونه عريانًا. فللأول مرّة في اختباره مع اللّه، تشعر أجزاء منه بالعري، أجزاء صار لا يشعر براحة في السماح لأي شخصٍ آخر برؤيتها – حتى اللّه.

يعلم آدم بالغريزة (مع معرفته الجديدة بالخير والشرّ) بوجود خطأ ونقصٍ ما فيه: ترافقت معرفته الجديدة بمشاعر لم يختبرها من قبل تُدعى العار، فكان تجاوبه معها هو الاختباء. لقد خلق إحساس آدم الجديد بالعار نوعًا من الخوف، الخوف من الرفض، وعدم الأهلية، ممّا أدى إلى نمط سلوكيّ جديد ألا وهو التستر أو إخفاء حقيقته.

لأول مرّة في تاريخ البشرية، يصبح رد الإنسان على رغبة اللّه في علاقته به هو العار المؤدي إلى الخوف الذي ينتج عنه الاختباء. ولكن لم ينتهِ الضرر هنا.

فقد سأل اللّه سؤالًا تشخيصياً آخر: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟». من الواضح أن اللّه لم يتلق ردّ فعل آدم بالإدانة، بل بسلسلة من الأسئلة

التي تساعده في أن يفهم حقيقة تصرفه. كان جواب آدم التالي مدويًا، فبدلًا من أن يتحمل نتيجة تصرفاته، نقل آدم اللوم إلى زوجته وإلى اللّه بطريقة غير مباشرة.

«الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ.»

هذا يعني: «ليست هذه غلطتي.» وهذا هو ما يُدعى النكران وسلوك إبعاد الملامة بحسب علم النفس.

استمع اللّه إلى تبريرات آدم بصبر، وكما يفعل مقدّم المشورة الجيد حين يسأل المتهم (حواء) عن صحة التهمة المنسوبة إليها. «فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْمَرْأَةِ: «مَا هذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟» فقالت المرأة: «الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ.»

لم يستغرق حواء وقتًا طويلًا لتتعلّم من زوجها، فعندما جوبهت بحقيقة تصرّفها، رفضت هي أيضًا أن تأخذ اللوم على نفسها، فألقته على طرفٍ ثالث (الحية) وبشكلٍ غير مباشر على اللّه – خالق كل المخلوقات الحية.

لدينا على المستوى الظاهري قصة مألوفة من الكتاب المقدس تخبرنا بما يصفه اللاهوتيون بـ «السقوط» أو الكيفية التي بها دخلت الخطيئة إلى العالم. ولكن ما تخفيه هذه القصة الشهيرة هو أهمّ ثلاثة عوائق سنواجهها أنا وأنت في محاولة الإجابة عن أكبر ثلاثة أسئلة عن الحياة: من أنا؟ ماذا ينبغي أن أفعل؟ إلى ماذا أنتمي؟ السقوط هو أكبر بكثير من مجرد مفهوم لاهوتي.

لقد شوّه السقوط علاقاتنا باللّه، وبالآخرين وبأنفسنا. وإذا كنت لم تفهم الآثار المترتبة عليها، فستظل تلاحق خيالك روحيّاً طيلة بقيّة أيام حياتك.

العوائق الثلاثة لاكتشاف ذاتك الحقيقية

هناك ثلاث عقبات أساسية للإجابة عن أسئلة الحياة الرئيسية:

١- **الخوف المتجذر في العار**: نعيش علاقتنا باللّه ممزوجة بالخوف، ونعيش علاقاتنا بالآخرين ممزوجة بالخوف أيضًا. نخاف دوماً من الفشل ونخاف من الانفتاح على الآخرين فنصبح أكثر عرضة للتأثّر، لأننا نخشى أن يرى الآخرون عدم أهليتنا – وأنّنا لا نرتقي إلى المستوى المطلوب. ونتيجة لهذا الأمر، نخاف أن نكون صادقين، نخاف أن نحاول، نخاف من الخطأ، نخاف من السماح للآخرين بأن يدخلوا إلى حياتنا، نخاف حتّى من أن نحاول النظر بصدق إلى ذواتنا. لماذا؟ لأن هناك أجزاء فينا نعلم، شأننا شأن آدم، أنها ليست بالمستوى المطلوب. فتصبح كل هذه المخاوف عوائق كبيرة، ولهذا تصبح الإجابة عن سؤال «من أنا؟» أكثر صعوبة. إنها مشكلة هوية.

٢- الاختباء المتجذّر في عدم الأمان: لماذا اختبأ آدم؟ «لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ.» يدفعنا إحساسنا بعدم الأهلية وعدم الأمان إلى إخفاء ذواتنا الحقيقية – ليس عن الله فحسب، بل بعضنا عن بعض أيضًا. وكأنّه يقول: لو أنك عرفتني أنا على حقيقتي – وليس ما كنت أظهره، ليس الجزء الطاهر النظيف – لو أنك عرفتني على حقيقتي مع بعض الأفكار التي كانت لديّ، وبعض الأمور التي اقترفتها، فسترفضني حتمًا! أعرف في أعماقي أنّ هناك تناقضًا بين ما أريد أن أكون وما يدعوني الله إلى أن أكونه، وما أنا عليه حقًا. لكن هذا التناقض أكبر بكثير مما أكون مستعدًا لأتحدّث عنه. ويكمن خوفي الأكبر(إذا تُركتُ لمواردي الخاصة) في أن تراني على حقيقتي. أخاف أن ترى عدم كفايتي وافتقاري إلى الأمان خلف كلّ الصور الجميلة الإيجابية التي أُظهرها والأقنعة التي أرتديها.

يدعى هذا الأمر «لباقة الصورة». ليست القضية إن كنتَ تفعل ذلك، بل هي إلى أي مدى نفعل أنا وأنت ذلك. نحاول دائمًا أن نُظهر صورة ذاتية جيدة، نسعى إلى إيصال فكرة: «أنا أعمل بجدٍّ»، « أنا أم صالحة»، « أنا مسيحي ملتزم وصادق»، « أنا كريم»، « أنا أفعل هذا الأمر أو ذاك الأمر»، «التقيت فلانًا وفلانًا البارحة وساعدتهم عندما لم يهتم بهم أحد آخر»، «تخرجت من هذه المدرسة وتلك الجامعة»، وتطول القائمة. لا يجعلنا هذا الأمر أشخاصًا سيئين، بل بشرًا فحسب. نحن أشخاص ساقطون وستبقى أنماط علاقاتنا (بعيدًا عن المسيح وعن عمله الخلاصي) الاختباء من الله ومن أنفسنا وبعضنا من بعض لأننا نشعر بعدم الأمان على نحو شديد ومؤلم.

٣- اللوم المتجذر في الإنكار: عندما يكشف الناس «أوراق التين» أو يبدأ الله بأسئلته الصعبة لنا عن سلوكنا وتصرفاتنا، نلجأ لا إلى الاختباء فحسب، بل أيضًا إلى اللوم. يُكشف النقاب عن شعورنا بعدم الأمان وتُكشف خطيئتنا، لذا نبرر تصرفاتنا دومًا بإلقاء اللوم على شخصٍ آخر أو شيءٍ آخر. «ليس الأمر ذنبي... كان نظام العائلة التي ترعرعت فيها»، أو «خذلتني الحكومة»، أو «خذلني نظام التعليم»، أو «مشاهدتي للأفلام وضع كلّ هذه الأمور في رأسي»، أو «زوجي متزمت وقاسٍ، فكان عليّ أن أبحث عن الحب في مكانٍ آخر»، أو «لم تكن الكنيسة تلائم احتياجاتي.» بكل الوسائل، الكبيرة والصغيرة، وبطُرق منمقة ووقحة، نلوم الآخرين على مشكلاتنا وإخفاقاتنا ونواقصنا.

تجعل هذه العوائق الثلاثة، التي تسبّب دخول الخطيئة على العالم من خلالها، العلاقة مستحيلة من دون مساعدة الله. حتّى عندما نتخذ المسيح مخلصًا شخصيًا لحياتنا، فتُرفع عقوبة الخطيئة وتُكسر قيودها، تبقى هناك صعوبة في محاولتنا الكف عن الانزواء ومواجهة شعور عدم الأمان ومحاولة نقل اللوم إلى آخرين.

قد تبدو هذه الحقائق سهلة الاستيعاب فكريًا. لكن بالنسبة لي، كان من الصعب أن أعترف بها. إذ كان نمط حياتي الطويل في السعي إلى إثبات قيمتي من خلال تصرفاتي متجذّرا بعمق في شخصيتي رغم الحياة الجديدة في المسيح. وإضافةً إلى ذلك، كان اعترافي بشعوري بعدم الأمان يجعلني أشعر بالعجز والضعف. فرغم أنّ مفهوم «الاعتراف بخطايانا» يجعلنا نعلن أنّ الضعف والفشل حقيقتان فينا، فإنّ هذا الشعور ليسَ نموذج الرجولة الذي أريد اتّباعه.

كيف وجدتُ ذاتي الحقيقية

حصل الاختراق معي عندما كنت في الثامنة والعشرين من عمري. كانت أول مهمة في الخدمة لي في كنيسة صغيرةٍ في بلدةٍ في ولاية تكساس. هناك أخذني اللّه إلى نقطة حيث باستطاعتي أن أقر وأعترف بإحساسي بعدم الأمان. استخدم اللّه الظروف المميزة والفريدة والناس في هذه الكنيسة مع كتاب ألّفه عالم نفس مسيحي لاختراق سنين حياتي الممتلئة بمعتقدات خاطئة ومزيفة عن هويتي الحقيقية. ورغم أن الكنيسة تقع في قرية صغيرة في ضواحي تكساس، لم يكن مؤسسوها أشخاصًا يمكن أن يُعرَفوا بصفتهم «ريفيين». لم أكن أدرك هذا الأمر حينها، لكنني أدركت بعد بضعة أشهر أن المؤسسين لم يكونوا من نمط سكان الريف المعتاد.

كان أحدهم يملك شركة تأمين، وتملك عائلة آخرى أضخم شركة محاسبة في دالاس، ويملك آخر شركة عقارية وبعض محلات بيع الدراجات الناريّة وشركة تعهُّدات بناء.

وعندما ذهبتُ لأزورهم في منازلهم، كوني القس الجديد الشّاب، أدركت أن هذه العائلات الثرية والمرموقة والمتنفذة، اختارت أن تأتي إلى قرية صغيرة في ريف دالاس لتربية أسرهم، لكنهم لم يكونوا من النمط المعتاد لأهل القرى، سواء أكان ذلك بسبب حجم بيوتهم أو بسبب العطلات التي يمضونها، أو بسبب السيارات التي يقودونها. كنت أشعر بالهلع وعدم الأمان بشكل يائس في مهمتي الجديدة كراعٍ لكنيستهم.

لقد تربيت في كنف عائلة من الطبقة الوسطى، أذكر أنني وإخوتي كنا ننام في غرفة واحدة من منزل استأجرناه ضمّ غرفتي نوم. ومنذ ذلك الحين كنت أشعر بالنقص كلما وجدت نفسي محاطاً بأشخاص لديهم المال.

فقدَ والدي والده خلال مرحلة الكساد الاقتصادي ونتج عن موته اضطرار العائلة إلى بيع المزرعة وكل ما يملكونه. ونتيجة لذلك، نَمَت عندي حساسية مفرطة تجاه التوفير على الأقل وأحكام مسبقة تجاه الأثرياء. لم يكن بسبب شيء ما فعلوه، بل بسبب عدم شعوري بالأمان وبسبب الخلفية التي أتيت منها. كنت أشعر أنني صغير ومغفل بينَ الأثرياء.

شعرت بالوعي الذاتي وعدم الأهلية بينما كنت أربت على أكتافهم في هذه البيئة الجديدة. ولكن كلما تعمقت في معرفة أبناء رعيتي وبدأت أرى بعضًا من الانشقاقات والآلام في حياتهم وزواجهم، وعائلاتهم. بدأت شخصيًا أدرك أن «هؤلاء الأشخاص مضطربون مثلي أنا.» فلدى كل الأشخاص الأذكياء والأثرياء والناجحين مشكلات مثلي تمامًا. وفي واقع الأمر، إذ بدأت أقدم خدمات المشورة لبعض أولادهم الذين يمرّون بظروف صعبة، ومع الأزواج أصحاب الزيجات الفارغة، أدركت سريعًا أن الأشخاص الأثرياء لديهم مصاعب فريدة وصعبة أكثر من جميعنا. وقعتُ في تلك الفترة على كتابٍ بعنوان: The Strong And the Weak (الأقوياء والضعفاء) لعالم النفس المسيحي بول تورنيير (Paul Tournier). كان مضمون الكتاب بسيطًا.

كلما تعمقت في معرفة أبناء رعيتي، بدأت شخصيًا أدرك أن «هؤلاء الأشخاص مضطربون مثلي أنا.»

فبعد سنوات من تقديم المشورة للعديد من الأشخاص من كل الخلفيات، استنتج تورنيير أن كلّ شخص يشعر بعدم الأمان بشكلٍ يائس. يُظهر بعضهم شعوره بعدم الأمان بردّات فعل قوية، بينما الآخرون يظهرونها بردّات فعل ضعيفة. وتروي بقية الكتاب قصص الأشخاص ذوي ردّات الفعل القوية والضعيفة، الذين كانوا يُظهِرون مستويات مختلفة من الشعور بعدم الأمان.

فالأشخاص الذين يمارسون قوّتهم ويتسلطون عليك، ويتباهون بأعمالهم ونجاحاتهم ومقدار ما يكسبون من المال، ويحاولون بجهد إثارة إعجابك إنما هم أشخاص يفتقرون إلى الأمان. والأشخاص ذوو ردود الفعل القوية، مثل الغضب الجامح، والانفجارات العاطفية، والانتقادات اللاذعة وحب السيطرة، إنما يستخدمون طريقة دفاعية ليبقوا الآخرين بعيدًا (أو الاختباء كما ذكر الكتاب المقدس) كي لا يرى الآخرون حقيقتهم فيرفضوهم. يُبقي هذا النوع من التصرفات القوية الآخرين على مسافة بعيدة ، فلا يرون منهم إلا انعكاسًا للقوة والسلطة التي تخفي خلفها قناع الخوف والشعور بعدم الأمان.

وفي الطرف الآخر من السلسلة، هناك أشخاص يخفون شعورهم بعدم الأمان بإظهار ردود فعل تظهر ضعفهم تتضمن تلميحات مثل: «أنا ضعيف، أنا ضحية، أنا خجول جداً، لا أستطيع تحقيق أي أمر مهم، أنا خائف، عليك أن تشعر بالأسف نحوي» إلخ.

ومن شأن ردود فعل الضعف هذه أن تحشد الاهتمام والدعم في المراحل الأولى من العلاقة. ولكن بعد فترة تحاول أن تساعدهم وتساعدهم، وسرعان ما تنأى بنفسك عنهم لأنك تدرك أنهم لا يريدون المساعدة حقًا. فردود فعلهم الضعيفة هي طريقتهم الخاصة لخلق مسافة والاختباء، لئلا تستطيع معرفتهم على حقيقتهم. وبعد سرد القصة تلو الأخرى، يختم تورنيير بتقديم استنتاجه بأنَّ لدى كلّ الأشخاص قاسم مشترك واحد –رغم مواهبهم أو درجة ذكائهم أو نجاحهم– ألا وهو الشعور بعدم الأمان بشكل شديد ومؤلم.

بينما كنت أقرأ هذا الكتاب وأراقب حياة الأشخاص الأثرياء والرائعين في كنيستي (أولئك الذين كانوا يشعرونني بالتّهديد سابقًا)، وصلت إلى استنتاج بسيط وهو أنهم لا يشعرون بالأمان، وسينسحب هذا على كل من سأقابلهم لاحقًا. حرَّرني هذا الأمر بشكلٍ لا أستطيع وصفه. سمح لي بأن أخلع قناعي وأكون على سجيتي وأساعد الآخرين في أن يحذوا حذوي. ساعدني هذا في أن أبدأ بتمييز المواقف حين أحاول التظاهر على غير ما أنا عليه أو أسعى إلى التأثير في الآخرين بسبب شعوري بعدم الأمان. بدأت رحلة من قراءة ودراسة لكلمة اللّه بعيونٍ جديدة كي أجد أماني في علاقتي الشخصية بالمسيح.

كانت بداية رحلة طويلة ما زلت أخوضها، لكني أستطيع أن أخبرك بشكلٍ لا لبس فيه أنك تستطيع أن تكسر هذه الدوامة وتتعلم أن تخلع قناعك وتكشف عن الشخص المميز والرائع الذي صنعه اللّه – الذي هو أنت! يمكن للخوف أن يتبدد، فتواجه شعورك بعدم الأمان، وتتعلّم كيف تقبل اللّه خالقك وجابلك، ومن ثم تسير إلى الأمام بحرية وسلطان وفرح.

لن أنسى مطلقًا الخمس عشرة سنة التي أمضيتها في تطبيق الدروس التي تعلّمتها من تلك الكنيسة الرائعة عن الشعور بعدم الأمان. وذات مرّة، وجدت نفسي بطريقة أخرى في بيئة تنطوي على تهديدٍ من نوع آخر، ولم أدر ماذا أفعل.

كنت جالسًا إلى جانب تشاك سويندل **(Chuck Swindoll)** في مناسبة برعاية «مقدّمو البرامج الدينيّة في أمريكا» **(National Religious Broadcasters).**

كانت دعوة عشاء فقط للقادة المسيحيين ولمسؤولي التواصل على مستوى البلد. كانت المرة الأولى التي ألبّي فيها مثل هذه الدعوات، وتخيّل من يجلس إلى جانبي – تشاك سويندول. كانت خدمة «حياتك على حافة» **(Living On The Edge)** قد بدأت للتو تبث برامج على الإذاعة.

وكان هناك حوالي ثماني أو تسع إذاعات في ذلك الوقت. لذا تصوَّرْ شعوري بالتهديد وأنا أجلس بجانب أحد أبطالي في غرفة ممتلئة بـ «عمالقة روحيين» بينما أنا الوافد الجديد إلى هذه المجموعة.

بينما كنت جالسًا هناك وكفّاي مبللتان بالعرق وقلبي يتسارع بقوة، لاحظت أنني أشعر بعدم الأمان وأن عليّ تطبيق ما قد علمني إياه اللّه منذ عقدٍ ونصف. لذا استدرتُ نحو تشاك سويندول وقلت له: «اعذرني دكتور سويندول، اسمي تشيب إنجرام. وأنا جديد على كل هذه الأمور، هل يمكنني أن أخبرك شيئًا قبل أن نتابع جلستنا معًا؟» فأجاب:

«بالطبع.» قلت له: «أشعر أنني خارج بيئتي المعتادة هنا، ولا أعلم ما عليّ فعله، وهذا محيط يوحي بالتهديد. هل يمكنك أن تعطيني بعض النصائح والإرشادات حول تعاملي مع نفسي ومع هذه الخدمة بينما تنمو وتزدهر؟»

حالما نطقت بهذه الكلمات، عن مواجهة عدم شعوري بالأمان بدلًا من أن أحاول إخفاءها، شعرت بأن قلبي هدأ، وتبخرت جدران الخوف وشاهدت تشاك سويندول يدير كرسيه بسرعة في اتجاهي ويضع ذراعيه حولي قائلًا: «أريدك أن تفهم أنني أعرف تمامًا كيف تشعر، دعني أشاركك بعض الأمور التي تعلّمتها عبر السنين والتي قد تفيدك. بالمناسبة، ادعني باسمي تشاك، ولا داعي للرسميات.» بتلك الخطوة الأولى، عندما واجهت إحساسي بعدم الأمان أثناء وجودي في بيئة جديدة، بدأتُ علاقة بتشاك سويندول استمرت طيلة فترة ذلك العشاء السنوي.

وكما ترى، لستَ بحاجة للتأثير في من حولك. فأكثر ما يجذب الآخرين إليك هو أن تكون على سجيّتك، أن تكون على طبيعتك، أن تكون نفسك الحقيقية. وعندما تتعلّم أن تتقبّل أن «السقوط» هو السبب الذي يجعل الجميع يشعرون بعدم الأمان، تصبح أكثر حرية بأن تخلع قناعك، وتعود إلى طبيعتك، وتجد أمانك في المسيح.

إنّها خطوتك الخاصة – أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢

قد تقول في نفسك: «يا لها من قصة رائعة! كم أنا سعيد من أجلك! لكن فكرة نزعي لقناعي تبدو مخيفة جدًا.» بالنسبة للبعض، قد يكون هذا الفصل من الكتاب أشعل حماسهم مدركين أنهم ليسوا وحدهم– بل من الطبيعي أن تشعر بعدم الأمان مثل أي شخص آخر.

قد تتساءل الآن: «كيف يمكنني مقاومة رغبة التظاهر بما لست عليه، ولوم الآخرين على أخطائي، والاختباء بعيدًا؟ كيف يمكنني أن أكتشف الإجابة عن السؤال الكبير: من أنا؟ إلى ماذا أو مَن أنتمي؟ وماذا يُفترَض بي أن أفعل؟» سنتكلم عن هذه الأمور بالتحديد في الفصل القادم بينما نلقي نظرة أكثر قربًا على رومية ١٢: ٣–٨. ولكن قبل أن نفعل هذا، دعونا نأخذ بعض الوقت لمعالجة ما تكلمنا عنه في هذا الفصل. خذ لنفسك فنجانًا من القهوة أو الشاي، وافسح المجال لنفسك كي تسمع ما يكلمك به اللّه بينما تقرأ الأسئلة التالية.

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

ما هي العوائق الثلاثة التي تمنعنا من اكتشاف حقيقة أنفسنا؟

تأمّل (Reflect)

كيف تظهر هذه العوائق في علاقاتك؟

افهم (Understand)

متى ومع من تشعر بالراحة بأن تكون على طبيعتك؟ ما هي الحالات التي تشعر فيها بالحاجة إلى إظهار ردات فعل قوية أو ضعيفة لتبعد الأشخاص من حولك؟

سلّم (Surrender)

اعترف أمام الله وأمام نفسك بأنك تشعر بعدم الأمان على نحو شديد ومؤلم وتحتاج إلى أن تجد هذا الأمان في المسيح – وليس في شكلك الخارجي، أو أدائك، أو ممتلكاتك.

اتخذ إجراء (Take Action)

اخلع قناعك أمام شخص تثق به هذا الأسبوع وناقش معه ماذا تعلمت من هذا الفصل عن دور هذه العوائق الثلاثة في حياتك وعلاقاتك.

الدافع (Motivation)

حدد وقتًا للاستماع إلى الرسالة الصوتية والمرئية على الموقع:

www.levantmedia.com/TS

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

اختر أن تنظر إلى أبعد من ردة فعلك تجاه شخصٍ ما لا تستلطف الوجود قربه. وفي الأيام التالية، اسعَ إلى فهم السبب الذي يدفعك دومًا إلى اللجوء إلى الاختباء وإلقاء اللوم أو التظاهر. حاول كلما أمكنَ ذلك أن تُؤكّد وتُظهِر للشخص الذي يختبئ وراء القناع رأفة المسيح وشفقته.

الفصل الثالث عشر

هل اكتشفت ذاتك الحقيقية؟

خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي. وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إلى الأَبَدِ، وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي.[٤]

- يسوع الناصري

كيف تقاوم إغراء التظاهر بما لستَ عليه، وإلقاء اللوم على الآخرين، والاختباء؟ كيف يمكنك أن تتجاوز شعورك بعدم الأمان الذي يشل حياتك ويفسد علاقاتك؟ كيف يمكنك أن تجيب بدقة عن الأسئلة الثلاثة الكبيرة التي تحدد مصيرك؟

إجابة اللّه – رومية ١٢: ٣–٨

١. من أنت؟

«فَإِنِّي أَقُولُ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي، لِكُلِّ مَنْ هُوَ بَيْنَكُمْ: أَنْ لاَ يَرْتَئِيَ فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَئِيَ، بَلْ يَرْتَئِيَ إلى التَّعَقُّلِ، كَمَا قَسَمَ اللهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِقْدَارًا مِنَ الإِيمَانِ.»

الآية ٣

الأمر = فكر بنفسك بشكلٍ صحيح ودقيق.

٤ يوحنا ١٠: ٢٧–٢٨

٢. إلى ماذا تنتمي؟

«فَإِنَّهُ كَمَا فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ لَنَا أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَلكِنْ لَيْسَ جَمِيعُ الأَعْضَاءِ لَهَا عَمَلٌ وَاحِدٌ هكَذَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ: جَسَدٌ وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاءٌ بَعْضًا لِبَعْضٍ، كُلُّ وَاحِدٍ لِلآخَرِ.»

الآيات ٤–٥

السبب =.....

٣. ما يفترض بك أن تفعل؟

«وَلكِنْ لَنَا مَوَاهِبُ مُخْتَلِفَةٌ بِحَسَبِ النِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَنَا: أَنُبُوَّةٌ فَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الإِيمَانِ، أَمْ خِدْمَةٌ فَفِي الْخِدْمَةِ، أَمِ الْمُعَلِّمُ فَفِي التَّعْلِيمِ، أَمِ الواعظُ فَفِي الْوَعْظِ، الْمُعْطِي فَبِسَخَاءٍ، الْمُدَبِّرُ فَبِاجْتِهَادٍ، الرَّاحِمُ فَبِسُرُورٍ.»

الآيات ٦–٨

الممارسة =.....

رغم أننا سنركز كل طاقتنا في هذا الفصل على اكتشاف من أنت (هويتك)؟ (الآية ٣)، فإني أحرص على حصولك على صورة واضحة عن هذا المقطع وكيف يتوافق كلّ شيء معًا.

يُحدّد الرسول بولس في هذا المقطع الصغير من الكتاب المقدس الإجابات عن هذه الأسئلة الرئيسية الثلاثة. وهو يضعها في صيغة الأمر (الآية ٣)، ثم يبيّن سبب هذا الأمر (الآيات ٤–٥)، والممارسة المحددة لتنفيذ هذا الأمر (الآيات ٦–٨). بعد أحد عشر فصلًا يشرح فيها بولس مغفرة الله والخلاص وسكنى الروح القدس، يكشف هذا المقطع الآن كيف يمكن لعلاقتنا الجديدة بالمسيح أن تعطينا هوية جديدة وشعوراً جديدًا بالأمان، ومعنى جديداً وأبدياً.

نتعلّم في وقت قصير طريقة جديدة للتفكير، وتصبح لدينا عائلة جديدة ننتمي إليها، وهدف جديد نسعى إلى تحقيقه.

أريد أن أساعدك في هذا الفصل في فهم كيفية التفكير بدقة عن نفسك كابن /ابنة لله. لن يكون بمقدورك أن تخلع قناعك وتتواصل بعمق مع الآخرين حتّى ترى حقيقتك الجديدة في المسيح.

كيف ترى نفسك؟

أريدك أن ترتدي خوذة التفكير وتركّز بالكامل في قراءة الصفحات القادمة بينما نتفحص بدقة ما يقوله الله لك ولي عن تقييمنا الشخصي في رومية ١٢: ٣. نحتاج إلى أن ننتقل من المفهوم العام

إلى مبادئ محدّدة نستقيها من كلمة اللّه كي نستوعب بالكامل كيفية التغلّب على إحساسنا بعدم الأمان، ولذا، لنغُص في هذا معاً:

> فَإِنِّي أَقُولُ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي، لِكُلِّ مَنْ هُوَ بَيْنَكُمْ: أَنْ لاَ يَرْتَئِيَ فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَئِيَ، بَلْ يَرْتَئِيَ إِلَى التَّعَقُّلِ، كَمَا قَسَمَ اللهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِقْدَارًا مِنَ الإِيمَانِ.

أريدك أن تلاحظ أنني أركِّز على أربعة أجزاء في هذا المقطع. والهدف الرئيسي للآية ٣ هو أن اللّه يأمرنا بأن نفكّر بدقة في أنفسنا، وفي واقع الأمر هناك كلمة تتكرَّر بأشكال مختلفة عدة مرات. كلما تكررت كلمة «يرتئي» أو «التعقّل»، نجد دعوة إلى إعادة التفكير بدقة بأنفسنا بطريقة تتفق مع الواقع. تشدد كلمة التعقّل على فكرة «أن تكون رزينًا»، وهي تتضمّن صورة «أن لا تكون في حالة سُكر» أو تحت أمرٍ يمكن أن يؤثر سلباً في فهمك لنفسك. ويمضي الرسول فيما بعد بإعطاء بعض التحذيرات بشأن التفكير غير السليم أو غير الدقيق عن أنفسنا.

لاحظ قوله: «أَنْ لاَ يَرْتَئِيَ فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَئِيَ.» هذه وصيّة تحذيرية من التكبّر، من المشاعر الخفية والتصورات الذاتية أننا أكثر أهمية أو ذكاءً أو منزلةً أو قيمةً من الأشخاص الآخرين.

في بعض الأحيان نعمل هذا بطرق واضحة، غير أننا في معظم الحالات نفعل هذا الأمر بشكلٍ مستتر وبطريقة منمقة.

أن أفكّر بنفسي أكثر مما ينبغي أمرٌ يُنتِج دائمًا مشكلات علاقيّة وتفككًا. لا بد أنك صدفت أشخاصًا يتصرفون وكأنهم «هدية اللّه لبني البشر». لا يستغرقك الأمر وقتًا طويلًا لتدرك أنك لا تريد أن تكون مع هؤلاء الأشخاص. ومع ذلك

وفي أكثر لحظاتنا صدقًا مع أنفسنا ندرك أنّنا جميعًا نحاول إظهار مثل هذه المشاعر والتصرفات أمام الآخرين. وسواء أتعلّقَ الأمر بغضبٍ خفيٍّ تجاه شخصٍ ما لا يعاملنا بالإكرام الذي نتوقّعه، أو بنفاد الصبر الذي نشعر به عندما لا يفهم الآخر ما نريد إيصاله بالسرعة المطلوبة بينما نتواصل معه، فإن هذه هي الأشكال المستترة والخفية من التفكير المتعالي والمتشامخ الذي يُحذّر منه هذا المقطع. لكنه الأمر هنا لا ينهاك عن شيء: « أَنْ لاَ يَرْتَئِيَ فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَئِيَ» فحسب، بل يعطيك أمرًا إيجابيًا أيضًا: «بَلْ يَرْتَئِيَ إِلَى التَّعَقُّلِ.» هناك خطورة في نظرنا إلى أنفسنا بطريقة التكبير أو التصغير. قال أحدهم يومًا: «ليس التواضع في أن تفكّر بطريقة مبالغة أو مصغّرة عن نفسك؛ فالتواضع هو ألا تفكّر بنفسك على الإطلاق.»

> أن أفكّر بنفسي أكثر مما ينبغي أمرٌ يُنتِج دائمًا مشكلات علاقيّة وتفككًا.

لقد أمضينا جميعًا أوقاتًا مع أشخاص تصرخ كلمات وعبارات لغة جسدهم: «أنا غير مستحقّ، أنا لا أرتقي إلى المستوى المطلوب، أنا ضحية، لن تريد أن تبقى قربي لو علمت ماضيَّ.

لا أستطيع أن أفعل الصواب أبداً، أنا لا أحد، ولن أصل إلى أيّ مكان في حياتي أبدًا! » حتّى بعد تمضية وقتٍ قليل مع هؤلاء الأشخاص، نجد أنفسنا نستمع إلى رسائل متعددة تهدف من دون وعي إلى الحصول على التعاطف والدعم، ولكنها تنتج ردَّ فعلٍ معاكسًا.

لا تخطئ فهمي: هؤلاء أشخاص حقيقيون ولديهم مشكلات حقيقية ويحتاجون إلى محبتنا بينما يمرّون في ظروفهم الصعبة. ولكن ما أقصد الكلام عنه هو أولئك الأشخاص مع أصحاب العقلية: «أنا لا أحد، أنا ضحية.» ينتمي هؤلاء الأشخاص إلى فئة «المحتاجين إلى نعمة إلهية فائقة» لتحملهم، ومهما قدَّمت لهم من تأكيد وتشجيع، تبقيهم نظرتهم المشوهة إلى أنفسهم سجناء هذه العقلية.

وينطبق هذا على الأشخاص المتكبرين الذين يرون أن لهم قيمة عظيمة أيضًا، حيث تبقى النتيجة واحدة. فهم يفكّرون بأنفسهم، وفي نهاية المطاف، سواء أنظرتَ إلى نفسك بطريقة متعالية أو تصغيريّة، تكون النتيجة هي التكبر. فالتكبر ببساطة هو الانشغال بالذات والتركيز المستمر عليها.

ربما تساعدك هذه الصورة الكلامية التالية، أنا لا أمارس لعبة البولينغ الآن، ولكن عندما أفعل، ألاحظ أمرًا صحيحًا ١٠٠ في المئة. إن رميت الكرة ودخلت في الممر على اليسار تصبح كرة ممر، فتحصل على علامة صفر. وإن رميت الكرة ودخلت في الممر اليمين، تصبح كرة ممر وتحصل على علامة صفر أيضًا. وما أعنيه هو أنه لا يهم أي ممر تختار (التعالي أم تصغير النفس)، فكلاهما غير صحيح، وهي وجهة نظر غير صحيحة يمنعها الله. قد يبدو الأمر مستغربًا بالنسبة لك أن يأمرك الله بأنْ تفكر بدقة بنفسك. حسنًا، كيف تفعل هذا الأمر؟ تكمن الإجابة في الجزء الأخير من الآية ٣.

من أنت حقاً... في المسيح

الجملة التي تلي أمر الله لك أن «تَرْتَئِيَ إلى التَّعَقُّلِ» هي: «كَمَا قَسَمَ اللهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِقْدَارًا مِنَ الإِيمَانِ.» وهذه الجملة مهمة وحاسمة لفهم هذا المقطع، إن كلمة «الإِيمَانِ» الواردة هنا لا تعني الإيمان الذاتي أو الشخصي في المسيح؛ بل تُستخدم هنا بمعنى موضوعي – أي الحياة الجديدة التي تمتلكها في المسيح– كالإيمان الذي نتشاركه جميعًا كمؤمنين.

قدم نيويل (Newell) في تعليقه على سفر رومية ملخّصاً عظيماً لمعنى عبارة «قَسَمَ اللهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِقْدَارًا مِنَ الإِيمَانِ،»قائلًا إنها ترمز إلى المعيار الذي تقيّم به نفسك، أي الإيمان الموضوعي أو نظرة الكتاب المقدس عن الذات. لذا فإن الإِيمَانِ في هذا النص لا يدل على الفعل الشخصي

بالإيمان بالرب يسوع، بل إلى الحقيقة الموضوعية بشأن من أنت في المسيح وما هي حقيقتك بسبب علاقتك الجديدة فيه.

هذا الأمر الإلهي لنا بأن نرى أنفسنا «كما قَسَمَ اللهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِقْدَارًا مِنَ الإِيمَانِ،» هو ملخص وتصريح عن تلك الحقائق التي منحها الله لنا في الفصول الأحد عشر الأولى من سفر رومية. نصبح خليقة جديدة بالكامل عندما نضع ثقتنا في المسيح. يموت إنساننا القديم، ويسكننا الروح القدس، فنصبح خليقة جديدة في المسيح:

«إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا.»[٥]

نحصل على مكانة جديدة ووضعٍ جديدٍ أمام الله. هذه هي الدعوة إلى النظرة الدقيقة عن ذواتنا من خلال عدسة الكتاب المقدس.

لا يمكنني أن أبالغ في أهمية هذه النقطة التي أُغفِلت بشكلٍ صارخ في جسد المسيح اليوم.

ألتقي مسيحيين كثيرين يحبون الله ويتوقون إلى اتّباعه من كل قلوبهم، لكن يبدو جليًا أنهم لا يملكون الفهم الكافي عما هم حقيقة في المسيح. لا ترتكز علاقتهم إلا على اختباراتهم مع الله، لكن هذه العلاقة ليست متجذرة في الحقائق الأساسية حول هويّتهم وما يمتلكون كأبناء الله. ويقود هذا النقص في فهم المؤمنين المخلّصين إلى الهزيمة والإحباط، لكونهم يسعون إلى عيش الحياة الجديدة من خلال قوتهم الذاتية.

وبشكل مماثل، يتم تشجيع معظم المؤمنين الجدد بالمسيح على مزيد من الانخراط في النشاطات المسيحية وبدء ضبط حياتهم المسيحية وتهذيبها من أجل نموهم الروحي. يسمع الشباب المؤمنون بالمسيح دومًا العديد من الرسائل والدعوات إلى حضور الاجتماعات، والصلاة، وقراءة كلمة الله، والخدمة ومزيد من الانخراط في مجتمعاتهم– لأسباب صحيحة.

من المهم أن نتكلم مع الله من القلب، ونتعلم أن نسمع صوته، ونجدد أذهاننا من خلال كلمته، ونتمتع بالشركة مع شعبه، غير أن ما ينقص في كلّ النشاطات المسيحية القيّمة هذه هو التعليم المحدَّد عن معنى أن نكون في المسيح. علينا أن نفهم بوضوح كيف يرانا الله قبل أن ننشغل بنشاطات من أجل خدمة الله. سبق أن كتبت كتابًا عن هذا الموضوع بعنوان «معجزة تغيير الحياة» (The Miracle of Life Change) قد تستفيد منه.

حسنًا، فلنكتف بهذا القدر من اللاهوت في الوقت الحاضر، ولنصبح أكثر عمليةً في كيفية رؤية أنفسنا كما يرانا الله.

٥ ٢ كورنثوس ٥ : ١٧

رؤيتك لنفسك كما يراك اللّه

في السنوات العشر الأولى من حياتي المسيحية تلقيت تدريبًا عن «كيفية» ممارسة الحياة المسيحية. تعلمت أن أصلّي، وأتأمل بكلمة اللّه، وأشارك شهادتي، وأشارك الإنجيل، وأخدم الآخرين بقيادة درس الكتاب المقدس وتلمذة آخرين.

ولكن ما كان ناقصًا في حياتي هو النظرة الدقيقة إلى نفسي- من منظور اللّه. اكتشفتها وجمعتها جزءًا بعد جزء وقطعة بعد قطعة بينما كنت أقرأ وأدرس الكتاب المقدس، لكن لم يكن لدي فهم واضح لرؤية اللّه لي أو كيف أعيش هذه الحقيقة. ونتيجة لذلك، أمضيت العقد الأول من حياتي المسيحية محاولًا إرضاء اللّه بأعمالي.

قرأت، ودرست، وخدمت. ومع ذلك لم أكن أشعر بأنني أرقى إلى المستوى الذي يريده اللّه. كنت أتأرجح بين مشاعر الإدانة والإحباط تارة ومشاعر التكبر والبرّ الذاتي تارة أخرى، وذلك حسب أدائي وأعمالي. ولكن ما إن اكتشفت أنني قد أرضيت اللّه فعلًا ولم أكن بحاجة إلى أيّ أداءٍ أو عمل من قِبلي حتى بدأت أطور تقييمًا واعيًا لنفسي.

في حالتي، قادني الافتقار إلى الشّعور بالأمان إلى أن أبالغ في تقدير ذاتي الخارجية وإظهارها، بينما المرأة التي تزوجتها ضلّت وأخطأت على الجانب الآخر من المعادلة. ففي حياتنا الزوجية، طالما وجدت نفسي وزوجتي تريزا في مسيرة دائمة من معرفة كيفية نظر اللّه إلينا حقًّا كي نتعلّم كيف نتواصل حقًا ونعمل على إنجاح حياتنا الزوجيّة. أدت نظرتي المبالغة إلى نفسي، وتدنّي نقص تقدير الذات والثقة بالنفس لدى زوجتي إلى خلل في علاقتنا معًا.

ففي أولى سنوات زواجنا، تلقيت أنا وزوجتي مشورة وإرشادًا زوجيًا رائعاً على يد راعي كنيستنا الممتلئ بالحكمة والتقوى، والذي كان يعمل في مجال تقديم المشورة بشكلٍ جزئي. أعطانا الأدوات اللازمة والفهم التي نحتاج إليها لمعالجة الصعوبات اليومية التي نواجهها في التواصل والعلاقة. لكن هديته الحقيقية لنا كانت مساعدتنا في الغوص أكثر تحت السطح والتعمق في اكتشاف هويتنا بالمسيح. ساعدنا الدكتور ريتشارد ماير (Richard Meyer) في اكتشاف هويتنا، «من نحن حقًا»، في عيني اللّه.

وعلّمنا كيف نطور تقييمًا ذاتيًا واعياً ومتعقّلاً لأنفسنا وواحدنا للآخر. وبينما كنا نتعلّم معًا، ازدهرت علاقتنا وتطورت بشكل لم نتخيله.

أعدّ لنا بطاقات صغيرة لنستعرضها كي تساعدنا في أن نرى أنفسنا كما يرانا اللّه في خمسة مجالات حرجة في حياتنا. أتذكر كيف كنت أجلس مع زوجتي على الشرفة الأمامية نستعرض ما كتب على هذه البطاقات بصوتٍ عالٍ.

كنا نستعرض البطاقات يوميًا، ورويدًا رويدًا بدأ تفكيرنا بالتغيير. إليك البطاقات الخمس التي نظرنا إليها مراراً وتكراراً طوال هذه السنين، والتي مرّرناها لأولادنا ولآخرين كثيرين من أجل مساعدتهم على رؤية أنفسهم «بحسب مقياس الإيمان المعطى لهم من اللّه».

دعني أشجعك على قراءة هذه البطاقات بصوتٍ عالٍ، وببطء وتمعّن، كلّ يوم لمدة ستة أسابيع. لا تحاول حتى أن تحفظ غيبًا ما كُتِب على هذه البطاقات أو الآيات. فقط اقرأها بتمهّل وبطء بصوت مسموع واسأل اللّه أن يساعدك في أن تؤمن بأن كلّ ما تقرأه هو الحق عنك أنت!

عندما نتعلّم أن نقبل منظور اللّه إلينا – من نحن حقًا – يبدأ كلّ شيءٍ بالتغيير. لأن الحقيقة هي أننا نتكلّم لأنفسنا مرّات عديدة خلال النهار– مرسلين لأنفسنا رسائل تؤثّر في طريقة تفكيرنا، وتواصلنا معاً، وما نعمله.

إن كنت تشعر في أعماق نفسك بعدم أهليتك وعدم استحقاقك، أو بأنك مكروه، أو غير مستحق، أو أقلّ أهمية من أي شخصٍ آخر، فسيُملي عليك هذا التفكير ما تعمله وكيفية تواصلك مع الآخرين. معظم هذه المعتقدات الخاطئة مدفونة في داخلنا بعمق، ومختبئة خلف أنماط تفكير اعتدناها طوال حياتنا، ولهذا لن يكسرها سوى خطة جادة وصارمة ومساءلة مستمرة.

التغيير ممكن بالنسبة لك

إن كنت تعتقد أنك غير قابل للتغيير– فأنت مخطئ! قد يكون أمرًا شاقًا بالنسبة إليك أن تغير طريقة تفكيرك عن نفسك، لكن المكافأة تستحق الجهد المبذول. عندما بدأت مع زوجتي بمراجعة هذه البطاقات قبل حوالي ثلاثين سنة، كانت زوجتي الجميلة تظن أنها امرأة بشعة.

اعتقدت المرأة الكريمة والحنون أنها دون المستوى المطلوب. كانت تشعر، وهي الشخص الأكثر حُسناً من بين كل من التقيتهم، بعقدة النقص وعدم تقدير للذات. ثم بدأتُ بمراقبة مراجعتها هذه البطاقات يومًا بعد يوم. وبدأتْ رويدًا رويدًا تُصدّق كلّ ما يقوله اللّه عنها بدلًا من الرسائل التي اكتسبتْها من أشخاصٍ في ماضيها أو من الاختبارات الصادمة التي عاشتها. فراقبتُ في السنوات الثلاثين الأخيرة وردةً تتفتح أمام عيني.

وأنا أعيش اليوم مع امرأةٍ جميلةٍ من الداخل ومن الخارج، مع امرأة لديها ثقة واضحة بنفسها وتقدير ذاتي إيجابي يأتي من معرفتها الدقيقة عن نفسها.

المظهر الخارجي

إن مظهري الجسدي (بكل الجوانب غير القابلة للتغيير) جميلٌ بنظر الله. فهو من صمّمني وخلقني.

مزمور ١٣٩ : ١٣-١٧

«لأَنَّكَ أَنْتَ اقْتَنَيْتَ كُلْيَتَيَّ. نَسَجْتَنِي فِي بَطْنِ أُمِّي. أَحْمَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدِ امْتَزْتُ عَجَبًا. عَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ، وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذلِكَ يَقِينًا. لَمْ تَخْتَفِ عَنْكَ عِظَامِي حِينَمَا صُنِعْتُ فِي الْخَفَاءِ، وَرُقِمْتُ فِي أَعْمَاقِ الأَرْضِ. رَأَتْ عَيْنَاكَ أَعْضَائِي، وَفِي سِفْرِكَ كُلُّهَا كُتِبَتْ يَوْمَ تَصَوَّرَتْ، إِذْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْهَا. مَا أَكْرَمَ أَفْكَارَكَ يَا اَللهُ عِنْدِي! مَا أَكْثَرَ جُمْلَتَهَا!"

الانتماء

أنا مرغوبٌ بي، ومقدّرٌ ومحبوبٌ من اللّه. هو أهمّ شخصٍ في حياتي.

رومية ٨ : ٣١-٣٢

«فَمَاذَا نَقُولُ لِهذَا؟ إِنْ كَانَ اللهُ مَعَنَا، فَمَنْ عَلَيْنَا؟ اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ (الرب يسوع) لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا (الله) أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟»

(يمكنك أيضًا أن تقرأ من أفسس ١: ١٨)

«مُسْتَنِيرَةً عُيُونُ أَذْهَانِكُمْ، لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقِدِّيسِينَ.»

الأمان

أشعر من خلال علاقتي بالمسيح بالأمان في سلامتي وخيري اليوميّين، وفي النظرة المستقبلية سواء على الأرض أو في السماء.

رومية ٨ : ٣٨–٣٩

"فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ، وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتِ، وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَة وَلاَ عُلْوَ وَلاَ عُمْقَ، وَلاَ خَلِيقَةَ أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يسوع رَبِّنَا."

الكفاءة

أنا شخصٌ كفؤٌ، يُعدُّني الروح القدس لأعمل مشيئة اللّه في حياتي اليومية بطريقةٍ تُرضيه، بغض النظر عن مستوى مرحلة النمو التي وصلت إليها في الوقت الحالي. أهميتي في الحياة مرتبطة بالطريقة التي ألمس بها حياة الآخرين بمحبة اللّه ورسالة المسيح.

فيليبي ٢: ١٣

"لأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ.»

فيليبي ٤: ١٣

«اسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي.»

أفسس ٢: ١٠

"لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ الرب يسوع لأَعْمَال صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا."

دعني أشجعكن أيتها السيدات، على أن تأخذن بجدية ما كُتب في هذه البطاقات وتجدن شريكة صلاة تكون مستعدةً لمراجعتها معكن في الأسابيع الستة القادمة. ستندهشن مما سيحدث عندما يتجدد ذهنكن بالحقّ وتبدأن بالتفكير بما يجب أن تفكرن به مع تقييم ذاتي واعٍ.

ويا أيها الرجال، لقد أوضحت نقطة خاصة في الحديث إلى النساء. فدعوني أخبركم أن هذه البطاقات، حسب اختباري مع زوجتي، فعلت الكثير لي أكثر مما فعلت لها. لم تكن نظرتي المشوَّهة إلى نفسي ظاهرة للعيان كما كان الحال مع زوجتي. لكن، بمراجعة هذه الحقائق، وصلت إلى نقطة توقفت عندها عن المقارنة والسعي. وأخيرًا تعلمت أن أرتاح وأتمتع بالطريقة التي خلقني بها الله، كما أنا.

إنّها خطوتك الخاصة- أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢

إذا، ماذا سيحدث حين تحصل على نظرة دقيقة عن نفسك؟ ما سبب أهمية أن ترى نفسك بدقة؟ ما هو تأثير ذلك بمن حولك؟ كيف يمكن للتقييم الذاتي الرصين والواعي أن يُعطي الإجابة عن السؤال: «إلى ماذا أنتمي؟» سنترك هذا للفصل التالي.

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

.ما هو التقييم الذاتي الواعي؟

تأمّل (Reflect)

على مقياس من ١ إلى ١٠، ما مدى دقة نظرتك الذاتية إلى نفسك؟ لماذا؟

افهم (Understand)

ما هو فهمك لمكانك في المسيح؟ هل تظن أنّه من المهم أن تعيش ما تمتلكه (الإيمان) مقابل بذل جهدٍ كبير لتعيش وفق معايير اللّه؟

سلّم (Surrender)

اسأل اللّه أن يعطيك القوة لتطيع وصيّته الواردة في رومية ١٢:٣ أن تنظر إلى نفسك بدقّة وتعقّل.

اتخذ إجراء (Take Action)

أعدِد نسخًا من البطاقات التي أوردتُها في هذا الفصل وراجعها يوميًا مدة ستة أسابيع.

الدافع (Motivation)

حدد وقتًا للاستماع إلى الرسالة الصوتية والمرئية على الموقع:

www.levantmedia.com/TS

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

بينما تراجع هذه البطاقات في الأسابيع الستة القادمة، أعدِد نسخًا إضافية وأعطها لأحد أصدقائك.

الفصل الرابع عشر

أين مكانك في عائلة اللّه؟

فكلُّ من أُعطي كثيراً يُطلب منه كثيرٌ، ومن يودِعونه كثيراً يطالبونه بأكثر.[٦]

- يسوع الناصري

جلست مؤخرًا على طاولة مع أحد أنجح الرجال الذين قابلتهم في حياتي. كلما كان يُذكر اسمه في مجتمع أتلانتا، كان يترافق مع تعابير وألقاب مثل: ذكي ، قادر، ناجح، بارع، يعرف فعلًا كيف ينجح في كلّ الأمور. في العامين المنصرمين أصبحنا صديقين مقرّبين جدًا. وقد ساعدني وساعد خدمتي بلا حدود. وفي ذاك النهار بالذات، رأيت وجهًا آخر لصديقي، حيث كان مُثبط العزيمة. استغرقت بعض الوقت لاكتشاف هذا الأمر، لأنه عادة شخصٌ متفائلٌ ومبتهج، لكنه كان محبطًا جدًا. وقال بوضوح: «يا صديقي أشعر بأنّني مثبط العزيمة.» لم يكن أمرًا عابرًا بل كان إحباطًا متأصلًا ينخر العظام وقد شكّل ذلك الأمر ثقلًا في قلبه.

لن أنسى أبدًا ما شاركني به. قال: «أشعر أنني ضائع حاليًا، ولا أعلم إلى ماذا أنتمي.» ولأسباب متعددة، كان صديقي يختبر ذاك الموسم في الحياة حيث تصبح الأماكن التي كان فيها روحيًا وأحس بالانتماء إليها مفقودة وغير ملائمة. وتمثلت المعضلة الوحيدة في عدم معرفته بما هو ملائم له. كان صديقي يعلم ما هو ماهر في القيام به، وقد امتُدح على نجاحه، لكنه كان يفتقد شيئًا هامًا، وهو الإحساس بالانتماء.

٦ لوقا ١٢ : ٤٨

الاحساس بالانتماء احتياج مُعطى من اللّه

أظهر الكاتب روبرت بوتنام (Robert Putnam) في كتابه العظيم «لعب البولينغ وحدك» (Bowling Alone) أنَّ مشكلة الشعور بالوحدة هي الوباء الجديد الذي يضرب القارة الأميركية، والعالم في بحثٍ دائم عن الشعور بالانتماء. لم يكن مستغرباً في عقد سبعينيّات القرن العشرين أن يترك المرء وظيفته التي تدر له مبلغًا وفيرًا من المال، وينطلق إلى البرية في رحلة «البحث عن الذات». كانت المشكلة الوجودية في الستينيات والسبعينيات تتعلّق بالهوية. «من أنا ولماذا أنا هنا؟» بينما يبدو وكأن مشكلة القرن الحادي والعشرين هي «إلى ماذا أنتمي؟»

الانتماء احتياجٌ مزروع فينا من اللّه، فجميعنا نريد ونحتاج إلى الأمان النابع من الانتماء إلى العائلة، والمجموعة، والفريق، وإلى الأشخاص الذين يحتاجون إلينا كما نحن نحتاج إليهم بطريقةٍ صحيةٍ وبناءة. لكن تفسّخ العائلات والتطور التكنولوجي السريع جعل الناس أكثر كآبة وعزلةً من ذي قبل. والاحتياج المؤلم إلى الانتماء مطلوبٌ في كلّ الأوقات.

لم يستفد أحد من المجتمع كما فعل مقهى ستارباكس العالمي. إذ يخضع موظفوهم أولًا للتدريب المكثف عن كيفية جعل الزبون يشعر بالانتماء.

كانت نسيبة لي تعمل في أحد مقاهي ستار باكس في شيكاغو بينما كان ابني الأصغر يكمل دراسته الجامعية في تلك المدينة. تعلّمتْ نسيبتي أثناء تدريبها أن مقهى ستار باكس هو «المكان الثالث» من حيث الأهمية. الأول هو المنزل، الثاني هو العمل، والثالث هو حيث تحدث حياة المجتمع الأصيل– ستار باكس. تعلّمتْ هذه العبارة: «نحن لا نبيع القهوة هنا، نحن نخلق مكانًا يوجد فيه المجتمع الأصيل وحيث يمكن للعلاقات أن تتعمق.» وبالطبع، بينما تحدث هذه الأمور، يستهلك الأشخاص كميات وفيرة من القهوة، كما هو واضح من انتشار أكثر من خمسة عشر ألف فرعٍ لهذه المقاهي في كلّ أنحاء العالم.

فماذا عنك أنت؟ إلى ماذا تنتمي؟ أين هو المكان الذي تجد نفسك فيه؟

كيف تجيب عن هذه الأسئلة عن الانتماء بطريقة أبعد من التواصل الإلكتروني عبر إرسال الرسائل النّصية وشبكات التواصل الاجتماعي؟ أين نجد هذا المكان حيث نكتشف فيه انتماءنا ويسمو سلامنا الداخلي وازدهارنا ويلامس أعمق أعماق أرواحنا؟ ما الذي خُلقنا لنعمله وإلى ماذا ننتمي بطريقة تعيد الحياة لأجزاءٍ من كياننا كما لم يحدث قبلًا؟

تحدثنا في الفصل السابق عن مشكلة الهوية، تعلّمنا مفتاح اكتشاف هويتنا بالبدء بالتفكير برؤيتنا لأنفسنا كما يرانا الله. ولكن اكتشاف هويتك من دون أن تعلم ما تنتمي إليه يُشبه التأنق في اللباس من دون معرفة إلى أين أنت ذاهب. ففي رومية ١٢: ٣ يأمرنا الرسول بولس بأن نفكّر بشكلٍ صحيح ودقيق بشأن أنفسنا، شارحًا السبب في نفس الآية. أقدّم هنا مجموعة الأسئلة التي وردت في الفصل السابق لأنه أمرٌ مصيري وحاسم أن نفهم أن ما ننتمي إليه يعتمد على طريقة تفكيرنا بشكلٍ صحيح ودقيق بشأن أنفسنا وعلى فهم ماذا يُفترَض بنا أن نفعله بعد ذلك.

جواب الله – رومية ١٢: ٣–٨

١– من أنت؟

«فَإِنِّي أَقُولُ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي، لِكُلِّ مَنْ هُوَ بَيْنَكُمْ: أَنْ لاَ يَرْتَئِيَ فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَئِيَ، بَلْ يَرْتَئِيَ إِلَى التَّعَقُّلِ، كَمَا قَسَمَ اللهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِقْدَارًا مِنَ الإِيمَانِ.»

الآية ٣

الأمر = فكّر بنفسك بشكل صحيح ودقيق

٢– إلى ماذا تنتمي؟

«فَإِنَّهُ كَمَا فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ لَنَا أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَلكِنْ لَيْسَ جَمِيعُ الأَعْضَاءِ لَهَا عَمَلٌ وَاحِدٌ، هكَذَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ: جَسَدٌ وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاءٌ بَعْضًا لِبَعْضٍ، كُلُّ وَاحِدٍ لِلآخَرِ.»

الآيتان ٤–٥

السبب = لديك دور لإتمامه!

٣– ماذا يُفترض بك أن تفعل؟

«وَلكِنْ لَنَا مَوَاهِبُ مُخْتَلِفَةٌ بِحَسَبِ النِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَنَا: أَنُبُوَّةٌ فَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الإِيمَانِ، أَمْ خِدْمَةٌ فَفِي الْخِدْمَةِ، أَمِ الْمُعَلِّمُ فَفِي التَّعْلِيمِ، أَمِ الواعِظُ فَفِي الْوَعْظِ، الْمُعْطِي فَبِسَخَاءٍ، الْمُدَبِّرُ فَبِاجْتِهَادٍ، الرَّاحِمُ فَبِسُرُورٍ.

الآيات ٦–٨

الممارسة : _____

حالما نتعلّم كيف نفكّر بشكلٍ صحيح عن أنفسنا، يُخبرنا السبب:

"فَإِنَّهُ كَمَا فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ لَنَا أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَلكِنْ لَيْسَ جَمِيعُ الأَعْضَاءِ لَهَا عَمَلٌ وَاحِدٌ.»

رومية ١٢: ٤

هل لاحظت الكلمة الصغيرة «كما» في بداية الآية؟ يحتوي النص اليوناني على كلمة وصل هي gar والتي تعني «لأن». حرف الوصل هذا هو تفصيلٌ صغيرٌ ولكنه هامٌ في اللغة اليونانية وهو يُخبرنا عن أهمية التفكير الصحيح والدقيق بشأن أنفسنا.

يستخدم الرسول بولس لغة «التشبيه» هنا، فيقارن مع أعضاء جسد الإنسان لتقديم وجهة نظره: كما للجسد أعضاء كثيرة (عينان، أنف، يدان، رجلان، إلخ) ولا تؤدي هذه الأعضاء جميعها الدور نفسه، هكذا نحن في المسيح نؤلّف جسدًا واحدًا وننتمي جميعًا بعضنا إلى بعض ويكمل بعضنا بعضًا في الأدوار المطلوبة في وحدة وانسجام.

لكلّ شخصٍ دور عليه إتمامه

مقصده واضح جداً؛ كما أن الجسم البشري لديه أعضاءٌ كثيرة لكل منها وظيفة محددة

ويحتاج بعضها إلى بعض، كذلك نحن، كأفراد في الجسد الروحي للمسيح، لدينا قدرات معينة للعمل بشكلٍ فعال. وكما تعمل مختلف أعضاء الجسد البشري رغم التنوع الهائل في وظائفها في وحدة معتمدة بعضها على بعض لإتمام القصد من وجود كلّ عضو، هكذا على جسد المسيح أن يعمل أيضًا كفريق وكعائلة كي يظهر هذا الجسد للعائلة وللعالم الذي يراقبه. والغرض الذي لأجله يدعوك إلى التفكير بدقة بنفسك وهويتك هو إتمام الدور المطلوب منك في هذا المجتمع الروحي الإلهي الذي ندعوه «الكنيسة».

لا أتحدث هنا عن المبنى والحجارة أو المنظمات والجمعيات والخدمات. بل أتحدث عن أداءٍ عضوي فائق للطبيعة للأفراد المؤمنين بالمسيح الذين يعيشون بطاعة واعتماد كليٍّ على الرأس، المسيح الرب يسوع، بطريقة يحقق فيها الجسد الروحي للمؤمنين نفس المأمورية العظمى التي أمرنا بها الرب يسوع عندما مشى على هذه الأرض.

ماذا كان هدف الرب يسوع؟

> «لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ»
>
> لوقا ١٩:١٠

أتى الرب يسوع ليرينا صورة حقيقة اللّه الآب:

> «اللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ»
>
> يوحنا ١: ١٨

فقد كشفت حياة الرب يسوع قداسة وحبّ اللّه غير المشروط، لمست يدا الرب يسوع البرص، ورأت عينا الرب يسوع الاحتياج، ومشت قدما الرب يسوع باتجاه المتألمين وانتهر لسان الرب يسوع البرّ الذاتي للفريسيين في جملة.

وفي جملة أخرى انتهر الريح والأمواج كي تهدأ.جسد الرب يسوع البشري موجود الآن في السماء، وهو جسدٌ ممجدٌ ممتلئٌ بالثقوب وأثار الجراح كي يُذكرنا إلى الأبد بمحبته وبالثمن الذي دفعه لخلاصنا.لكن عمل المسيح الآن يتم من خلال جسده الروحي المدعوّ «الكنيسة»، جسد المسيح، أنت تنتمي إلى هذا المجتمع الروحي من المؤمنين إن وضعت إيمانك بالمسيح الرب يسوع. لديك دورٌ لإتمامه لا يستطيع أحد آخر غيرك أن يتممه مثلك. هناك حاجة إليك! لديك قدرات وإمكانات ومواهب وخلفيات واختبارات ومراكز قوة لا يمتلكها أحدٌ غيرك في العالم كلّه! لديك أيضًا احتياجات يريد الله أن يسدّها، وخللٌ وألمٌ يريد الله أن يشفيك منه بينما تتعامل وتتفاعل مع الأعضاء الآخرين في هذا المجتمع الروحي المدعو جسد المسيح.

هناك حاجة إليك! لديك قدرات وإمكانات ومواهب وخلفيات واختبارات ومراكز قوة لا يمتلكها احد غيرك في العالم كله.

إن كنت تقدّر نفسك بشكل زائد، فلن ترى احتياجك إلى الأشخاص الآخرين. إن كنت تقدر نفسك أقلّ جدّاً ممّا ينبغي، لن تشعر باستحقاقك لأن تكون محبوبًا من الآخرين في جسد المسيح.

ولكن، إن قدّرت نفسك بدقة، فستكون المرشح المثالي – لا لاستقبال المحبة فحسب، بل أيضًا لتقديم المحبة بالطريقة التي صمّمها الله.

لكلّ شخصٍ نقاط قوة ونقاط ضعف. ونحن نولد بنقاط القوة والضعف هذه. هي إمكانات وقدرات طبيعية فريدة من نوعها في حمضنا النووي. أعطاك الله نقاط القوة لتأكيد التصميم الخاص بك، ولإعطائك الثقة، وللسماح لك بأن تساهم في حياة الآخرين.

قد تكون نقطة القوة لدى بعضكم التفوق العلمي، ولدى آخرين قد يكون التفوق الميكانيكي، ولآخرين قد يكون التفوق الاجتماعي أو التنظيمي. وتساعد نقاط قوتك في تحديد دورك.

انتبه من لعبة المقارنة

وعلى نفس المنوال، هناك نقاط ضعف متأصلة فينا. تُذكرنا نقاط ضعفنا بأننا نحتاج إلى الآخرين. وتخلق ضعفاتنا فرصًا لنا كي نتواضع ونسمح للآخرين بأن «يغسلوا أرجلنا».

تطالبنا نقاط ضعفنا بأن نعتمد أكثر على الآخرين من خلال صيرورتنا منفتحين في علاقاتنا بعضنا مع بعض. ومع ذلك، عندما لا نكون واضحين أو عندما تكون لدينا نظرة مشوَّهة إلى أنفسنا، نميل إلى مقارنة اختلافاتنا عوض تقديرها. ينافس أحدنا الآخر عوض إدراكنا أننا مختلفون (بتصميم إلهي) كي نُكمّل وندعم أحدنا الآخر، وشعورنا بانعدام الأمان

هو ما يدفعنا إلى مقارنة مواهبنا مع الآخرين. وستكون النتيجة سلبية دائمًا عندما نستنتج أننا متفوقون أو أننا في منزلة أدنى. ولكن إليك الحقيقة القوية التي تقدّمها رومية ١٢: ٤ نحن لا نرتبط بعضنا مع بعض وننتمي بعضنا إلى بعض فحسب، بل نرتبط بكل الآخرين وننتمي لكل الآخرين.

يقدم هذا النص أفكارًا متبصّرة حول القضية القديمة بشأن الوحدة والتنوع. نحن جسد واحد- وحدة، ولدينا أعضاء عديدة – تنوعٌ واختلافٌ. وليس لكل الأعضاء نفس الوظيفة، لكنَّ هذه الأعضاء تتشارك في نفس الهدف. وهدف جسد المسيح مذكور في أفسس ٤: ١٥–١٦

> بَلْ صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ، نَنْمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ: الْمَسِيحُ، الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ مُرَكَّبًا مَعًا، وَمُقْتَرِنًا بِمُؤَازَرَةِ كُلِّ مَفْصِلٍ، حَسَبَ عَمَلٍ، عَلَى قِيَاسِ كُلِّ جُزْءٍ، يُحَصِّلُ نُمُوَّ الْجَسَدِ لِبُنْيَانِهِ فِي الْمَحَبَّةِ.

يريدك اللّه أن تدرك هويتك وما تنتمي إليه إدراكاً تامّاً. قد تكون اختبرت الرفض من عائلتك، أو من فريقك، أو من ناديك، أو من بعض الناس في العمل، أو حتى من الذين يدعون باسم المسيح في مكان ما في ماضيك. يريدك اللّه أن تعلم أنك فردٌ في عائلته، وأن هناك احتياجًا إليك، وأن لديك القوة اللازمة لسدّ احتياجات الآخرين. وأنه قد أعدَّ لك آخرين لتلبية احتياجاتك.

من المؤسف أن معظم ما قرأته حتى الآن مجرّد فكرة «مثاليّة» عن كيف ينبغي أن تكون الكنيسة. وما لم تكن عضوًا في كنيسة حيوية وفعالة أو مجموعة صغيرة لها قيادة جيّدة، فإنّ معظم اختبارات أفراد الكنيسة لا تؤمّن إحساس الانتماء كما يصفها هذا المقطع. ولكن قبل أن نبدأ بإلقاء اللوم على الكنيسة – الكنيسة المؤسسية- ونبدأ بإطلاق نيران انتقاداتنا نحو كلّ ما هو سيئ، أقترح أن نلقي العبء المماثل على عاتقنا نحن أيضًا، الأفراد المؤمنين بالمسيح مثلك ومثلي، الذين أدخلوا بسرور عقلية الاستهلاك التي تسود الكنيسة المعاصرة.

ومن المؤسف أن التعويذة المستعملة من قبل المؤمنين في الكنيسة المعاصرة هي: «لا تسأل ماذا يمكن أن تقدم أنت لكنيستك، بل اسأل ماذا يمكن لكنيستك أن تقدّمه لك». تظهر مواقفنا المستهلكة فينا كوالدَين يختاران الكنيسة بحسب أفضل برنامج للأطفال لديها، على سبيل المثال.

فنركض من برنامج إلى برنامج ومن نشاط إلى نشاط لنحاول سدَّ احتياجاتنا. وقد ساعد أولادنا في هذا الأمر من خلال مشاركتهم الضعيفة في الخدمة أيضاً.

أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢ أمر لا يتعلق بانتقاد راعي الكنيسة بقسوة أو توجيه سهام انتقاداتنا للمجهود الصادق التي تقدمه الخدمات والكنائس المخلصة. بل هو معرفة موقعك اليوم وتطبيق وصايا الكتاب المقدس الثوريّة في علاقاتك الخاصة كي تصبح من الشعب الذي وصفه المسيح بأنه «النور والملح».

قوة توضيح نقاط ضعفك ونقاط قوتك

فليتك تسأل نفسك بينما نتقدم إلى الأمام في موضوعنا: «ما هي نقاط قوتي، وكيف أستخدمها في علاقاتي بالمؤمنين الآخرين الآن؟» «وما هي نقاط ضعفي، وكيف يمكنني أن أدعو مؤمنين آخرين إلى حياتي بينما أنا نفسي سريع التأثر وبحاجة إلى المساعدة؟»

من أين تبدأ؟ دعني أقترح عليك أن تلقي نظرة على البطاقة التالية وتقوم بتمرين أطلب دائماً من الجميع أن يقوموا به عندما أصل إلى هذا المقطع. اكتب على الجانب الأيسر من البطاقة أبرز ثلاث نقاط قوة لديك، ثم على الجانب الأيمن اكتب أبرز ثلاث نقاط ضعف لديك.

لا تتمادَ في التحليل وأنت تقوم بهذا التمرين. فدوّن ببساطة ثلاثة أمور جيدة وثلاثة أمور تجد صعوبة فيها. تذكّر أننا نتكلم عن نقاط القوة ونقاط الضعف الآن – وليس عن المواهب الروحية، وهو موضوع سنتناوله في الفصل التالي

تبدأ قضية الهوية من النظرة الدقيقة إلى أنفسنا، وقضية الأمان نواجهها عندما نكتشف ما ننتمي إليه، وقضية الأهمية تُحل عندما نفكّر مليًا بما يريدنا الله أن نفعل كأفراد. وسنتناول الأمرين الآخرين أيضًا بالتفصيل في الفصل التالي.

نقاط قوتي ونقاط ضعفي

أبرز نقاط القوة	أبرز نقاط الضعف
١.	١. .....
٢.	٢. .....
٣.	٣. .....

دعني أعطِك مثلًا عن أبرز نقاط ضعفي وقوتي لكي تأخذ فكرة عن كيف يمكن لهذا الأمر أن يساعدك في فهم ما تنتمي إليه.

نقاط قوتي ونقاط ضعفي

أبرز نقاط القوة	أبرز نقاط الضعف
١. التعليم	١.العمل الإداري
٢. القيادة	٢.الصيانة
٣.التدريب	٣.التصليح

عرفتُ على مرّ السنين أنني بارع في التعليم والقيادة والتدريب. فأنا بارع في التعامل مع الناس، لكنني فاشل في ما يتعلق بالقيام بالمهام والواجبات البيتية. أنا سيئ جدًا في ما يختصّ بالتفاصيل، والإدارة، وأكره الصيانة! عدم قدرتي على تصليح الأشياء أمر معروف في منزلي.

فعندما بلغ أحد أولادي سنّ العاشرة، كنت في الواقع أدفع له المال لإعادة تجميع ألعاب إخوته وأخواته، لأنني لم أكن أعلم حقًا كيف أقوم بهذا الأمر حتى لو أردت ذلك.

في السنين الأولى لزواجنا، كانت زوجتي تتهمني بأنني أدّعي الغباء للتملص من القيام بالعمل المطلوب مني لأن عدم قدرتي على فعل هذا الأمر يصل إلى حد السّخافة بحسب وجهة نظرها. لكنني أشعر بالضعف في هذه الناحية.

فأنا لا أفهم ولا أستوعب كيف تتناسب القطع بعضها مع بعض. ولكن نقطة الضعف هذه كانت دومًا هدية من اللّه.

عندما بدأت خدمتي الرعوية في كنيسة في ولاية كاليفورنيا، ابتعنا منزلًا قديمًا كان يحتاج إلى الكثير من العمل لإصلاحه. كانت المياه تتسرب من سقفه وترشح من النوافذ عندما تُمطر. وكانت الجلاية ترشح كلما استخدمناها. بل تعطلت معظم الأدوات الكهربائية خلال أول سنتين من عيشنا هناك.

كان هناك رجل اسمه ديك ، وهو أستاذ مدرسة متقاعد، يمكنه أن يُصلح أيّ شيء. كان رجلًا تقيًا وحكيمًا جدًا، وكان من شيوخ الكنيسة. كان ما لديَّ من مال شحيحًا، ولهذا لم يكن من الممكن أن نأتي بشخصٍ يُصلح هذه الأمور.

ولذا أمضيت أنا وديك ساعات عديدة محاولين إصلاح الأمور في المنزل. والنكتة الكبرى هنا هي قولي: «أنا وديك أصلحنا هذه»، لأن الجميع كان يعلم أنني حملت العدة فقط ذهابًا وإياباً من مخزن المنزل وإليه، بينما كان ديك يقوم بكل العمل الباقي.

تحدثت مع ديك عن العديد من الأمور خلال هذه الأوقات معًا. أعتقد أنني ساعدته في العديد من المجالات في حياته، وساعدني هو بدوره في أن أكون الزوج والأب الذي أرادني الله أن أكونه، والراعي الذي كنتُ أتعلّم لأكونه.

أتى احتياجي وضعفي بقوّة ديك وحكمته إلى حياتي. هذه هي الكنيسة! هذا هو جسد المسيح وهو يعمل بطريقة مترابطة حيث تظهر المحبّة ويتمّ تبادلها، إن كنت لا تعلم نقاط قوتك ونقاط ضعفك، فستكون متحفظًا في التطوع لمساعدة أحدهم وغير راغب حتى في سؤاله عن الحاجة للمساعدة.

أتساءل ماذا سيحدث لو قام كلّ مؤمن بالتمرين البسيط ليعرف نقاط قوته ونقاط ضعفه؟ ماذا لو نظرت إلى نقاط قوتك كفرصة للوصول إلى صديق (أو حتى شخص يعيش معك في نفس المنزل) تستخدم نقاط قوتك معه كفعل محبة؟ هل ترى قوة أن يكون لديك تقييم ذاتي واعٍ؟

إن كنّا لا نعرف أنفسنا جيدًا، فإننا نميل إلى إخفاء نقاط ضعفنا بدل مشاركتها مع الآخرين. لا يأتي الشعور بالانتماء من لبسك كنزة ملوَّنة تُظهر بها ارتباطك بفريق منطقتك. ولا أن تجد مجموعة من الناس لهم أنشطة مشتركة كلعب البولينغ، أو كرة السلة، أو كرة اليد، أو الخياطة أو التسوق ، إلخ. فالشعور الحقيقي بالانتماء يتجاوز الاحتياجات الاجتماعية السطحية ويحصل حين يعمل ويعيش المؤمنون كجسد المسيح الحي. يبدأ الأمر حقًا بالتحول الاستراتيجي في تفكيرنا. يجب أن نكون نحن الكنيسة عوض أن نذهب إلى الكنيسة.

يجب أن نكون نحن الكنيسة عوض أن نذهب إلى الكنيسة.

إنّها خطوتك الخاصة- أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢

نذهب إلى مبنى حيث تُعلن الكلمة، ونسبّح الله ونعبده، ويجلس بعضنا إلى جوار آخرين نتفق معهم في فكرهم وعواطفهم واشتياقهم. هذا أمرٌ جيدٌ. ولكن ليس ذلك الأمر الجيد هو الانتماء. فحضور اجتماعات الكنيسة ليس بديلًا عن المجتمع المتكافل والأصيل. إن لمس هذا الأمر شيئًا في قلبك، فقد أعددتُ لك بعض الأدوات المفيدة في نهاية هذا الفصل لمساعدتك على اكتشاف ما تنتمي إليه حقًا.

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

أيّ فكرٍ أو مفهوم كان الأكثر أهمية بالنسبة لك في هذا الفصل؟ لماذا؟

تأمّل (Reflect)

هل تعلم ما تنتمي إليه؟ ما الأمر الجيد بشأن هذا؟ ما الأمر الناقص؟

افهم (Understand)

ما الذي كان أسهل بالنسبة لك، تدوين نقاط قوتك أم نقاط ضعفك؟ ولماذا؟

سلّم (Surrender)

اجلس بهدوء أمام اللّه واشكره على نقاط ضعفك ونقاط قوتك. افتح يديك إلى الأعلى واطلب من اللّه تجديد نقاط قوتك لتخدم جسده ونقاط ضعفك كي تستقبل نعمة من الآخرين.

اتخذ إجراء (Take Action)

املأ بطاقة نقاط القوة ونقاط الضعف.

الدافع (Motivation)

اسأل اثنين أو ثلاثة من أصدقائك عن أبرز نقاط قوتك التي يرونها فيك، وقارن أجوبتهم مع ما دونته سابقًا.

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

أرسل ملاحظة إلى شخص ما مثّلت نقاط قوته أفضل تعبير عن محبة اللّه لك في بعض نواحي الاحتياج في حياتك. اشكره على استخدام نقاط قوته هذه لترى من خلالها المسيح.

الفصل الخامس عشر

هل تعرف ما هو هدف اللّه لحياتك؟

قَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الأَمِينُ! كُنْتَ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. أُدْخُلْ إِلى فَرَحِ سَيِّدِكَ.[٧]

- يسوع الناصري

لبعض الأسئلة إجابات متعددة، وفي الحقيقة يمكن الإجابة عن بعض الأسئلة بطرق مختلفة بحسب المواسم في حياتك. وأعتقد أن هذا ينطبق على السؤال الكبير: «ماذا ينبغي أن أفعل؟»

أتذكر أنني سألت هذا السؤال بعد المدرسة الثانوية، وبعد الجامعة، وبعد الندوات، وبعد خدمة رعوية مدّة عشرين عامًا، وبعد أن كبر كلّ أولادي، وقبل ثمانية عشر شهرًا خلال وقت من التفكير العميق وتقييم مواهبي الروحية ودعوتي أمام اللّه.

كيف تجيب عن هذا السؤال الآن؟ باعتقادك، ماذا ينبغي لك أن تفعل؟ وفي أيّ موسم ومرحلة في حياتك تجد نفسك؟ ما هي الأصوات الخافتة التي تصغي إليها في عقلك والتي تحدّد التوقعات بشأن ما تفعله وسبب فعلك له؟ رغم أنّ الإجابة عن هذه الأسئلة تتغير مع كل مرحلة من مراحل حياتك ونموك الروحي، فإنّه يكمن في قلب كلّ هذه التساؤلات الأهمية والمعنى.

٧ متى ٢٥ : ٢٣

فما الذي يجعل الحياة مهمة وذات معنى؟ وما الذي يجعل الحياة تستحقّ أن تُعاش؟ لماذا وُجدتُ على هذه الأرض، وما هي المهمة التي عليّ إتمامها؟

أعتقد أن هدفك وأهميتك هما مسألتان متوازيتان ومترابطتان. لقد وهبك اللّه وجهزك لإتمام «العمل الصالح» (المَهَمة) الذي هيأه لك من قبل تأسيس الأرض (أفسس ٢: ١٠). وليس السؤال المطروح «ماذا ينبغي أن أفعل؟» بالضرورة مهنيًا في المقام الأول، إذ هو يتعلّق بالوكالة والقصد. فالقضية الحقيقية إذًا هي اكتشاف ما قد عهد اللّه به إليك بصورة مواهب روحية (وكالة) والتوق الذي وضعه في قلبك (القصد) لإتمام «العمل الصالح» الذي أعده لك بشكلٍ فريد.

لدى اللّه رسالة لحياتك، إنها «العمل الصالح» الذي صُمِّمتَ وأُعطيتَ المواهب لإتمامه. سينحصر فرحك الأعظم وتأثيرك المميز خلال إقامتك الوجيزة على هذه الأرض في اكتشاف هذا «العمل الصالح» وإكماله. وستتعلم في رومية ١٢: ٦–٨ كيف يكشف اللّه لك العمل الذي صُمِّمت وأُعطيت القوّة لإتمامه.

وإنه لأمر هام ونحن نتمعن في الآيات ٦–٨ أن ننظر إليها ضمن سياق النص، ولا يمكن فهم مسألة الأهمية والمعنى والهدف بشكل صحيح إلا إذا فكرت بشكلٍ صحيح بنفسك وبما تنتمي إليه.

جواب اللّه – رومية ١٢: ٣–٨

١– من أنت؟

«فَإِنِّي أَقُولُ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي، لِكُلِّ مَنْ هُوَ بَيْنَكُمْ: أَنْ لاَ يَرْتَئِيَ فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَئِيَ، بَلْ يَرْتَئِيَ إِلَى التَّعَقُّلِ، كَمَا قَسَمَ اللهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِقْدَارًا مِنَ الإِيمَانِ.»
الآية ٣

الأمر = فكر بدقة عن نفسك.

٢– إلى ماذا تنتمي؟

«فَإِنَّهُ كَمَا فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ لَنَا أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَلكِنْ لَيْسَ جَمِيعُ الأَعْضَاءِ لَهَا عَمَلٌ وَاحِدٌ، هكَذَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ: جَسَدٌ وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاءٌ بَعْضًا لِبَعْضٍ، كُلُّ وَاحِدٍ لِلآخَرِ.»
الآيتان ٤–٥

السبب = لديك دور تتمّمه.

٣- ماذا يفترض بك أن تفعل؟

«وَلكِنْ لَنَا مَوَاهِبُ مُخْتَلِفَةٌ بِحَسَبِ النِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَنَا: أَنْبُوَّةٌ فَبِالنِّسْبَةِ إِلى الإِيمَانِ، أَمْ خِدْمَةٌ فَفِي الْخِدْمَةِ، أَمِ الْمُعَلِّمُ فَفِي التَّعْلِيمِ أَمِ الواعظُ فَفِي الْوَعْظِ، الْمُعْطِي فَبِسَخَاءٍ، الْمُدَبِّرُ فَبِاجْتِهَادٍ، الرَّاحِمُ فَبِسُرُور.»

الآيات ٦-٨

التدريب = اكتشف وطوّر مواهب الروحية الخاصة.

بعد أن أمرنا الرسول بولس بالتقييم الذاتي الواعي (لأن لدى كلّ منا دورًا محدّدًا ليتمّمه في جسد المسيح)، يشرح لنا الآن كيف نكتشف هذا الدور. ويبيّن في الآية ٦ أنه ينبغي أن نستخدم مواهبنا المختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا. ثم يبدأ بسرد قائمة محدّدة لسبع مواهب، يليها التركيز والتشديد على كلّ موهبة روحية أساسية.

سنناقش معاني المواهب المختلفة وكيفية اكتشافها لاحقًا. وأما الآن، فإني أريدك أن تلاحظ أن حديث الكاتب عن التركيز وليس عن الاكتشاف. لقد أخبرك من أنت وإلى ماذا تنتمي في الآيات ٣-٥، والآن ينقل انتباهنا ليعطينا توجيهًا واضحًا عما يجب علينا فعله. يمكننا أن نلخص توجيهات الرسول بولس في الآيات ٦-٨ بشكلٍ مبسّط على النحو التالي:

- السؤال: ماذا ينبغي علينا أن نفعل؟
- الإجابة: اكتشف واستخدم مواهبك الروحية لإتمام دورك في جسد المسيح.

هذا هو ما يجب عليك فعله، سيبدو إتمام هذا الأمر مختلفًا في أوقاتٍ مختلفة من حياتك وعلى مستويات مختلفة من النضوج الروحي، لكن التوكيد واضح. فقد زرع الله في كلّ فردٍ من أولاده قدرة غير اعتيادية لبنيان حياة الأشخاص الآخرين. عندما تأتي إلى المسيح، تُنتزع من مملكة الظلام وتدخل إلى ملكوت النور. ويُوضع عليك ختم الروح القدس وتعتمد –أو حرفيًا «تُوضَع في» هذا المجتمع فوق الطبيعي الذي يُدعى «جسد المسيح». وعندما قام الرب يسوع من الموت، أظهر انتصاره على الشيطان، والخطيئة، والموت بمنح مواهب روحية لكلّ فرد من أولاده (أفسس ٤ : ٧-١٠).

> ستكون موهبتك الروحية مؤشراً تمهيدياً على ما يريدك الله أن تفعله في حياتك.

ماذا يريدني الله أن أفعل بحياتي؟

ستكون موهبتك الروحية مؤشرًا تمهيديًا على ما يريدك الله أن تفعله في حياتك. لن تكون المؤشِّر الوحيد، ولكنّها ستكون مؤشِّراً رئيسياً.ستنسجم قوتك فوق الطبيعيّة في بنيان الآخرين لإتمام هدف الله في حياتك مع شغفك، وخبرتك، وقدراتك الطبيعية، وشخصيتك،

وألمك، ومحنتك، وظروفك كي يريك الروح القدس كيف يمكنك أن تساهم بشكلٍ فريد في حياة الآخرين في كل موسمٍ من مواسم حياتك. وستتعلم بينما تنمو روحيًا كيف تطوّر وتستخدم مواهبك الروحية الأساسية بطريقة ينتج عنها فرح لا يوصف وثمر متزايد باستمرار.

المواهب الروحية من أكثر الموضوعات إثارة للنقاش والجدل. ولهذا غالبًا ما يقفز الحديث بسرعة إلى مناقشة أيّ من المواهب الروحية موجودة وتعمل اليوم وأيّها ليست موجودة ولا تعمل.

وفي بعض الدوائر الأخرى، يتطور النقاش فيصبح قائمة من ثلاث وخمسين أو أربعين موهبة روحية محددة مع تعريف طويلٍ تتبعه عملية جرد أو امتحان في محاولة مساعدة أعضاء الكنيسة في اكتشاف مواهبهم. قد استخدمت طريقة الجرد والامتحان في الماضي، لكنني اكتشفت أن الأثر الصافي يكمن في تطوير أشخاص هم أكثر دراية بموضوع طبيعة المواهب الروحية الخاصة، لكنهم ليسوا بالضرورة مؤهلين لاكتشاف مواهبهم الخاصة واستخدامها.

تحثّك نقطة تركيز رومية ١٢: ٦-٨ على ضرورة أن تضع طاقتك ووقتك في موهبتك الروحية الأساسية. والنص مباشر ولافت بسبب هويتك وما تنتمي إليه. فكّر بدقة، وتواصَلْ بعلاقاتك، ثم اكتشف واستخدم موهبتك الروحية، هذا هو مقصد الرسول بولس. ليست المواهب الروحية مماثلة لنقاط القوة والضعف، قد تتداخل في بعض المجالات مع بعضها، لكنَّ نقاط القوة والضعف تتعلّق بما اكتسبته عند ولادتك الجسديّة. وعلى نقيض ذلك، قد تتداخل المواهب الروحية مع المقدرة فوق الطبيعيّة المعطاة من اللّه عند الولادة الرّوحيّة.

إن ولعي الأكبر في الحياة هو دراسة عمل اللّه في تنمية الكنيسة. وضعت سلسلة تعليمية بعنوان «كيف تنمي كنيسة قوية التأثير»
(How to Grow a High-Impact Church) استقيتها من دراستي للكلمة وبحثي في الكنائس في مختلف العالم. ووجدتُ أنَّ الكنائس القوية التأثير تنمو بثلاث طرق مختلفة:

١- تنمو بعمق : ينمو الناس فعلًا ويصبحون على شبه المسيح.

٢- تنمو أفقياً : ثمّة دفق مستمر من الأشخاص الذين يضعون إيمانهم بالمسيح الذي لم يعرفوه من قبل.

٣- تؤثّر: تسُدّ الكنيسة بعض أهم الاحتياجات الاجتماعية للمجتمع، بما فيها الفقر، والتعليم، والظلم الاجتماعي.

وجدتُ خلال دراستي للكنائس قوية التأثير اثنتي عشرة ميزة مشتركة بينها جميعًا، الكنائس التي يأتي فيها الأشخاص إلى المسيح بانتظام، وينضجون ويتواصلون مع مجتمعهم

بطريقة قوية يساعدون دائمًا الكنيسة على اكتشاف المواهب الروحية ويجدون المكان المناسب لاستخدامها. بينما كنت أعلّم هذه الحقيقة في روسيا لمجموعة من الرعاة، منذ حوالي ثلاث سنوات أو أربع، سألوني: «كيف تعلّم الأشخاص طريقة اكتشاف مواهبهم الروحية؟» كان الاحتياج طاغيًا حتى إننا أضفنا محاضرة خاصة إلى برنامج المؤتمر. فعلت كل ما في وسعي كي أصل إلى المقاطع الكتابية الأساسية وأشرحها للرعاة.

ولكن عندما أنهيت تعليمي، أيقنت أن ما قدمته كان غير كاف بالمرة. جاء إليّ أحد الرعاة وقال لي: «متى ستسجّل كامل تعليمك على أقراص DVD بحيث تشرح بوضوح كيف يمكن لنا اكتشاف المواهب الروحية؟»

بقي هذا الطلب الذي قدّمه هذا الرجل وآخرون يلاحقني. كنت أعلم أنَّ عليّ أنّ أقدّم شيئًا واضحًا وعمليًا يُستخدَم فيه الكتاب المقدس فقط لتعليم الناس كيف يكتشفون ويطورون مواهبهم الروحية. إنها قصة طويلة، لكن الله حرّك قلبي بعد تسعة أشهر أثناء رحلة دوليّة إلى الهند، لأقضي عشرين ساعة أنظر فيه إلى كل ملاحظة، ومقطع، وثلاثة من أفضل الكتب عن المواهب الروحية كانت عندي من قبل، لأحاول أن أكسر الشيفرة. وضعت لاحقًا أربع رسائل معًا تُدعى «تصميمك الإلهي» (Your Divine Design) التي تعتمد على الكتاب المقدس فقط لمساعدة الأشخاص على اكتشاف موهبتهم الروحية الأساسية ومواهب الخدمة التي تجتمع بالعادة حول الموهبة الروحية الأساسية، ويعلّمهم كيف يكتشفونها ويستخدمونها في سياق حياتهم الحالي.

يقع التعليم الخاص الذي يمتحن كلّ موهبة ويساعدك على اكتشاف موهبتك خارج نطاق هذا الفصل، لكن توجد موارد متاحة على الموقع:

www.levantmedia.com تساعدك في عملية الاكتشاف تلك. وأحد الأمور التي لاحظتها هو أن معظم المسيحيين لا يعرفون مواهبهم الروحية، ولهذا لم يكتشفوا بوضوح «العمل الصالح» الذي أعده الله لهم.

ما سبب أهمية اكتشاف موهبتك الروحية الأساسية

هناك ثلاثة أسبابٍ لاعتقادي بوجوب اكتشافك لموهبتك الروحية الأساسية:

١- تصبح موهبتك الروحية الأساسَ في اتّخاذ القرارات الرئيسية ذات الأولوية. إن كنتَ تفهم حقيقة أن الله أعطاك موهبة خارقة، فسيملي عليك هذا الأمر والطريقة التي بها تمضي وقتك.

يجد عددٌ لا يُحصى من المؤمنين الصادقين أنفسهم يقولون «نعم» لكلّ طلبٍ يُطلب منهم (غالبًا ما تكون هذه الاستجابة نابعةً من الاحساس بالذّنب) لأنهم يشعرون بأنه التصرف المسيحي الصائب. لا يريدك اللّه أن تنخرط أو تعمل في كلّ شيء، يريدك أن تكون مستعدًا لعمل أي شيء يدعوك إليه بقلب الخادم، لكنَّه يريدك أن تركز معظم وقتك ومجهودك على تطوير موهبتك الروحية لتتمِّم «رسالة» أفسس ٢: ١٠.

من شأن معرفتك بموهبتك الروحية الأساسية أن تقوي تركيزك لإتمام مهمتك، لم أكن أعلم بوضوح في سنواتي الأولى كراعي كنيسة ما هي موهبتي الروحية الأساسية، مع أنني كنت أعلم أن لها علاقة بالتواصل. لذا أنفقت طاقتي كلها في فعل كلّ شيء من أجل الجميع. قادني شعوري بعدم الأمان إلى تلبية توقعات الجميع. لم يكن لديّ تقييم ذاتي واعٍ، ممّا أدّى إلى إصابتي بالإرهاق والشعور بالذنب والخدمة غير الفعالة.

وحين اكتشفت أن موهبتي الروحية الأساسية هي إيصال وإعلان كلمة اللّه، بدأت أتّخذ قرارات أوّلية هامة جدًا عما يجب فعله في وقتي، بدأت بتمضية ساعتين لثلاث ساعات كلّ صباح ويوم كامل في تحضير الموعظة. تغيرت أولوياتي لأنني فهمت موهبتي الروحية الأساسية. أعطاني هذا الأمر القدرة على قول «لا» لأشياء أخرى جيدة جدًا وحررني من الإحساس بالذنب ومن التوقعات التي شعرتُ بوجودها عند الآخرين.

٢- موهبتك الروحية هي تأكيد محبة اللّه لك: نقدم الهدايا للآخرين عربونًا لمحبتنا لهم. إذ نقدم الهدايا في أعياد الميلاد وأعياد ميلادهم، لمجرد أننا نريد ذلك. والهدية إظهار لشعورنا بأهمية الآخر ورغبتنا بأن يحصل على أمر ذي أهمية. والهدايا أمر لا يُكتَسَب- فهي مجانية. أودع اللّه في داخلنا قدرة فوق طبيعيّة، وهو يريد منك استخدامها. ستجلب لك هذه الهدية الفرح وستثمر ثمرًا كبيرًا (هدية) في حياة الآخرين. وفي كلّ مرةٍ تستخدم موهبتك الروحية، يريدك اللّه أن تتذكر مقدار محبته لك.

٣- يبقي الفهم المناسب لموهبتك الروحية عمل المسيح أمراً رئيسيًا في قلبك وعقلك. تصف أفسس ٤: ٧-١٠ نصرة المسيح على الخطيئة والموت والشيطان: والصورة المقتبسة من سفر المزامير ٦٨ هي لملك منتصر أو قائدٍ عظيم يشارك غنائمه بعد رجوعه إلى البيت من ساحة المعركة. اكتشافك واستخدامك موهبتك الروحيّة تذكارٌ لما أتمه المسيح من انتصار على الخطيئة والموت والشيطان.

ويرجع الأمر إلينا في النهاية في أن نجعل أنفسنا محور الخدمة والمجموعة والنجاح والنمو. وإذا فهمت المواهب الروحية جيدًا، تصبح تذكيرًا لنا بهدية اللّه الذي به نفرح بعمل المسيح التام والذي من دونه لا نستطيع شيئًا.

بدأنا هذا الفصل ببعض الأسئلة السابرة: «ماذا ينبغي لي أن أفعل؟» «لماذا أنا هنا؟» «ما هو هدفي؟» تبدأ الإجابة عن هذه الأسئلة بالتقييم الذاتي الواعي – بأن تفكّر بدقة بحقيقتك. تطلب هذه الأسئلة التوقّف عن السّعي المرهق وغير المجدي إلى الاكتفاء الذاتي، وتحقيق الذات، و«النجاح» كما تحدده قيم هذا العالم. لن تكون الرحلة سهلة، لكن رؤيتنا لأنفسنا من منظور الله تُطلقنا نحو «علاقة الانتماء» من حيث الاعتماد المتبادل والصدق والتأثّر. وبينما نتعلم المخاطرة والمحبة والسماح للآخرين برؤيتنا على حقيقتنا، سنحتاج إلى اكتشاف مواهبنا الروحية واستخدامها لإتمام «العمل الصالح»، الذي أعده الله لنا قبل تأسيس العالم.

وماذا ستكون النتيجة؟ ستدرك ذاتك الحقيقية – تأخذ وتعطي المحبة، ستتوقف عن الادعاءات الكاذبة وتبدأ بالعيش. ومثل التفتُّح التدريجي لزهرةٍ تكشف عن جمال متزايد، هكذا يزداد إدراكك، بتواضع وشعور عميق بالهيبة، أن الله خلقك خِلقةً رائعة ومهيبة.

وبغض النظر عما يدعوك الله إلى فعله، فإن موهبتك الروحية الأساسية والشغف الموضوع في قلبك سيكونان المفتاح لإيجاد ذاتك في المكان الذي تنتمي إليه، وتفعل الأمور المحبَّبة إلى قلبك، وتنقل التأثير الذي صُنِعت من أجله لمجد الله.

إنّها خطوتك الخاصة – أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢

بينما نختم هذا الفصل، إليك ثلاثة أمور عليك أن تتذكرها دائمًا:

١– خلقك الله بطريقة فريدة، لديك قيمة أبدية.

«لأَنَّكَ أَنْتَ اقْتَنَيْتَ كُلْيَتَيَّ. نَسَجْتَنِي فِي بَطْنِ أُمِّي. أَحْمَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدِ امْتَزْتُ عَجَبًا. عَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ، وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذلِكَ يَقِينًا.»
مزمور ١٣٩: ١٣–١٤

٢ – أنت فرد من عائلة الله. أنت مقبول دون قيد أو شرط.

«وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةِ، لِكَيْ تَمْتَلِئُوا إِلى كُلِّ مِلْءِ اللهِ. وَالْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، أَكْثَرَ جِدًّا مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ، بِحَسَبِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِينَا، لَهُ الْمَجْدُ فِي الْكَنِيسَةِ فِي الْمَسِيحِ الرب يسوع إِلى جَمِيعِ أَجْيَالِ دَهْرِ الدُّهُورِ. آمِينَ.»
أفسس ٣: ١٩– ٢١

٣– أعطاك الله موهبة لإتمام قصده لك، أنت مميّز وذو أهمية فريدة.

«لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ الرب يسوع لأَعْمَال صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا.»
أفسس ٢: ١٠

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

ما قيمة اكتشاف موهبتك الروحية الأساسية واستخدامها؟

تأمّل (Reflect)

كيف كنت تنظر إلى مواهبك الروحية في الماضي؟

- مهمَة جدّاً
- مهمَة إلى حدٍّ ما
- مشوَّش ومتحيِّر بالمجمل

افهم (Understand)

ما هو مدى وضوح فكرة «ما ينبغي عليك فعله» في حياتك؟ هل تشعر بالاندفاع أو بالحيرة بفعل هذا السؤال؟ ما هي موهبتك الروحية الأساسية في اعتقادك؟

سلّم (Surrender)

اسأل اللّه أن يكشف لك العمل الذي أنت مدعو إليه بحسب

أفسس ٢: ١٠. أخبر الرب يسوع أنك مستعدٌ لأن تتبعه إن كشف لك ما يفترض بك فعله. (يوحنا ٧: ١٧)

اتخذ إجراء (Take Action)

كنوعٍ من الامتحان القصير والسّريع، اسأل نفسك: ماذا أحبّ أن أفعل؟ في أي شيء أنا ناجح؟ واطرح هذا السؤال مرّات عديدة مدّة ستة أسابيع.

الدافع (Motivation)

قم بما يلزم لاكتشاف موهبتك الروحية الأساسية. حدد وقتًا للاستماع إلى الرسالة الصوتية والمرئية على الموقع:

www.levantmedia.com/TS

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

أرسل بطاقة هدية لأحدٍ ما هذا الاسبوع كان لموهبته الروحية تأثيرٌ في حياتك. اشكره على استخدامه هذه الموهبة الإلهية.

أمام اللّه يومياً - مع المؤمنين أسبوعياً - في مهمة إرسالية مستمرة بلا توقُّف

«يومياً - أسبوعياً - بلا توقف» إرشاد عملي لتكون تلميذاً بحسب رومية ١٢

أمام الله يومياً

ثمة مؤمنون كثيرون يصارعون مع هويتهم؛ يمكن تتبُّع قضية صراعنا مع الهوية رجوعاً حتى نصل إلى جنة عدن. فبسبب خطية آدم وحواء، ثمة ثلاثة عوائق أمام امتلاكنا لهويةٍ صحيحة وسليمة:

١- ينبع الخوف من الشعور بالخزي والخجل بأن نشابه آدم في كوننا نشعر بأننا ناقصون ولسنا حسب مقياس الله. نحنُ خائفون من أنْ تُكشَف حقيقتنا.

٢- ينبع الاختباء ومحاولة الاختفاء من الشعور بعدم الأمان، نشعر جميعاً بعدم الأمان بدرجةٍ ما. شعورنا بعدم الكفاءة يجعلنا نخفي حقيقة ذواتنا الحقيقية، لا عن الله فقط، بل وعن الآخرين أيضاً، وهذا يقود إلى أن نسعى للبس أقنعةٍ والظهور بما لسنا عليه.

٣- ينبع اللوم من الإنكار، فإحدى آلياتنا في الدفاع هي نقل اللوم من أنفسنا إلى شيءٍ أو شخصٍ آخر غيرنا.

إن حدث أنك كنتَ ترجو التحرُّر من هذه العوائق، فينبغي أن نعمل ما شجّعنا بولس على عمله، والتفكير بأنفسنا برويّة وتعقُّل. ينبغي أن تبدأ التفكير بشكلٍ صحيح ودقيق بشأن مكانتك وحقيقتك في المسيح. وإذ تأتي إلى محضر الله يومياً، وتغمر نفسك بحقه، فإنك ستبدأ بالحصول على منظور الله بشأن حقيقتك وهويتك. يمكنك أن تتعلّم قبول الطبيعة التي خلقك عليها، ومن ثم تتقدَّم إلى الأمام في حرية وثقة وفرح.

وإذ تمثل أمام الله في الأسابيع القادمة، اعمل نسخةً من البطاقات التي تكلَّمنا عنها في الفصل ١٣. اقرأ هذه البطاقات يومياً، وتأمل بها في الأسابيع العديدة القادمة. ومن ثمَّ، حين تصلّي، اطلب من الله أن يساعدك في أن ترى نفسك بالطريقة التي يراك هو بها.

مع المؤمنين أسبوعياً

إلى ماذا أنتمي؟ هذا أحد أبرز الأسئلة في الحياة. مهما كانت خلفيتنا أو شخصيتنا، فإننا نتوق للانتماء، نرغب جميعنا ونريد الشعور بالأمان الذي يأتي مع «الانتماء». وتكوين نظرة صحيحة ودقيقة عن الذات أمرٌ بالغ الأهمية بالنسبة للانتماء.

وكما قلتُ سابقاً في هذا الجزء، فإنك إن فكّرت بنفسك بحيث رأيتَ نفسك أعظم وأكبر مما أنتَ في الحقيقة، فلن ترى احتياجك لآخرين. وإن فكّرتَ بنفسك بحيث رأيتَ نفسك أقل مما أنت عليه، فإنك لن تشعر بالاستحقاق بأن تسمح لنفسك بأن تُحَب من آخرين في جسد المسيح.

إن كنتَ تلميذاً للمسيح، فإنك تنتمي إلى مجتمع المؤمنين الذي يُدعى الكنيسة. وفي المقطع الذي درسناه في هذا الجزء، رأينا أننا جميعاً أعضاء بعضنا بعضاً، من الناحية الكتابية واللاهوتية.

في اللحظة التي تصير فيها مؤمناً بالمسيح، تصير مرتبطاً بالكنيسة. ولكن من الناحية العملية، لا تحصل حياة المجتمع الحقيقي والأصيل بشكلٍ آلي، بل علينا أن نأخذ المبادرة، ونستثمر في العلاقات، ونخاطر في أن نكون مكشوفين بلا أقنعةٍ وعلى حقيقتنا.

في مهمة إرسالية مستمرّة بلا توقُّف

كوننا جزءاً من الجسد لا يعطينا مكاناً ننتمي إليه فحسب، بل يعطينا مكاناً أيضاً يمكننا فيه أن نساهم ونخدم. ثمة حاجة إليك! فلديك قدرات ومواهب ووزنات وخلفية وخبرة ونقاط قوة لا يملكها أحدٌ في العالم سواك. المواهب التي أعطاك الله إياها أُوكِلتَ عليها لتشارك في تنمية وبناء جسد المسيح.

ينبغي لكل تابع للمسيح أن يسأل: «ما هي المهمة المعطاة من الله لي، وكيف يمكنني أن أكون وكيلاً أميناً على المواهب والقدرات التي ائتمنني الله عليها؟» التلميذ بحسب رومية ١٢ شخصٌ لا يكتشف مواهبه فحسب، ولكنّه يستخدمها أيضاً.

وكطريقةٍ لوضع هذا الأمر موضع التنفيذ، لمَ لا تجرِّب عمل ما تكلّمتُ عنه سابقاً في هذا الجزء؟ وكنوعٍ من الامتحان القصير، اسأل نفسك: «ما أكثر أمرٍ أُحب عمله؟ ما الأمر الذي أجيد عمله؟» وبعد ذلك، حاول عمل ذلك الأمر مدّة ستة أسابيع. ابدأ في الخدمة، والله سيقودك إلى البقعة الجميلة الخاصّة بك.

الجزء الرابع

كيف تختبر العيش في مجتمع أصيل

خدمة الآخرين بمحبة

رومية ١٢ : ٩-١٣

يمرّ أغلبنا بمراحل في حياتهم وهم يُصلّون قليلًا، ويُخططون قليلًا، ويراوغون للحصول على مركز آمليـن، لكن غير متأكّدين من أيّ شيء، وهم خائفون دائمًا في سرّهم من أن يضيّعوا الطريق.

- A.W. Tozer

الفصل السادس عشر

ما هو المجتمع الأصيل بالأساس؟

وَلَمَّا رَأَى الْجُمُوعَ تَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ، إِذْ كَانُوا مُنْزَعِجِينَ وَمُنْطَرِحِينَ كَغَنَمٍ لَا رَاعِيَ لَهَا.[1]

كان الصوت على الجهة الأخرى من الهاتف جدّيًا ومليئاً بالمهابة: «إن أردت أن ترى والدك قبل أن يموت، فعليك أن تحضر بأقصى سرعتك.» هذه هي الكلمات التي سمعتها بينما كان أبي، الذي ناهز الخامسة والثمانين من العمر، يحتضر. وجدت نفسي على متن طائرة في غضون الساعتين التاليتين ثم في سيارة أجرة مع صديقين مقرّبين، في طريقنا إلى مستشفى «دورهام – رالي» في ولاية كارولاينا الشمالية. علمت أن أبي كان في غيبوبة منذ بعض الوقت. وبسبب الدواء المخدر للألم الذي كان يتناوله، كان في حالة هذيان معظم اليوم. بعد مواساة زوجة أبي، دخلت غرفته وجلست إلى جوار سريره، عالماً بأنها قد تكون المرة الأخيرة التي أراه فيها في هذه الجهة من الحياة الأبدية.

كان أبي رجلًا صالحًا، لكن مجروحًا بعمق، رغم أنه آمن بالمسيح في منتصف خمسينيّات عمره، كان يصعب عليه أن يعبّر عن مشاعره ويُظهر حبّه بشكل شفوي. كنت أعلم أنه كان يهتم لأمري بعمق وأنه فخورٌ بي، لكنني كنت أتوق إلى أن أسمع ذلك من شفتيه. وكأيّ شابٍ آخر (بغض النظر عن العمر).

كنت أشتاق إلى الحصول على قبول أبي، وأردت بشدة أن أُجري حديثًا عميقًا مmتلئًا بالمعاني من القلب إلى القلب معه قبل أن يموت. كانت الساعة حوالي ٨ مساءً، وكانت زوجة أبي، إيفلين

[1] متى ٩ : ٣٦

(التي تزوّجها أبي بعد موت والدتي) في طريقها إلى المنزل بعد يومٍ طويلٍ أمضته في المستشفى. قبّلتني على خدّي وعانقتني قبل أن تخرج من الباب، كانت عيناها حزينتين وكانت تدرك أن والدي في أيامه الأخيرة بيننا.

ثمّ حدث أمر غريب، قرأتُ عن حالاتٍ مماثلة في الكتب وأخبرني الأطباء أنه ليس غير اعتياديّ أن يحدث، لكن أبي استفاق بعقلٍ نقيٍّ وصافٍ. ولمدة ساعةٍ ونصف أمضيناها سويًا كان متجاوبًا وأجرينا «الحديث» الذي كنّا نتوق إليه نحن الاثنين منذ عدة سنين. سألني أبي عن زوجتي وعن كلٍّ واحدٍ من أولادي وأولادهم أيضًا. سألني أيضًا عن شعوري تجاه كلّ التغييرات الكبيرة التي تطرأ في حياتي، وعمّا أهتمّ به، وعن أكثر أمرٍ يسعدني.

استرجعنا سنوات كثيرة وبعضًا من أوقاتنا المفضلة معًا. من أصغر مباراة من مباريات كرة القاعدة إلى أكبر الأحداث المؤلمة في ماضينا وأصعبها – تحدّثنا عن مكنونات قلبينا – من رجلٍ إلى رجلٍ. في تلك الساعات الأخيرة، تواصل معي أبي بوضوحٍ وشفافيةٍ بأكثر الأمور أهميةً بالنسبة إليه. لم يُخفِ شيئًا. كان يعلم بأنه سيموت. كان جاهزًا للموت، وأراد الحديث عن الأمور الأكثر أهمية بالنسبة إليه.

عندما تكون على وشك الوفاة، تخبر الناسَ بالأمور الأكثر أهمية بالنسبة لك. ففي الليلة السابقة لموت الرب يسوع، فعل الأمر عينه كما فعل أبي، فبعد أن غسل أرجل تلاميذه وأعطاهم مثالًا عن رسالة حياته بأكملها، أعطاهم وصيّةً جديدةً:

«وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ.»
يوحنا ١٣ : ٣٤–٣٥

لم يوصِهم عن الاستراتيجية اللازمة، أو الشريعة، بل عن طريقة معاملتهم بعضهم لبعض، بنفس الطريقة التي عاملهم بها، أي بمحبة. أحبهم من دون قيدٍ أو شرط. ضحى بحياته من أجلهم، أحبهم بقلبٍ منفتح، وتأثُّر حقيقي، حتى عندما لم يكن الأمر مواتيًا له. قابلهم حيث هم وأحبهم كما هم – مؤمناً بهم عندما لم يستطيعوا أن يؤمنوا بأنفسهم.

أحب الرب يسوع تلاميذه بطريقة جذرية، فضحى بنفسه من أجلهم وهو يدعوهم لأن يتمثلوا به في علاقتهم بعضهم ببعض.

لكن لماذا؟ ما سبب أهمية أن يحب التلاميذ بعضهم بعضًا كما أحبهم الرب يسوع؟ الجواب هو: كي يعلم العالم أجمع بأن اللّه أرسل ابنه الوحيد الرب يسوع ليخلّصهم ويغفر لهم. لا تنبع الحجج القوية من نقاشٍ مقنع في كتاب، بل من محبة المؤمنين بالمسيح بعضهم لبعض.

عندما يحب بعضنا بعضًا بطريقة جذرية وأصيلة ومن القلب، سيقف العالم باندهاش وتعجُّب متسائلًا : ما الذي يجعلهم يهتمون بعمق بعضهم ببعض؟ بعد أن أعطاهم الرب يسوع وصيته الجديدة، شارك تلاميذه عشاء الفصح، واستخدم الخبز والخمر ليتحدَّث عن محبته إليهم وإلى العالم بأسره.

وبعد ذلك بفترة قصيرة، نحصل على فرصة استراق السمع على حديثٍ بين أبٍ وابنه، حيث يتحدث الأقنوم الثاني في الثالوث (الرب يسوع) إلى الآب في آخر ليلة من حياته متناولًا ما هو الأكثر أهمية بالنسبة إليه. اصغ إليه وهو يقول:

«وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هؤُلاَءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلاَمِهِمْ، لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلى وَاحِدٍ، وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي، وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي. أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ.»

يوحنا ١٧: ٢٠-٢٤

هنا في الليلة الأخيرة في حياة الرب يسوع على هذه الأرض، أعطى تلاميذه وصية جديدة وصلّى من أجل أمرٍ محدّدٍ بعاطفة متأججة. صلّى بأنْ يحبّ تلاميذه بعضهم بعضًا بطريقة أصيلة وأن يعمل الآب في علاقتهم كي يختبروا الوحدة والمجتمع الحقيقي بعضهم مع بعض، كما أن للآب والابن علاقة أصيلة وحقيقة أحدهما مع الآخر.

إن كنت تتساءل عن سبب تركيز الرب يسوع كثيرًا وبشغفٍ على هذا الطلب في صلاته، فاعلم أن السبب هو أنّ مصداقية المسيحيّة قد ترتفع أو تنخفض بناءً على علاقة أتباع الرب يسوع بعضهم ببعض.

يعلم الرب يسوع أن أقوى الطرق التي تشهد على هويته الحقيقية ومحبة اللّه الكبيرة لهذا العالم الساقط، هي محبة أتباعه بعضهم لبعض في حياتهم اليومية.

عندما يصبح المجتمع الأصيل حقيقيّاً بالنسبة لي

كنت في الثامنة عشر من عمري وكنت شكوكيًا، وقد عرفت المسيح، كما سبق أن ذكرت، عندما كنت في مخيم صيفي لـ« شركة الرياضيين المسيحيين» في العام ١٩٧٢. كنت صبيًا نحيلًا قد نال للتو منحة دراسية رياضية في كليّة صغيرة، وكان هدف وجودي في هذا المخيم صقل مهاراتي فقط، وليس التعلّم عن اللّه. وبعد ثلاثة أيام أو أربعة من الاستماع عن الكتاب المقدس، وفتحه للقراءة فيه أحياناً، كنت قد أصبحت فضوليًا، لكن من دون اقتناع. لم تكن تجربتي الدينيّة إيجابيّةً على الإطلاق.

ولكن بعد تدريب بعد الظهر، خضت اختبارًا قويًا أعاد تشكيل وجهة نظري إلى المسيحية. وجدت نفسي أمشي جنبًا إلى جنب مع متلقي الكرة في فريق «صقور أتلانتا» (Atlanta Falcons) والمدافع في فريق جامعة إيلينوي.لازلت أذكر بشكلٍ واضح الشورت الرياضي الأخضر الذي كان يرتديه اللاعب الهجومي المحترف والقميص المتعرق للمدافع وهما يخرجان من حقل التمارين.

شاهدت هذا اللاعب الهجومي ذا العضلات المفتولة والشهير والثري يهتم اهتمامًا حقيقيًا بحياة اللاعب المدافع. لم أفهم كل أحاديثهم ما عدا حقيقة أنّ الرياضي الجامعي كان يشارك بعض صراعاته الشخصية العميقة مع الآخر. وفي مرحلةٍ ما، وضع هذا المهاجم المحترف ذراعيه حول المدافع المفتول العضلات وبدأ يتواصل معه، بصوتٍ خافتٍ، بكلمات الأمل والمحبة والتفهّم.

كنت أعلم أنهما لم يكونا على علمٍ بوجودي وراءهما على بعد خطواتٍ كافية لأستمع إلى حديثهما، ولأشاهد للمرة الأولى رجلًا بالغًا يُعبّر عن محبته لرجلٍ بالغٍ آخر بهذه الطريقة الرجوليّة.

كانت وجهة نظري عن المسيحية قبل هذا المخيم أنّها حكرٌ على النساء والضعفاء والكُسْح. وفي مكانٍ ما، خلال فترة ما في حياتي، كنت قد تبنيت مقولة كارل ماركس (Karl Marx) إنّ الدين هو أفيون الجماهير. ومؤكّد أنه لم يكن أمراً كنتُ بحاجةٍ إليه.

بينما أصغيت باهتمام إلى ما كان يجري أمامي فى هذا الممر الطويل في الملعب، بدأت مشاعر تتأجج في داخلي لم أكن مستعدًا لها. فمشاهدة رياضي ناجح يعبّر عن محبته لرجلٍ آخر بطريقة قوية ورجوليّة اخترق كلّ دفاعاتي وإحساسي بعدم الأمان. أحسست بالدموع تتجمع في عينيّ ومجموعة مشاعر تتدفق في داخلي لم أختبرها من قبل. وسرعان ما بدأت أمشي إلى مسافة أقرب قليلًا منهما ولكن مع البقاء بعيدًا إلى حدٍّ كافٍ لعدم إزعاجهما. أردت أن أسمع ما يتكلّمان عنه بالفعل لأتحقق من صحة الشعور بالأمان والحساسية المرهفة التي بدأتُ اختبرها.

وفي الوقت الذي وصلت فيه إلى الطرف الآخر من ملعب التدريب، أدركت أنّني أريد ما يمتلكه هذان الرجلان. لم أكن أعلم ما هو في ذلك الوقت، ولم أكن أعلم أيضًا كيف أحصل عليه. لكن ما علمته هو أنني شخصٌ يشعر بعدم الأمان، ومنجرف، ومنافق إلى حدٍ بعيد، لكنني أتوق إلى الشعور بالمحبة والقبول. تعبت من التظاهر والادعاءات الكاذبة بما لست عليه. كنت أتوق إلى أن أجد مكانًا أستطيع أن أكون فيه على سجيتي (من أنا بالحقيقة!) وأن أشعر بمحبة الآخرين وقبولهم لي كما أنا. إن ما حدث بالفعل لدى سيري في الملعب هو أنني سمعت رسالة الحياة لأن صلاة الرب يسوع في يوحنا ١٧ كانت تُستجاب أمام عيني عندما شاهدت شخصين مؤمنين بالمسيح يحب أحدهما الآخر كما أحبهما الرب يسوع.

المجتمع الأصيل قويّ، إنه مجتمع نتوق إليه، وهو أكثر من مجرد عضويتك في فريق أو نادٍ. وفيه تظهر حقيقتك الكامنة فتتلاقى مع الاحتياج الصحيح والسبب الصحيح بالطريقة الصحيحة.

في المجتمع الأصيل تظهر حقيقتك الكامنة فتتلاقى مع الاحتياج الصحيح والسبب الصحيح بالطريقة الصحيحة.

هناك تظهر محبة المسيح ويتشارك فيها الجميع فيتم استبدالها بالحساسية المرهفة والتضحية والتفاني. هو المكان حيث تستطيع أن تكون على طبيعتك وتحس بمحبة الآخرين لك رغم صراعاتك واضطراباتك وخصوصياتك. وكما تحدَّثتُ سابقًا، في ذلك الأسبوع بالذات في المخيم، سألت الرب يسوع شخصيًا أن يسامحني على خطاياي ويأتي ويملك في حياتي. سألته أن يجعلني الرجل الذي يريده بحسب قلبه هو. صدقت الخبر السار عن المسيح لأنني شاهدت كيف يعيش شخصان عاديان لا أعرف اسميهما هذا الخبر السار.

لماذا يصعُب إيجاد المجتمع الأصيل؟

مؤسفٌ أن معظم المؤمنين بالمسيح لا يختبرون المجتمع الكتابي الأصيل والحقيقيّ. وحتى مع تنامي حركة المجموعات الصغيرة، لا يوجد ضمان أن وجودك في هذه المجموعة يعني وجود محبة المؤمنين بالمسيح بعضهم لبعض، كما أحب الرب يسوع تلاميذه. شاركت في العديد من المجموعات الصغيرة الممتازة حيث كان الشعور بالانتماء إلى المجتمع الأصيل واضحًا وملموسًا، لكنني شاركت أيضًا في مجموعات أخرى صغيرة حيث كنا نتناقش بمواضيع من الكتاب المقدس، ونستمتع ببعض العلاقات الاجتماعية الإيجابية، ثم ننصرف ونعود لنعيش حياتنا بنفس الأسلوب الذي كنا نعيشه قبل الانضمام إلى هذه المجموعة. ولدى المجتمع الأصيل قوة خارقة، لكنه نادرٌ بشكلٍ كبير أيضًا.

وإذ نبدأ هذا الجزء من مسيحية رومية ١٢، أريدك أن تعلم أن الأمر بعيدٌ جداً عن النظريات بالنسبة لي. بينما كنت أكتب هذا الكتاب، خضت أحد أبرز التغييرات المميزة في الخدمة في حياتي. إنّها المرة الأولى منذ خمسة وعشرين عامًا لم أكن الراعي الرئيسي في كنيسة محلية.

لقد مدَّني دوري كراعي الكنيسة بالهيكلية والبيئة التي ينمو فيها المجتمع الأصيل بشكلٍ متكرِّر بانتظام – سواء أكان ذلك مع العاملين في الكنيسة أم مع الأصدقاء المقرّبين أم في الاجتماعات التي تُعقد مرةً كل أسبوعين مع الشيوخ والتي تتضمن مقدارًا وافرًا من الوقت في قراءة الكتاب المقدس والشركة والصلاة. ولكن حين توقفت عن الحصول على هذه الأمور، أدركت كيف تعاملت مع العلاقات العميقة والصادقة التي كانت بيننا كأمرٍ مفروغٍ منه.

اختبرت وأنا زوجتي تريزا خلال هذا الوقت ما أعتقد أن معظم المؤمنين بالمسيح يختبرونه وهو «طريقة الحياة الطبيعية»– أوقاتًا من الوحدة أو انقطاع التواصل بينما أخذنا نبحث عن مكانٍ ننتمي إليه. زرنا كنائس متعددة واكتشفنا أنها إحدى أكثر الخبرات المحبطة غير المشجعة في حياتنا. وفي وسط كلّ ذلك، جاءتني ابنتي بفكرة أدركت أنها استجابة الرب لصلواتنا.

كانت ابنتي آني تذهب إلى كنيسة كبيرة في أتلنتا فيها عددٌ كبير من العزّاب، لقد التقت عشرة أو اثني عشر شخصًا في منتصف العشرينيات من العمر يتوقون إلى النمو الروحي، ولكنهم كانوا على درجات متفاوتة من النضوج، ولم يكونوا يعلمون كيف يتقدّمون إلى الأمام. حسنًا، وقبل مضي وقتٍ طويلٍ، أصبحت زوجتي تطهو العشاء كلّ يوم إثنين لمجموعة من «اثني عشر صديقًا مقرّبًا لآني».

وكنت أفتح الكتاب المقدس وأقدّم الحياة للجيل التالي. كلّ ما يمكنني قوله هو أنّ ما بدأ كمجموعة لدراسة الكتاب المقدس تحول إلى عائلة ممتدّة، لقد نمت فيها البهجة والمحبة من خلال تمضية أوقاتنا معًا بشكلٍ فاق كلّ توقعاتي.

وبعد أسبوعين أو ثلاثة من تعارفنا بعضنا على بعض، أصبحت المشاركات أكثر عمقًا. فسرعان ما أصبح الأفراد يلبي بعضهم احتياجات بعض ويتحدّثون من القلب ويصلون معًا.

وذات ليلة، بينما كانت زوجتي تنتهي من غسل الأواني، وكنا نحن ننظف المكان بعد رحيل الجميع، غمرني هذا الإحساس الرائع من السلام. فكم هو مميز أن أكون عضوًا من عائلة الله وأشارك الحياة القلبية مع مجموعة من الناس!

ولاحقًا، عندما أطفأنا الأنوار وذهبنا لنخلد للنوم، وضعت يدي خلف رأسي وبدأت أفكّر بما هو أروع أمر في هذا المساء. ما هو الأمر الجيد في وجود هذه المجموعة من الشبان في الأسابيع المنصرمة؟ وقبل أن يغلب النوم على زوجتي قلت لها: «أتعلمين عزيزتي؟ كانت الليلة مميزة، أليس كذلك؟ ذكّرتني هذه الليلة بالسبب الذي من أجله قادنا الله إلى الخدمة أساسًا. هل تذكرين عندما بدأنا الخدمة قبل ثلاثين عامًا وكنا نستقبل تلاميذ الجامعة لدراسة الكتاب المقدس؟ هل تذكرين كيف كنت ألتقي الفتيان وتلتقين أنت البنات لتلمذتهم؟ هذا هو ما أحسست به الليلة.

لم يكن تحضير العظات، أو بناء المباني، أو خلق نظام، أو استئجار عمّال أو إنشاء المنظّمات اللازمة للنمو الروحي، بل مسك أيدي الأشخاص العاديين وتبادل المحبة معهم، كما هم.» وضعنا رأسينا على الوسادة تلك الليلة مع إحساس متجدد (بعد ثلاثين عامًا من الخدمة) لمسألة «هذا هو حقيقة الأمر».

لا أعلم أين أنت موجودٌ اليوم في علاقتك بالمسيح أو مع كنيسته، لكنني أعلم أنّ ما يحزن قلب اللّه بالفعل هو اختبار قلة قليلة فقط من أتباع المسيح للمجتمعات الأصيلة والحقيقية التي يمكن أن تُغير حياتهم. والمجتمع الأصيل هو المكان الذي فيه يختبر المؤمنون الحقيقيون بالمسيح محبتهم بعضهم تجاه بعض. ليست خطة اللّه ومواهبه لجسده (الكنيسة) في اللقاء الأسبوعي، والاستماع إلى مشاركة عظة شخصٍ ما، وبعض الترانيم، والعمل بجهدٍ للبقاء أنقياء أخلاقيًا، أو حتى الأعمال الصالحة لمساعدة الآخرين.

فالقصد من هذه الأمور أن تكون نتيجة فيض علاقتنا بالمسيح، ولكنني أخشى أنّ العديد من المؤمنين بالمسيح الذين يمارسون هذه الأعمال، غالبًا ما يعيشون حياة الوحدة والانعزال، ويتوقون إلى المحبة والقبول من الآخر لما هم عليه في الحقيقة.

إنّها خطوتك الخاصة- أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢

يتوق اللّه إلى أن تختبر المجتمع الأصيل والحقيقي، وسنتعلّم كيف يمكن أن يحصل هذا الأمر لأشخاص عاديين في حياتهم اليومية، مثلي ومثلك في الفصول اللاحقة.

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

بماذا أمر الرب يسوع تلاميذه وماذا صلى من أجلهم؟

تأمّل (Reflect)

لمذا ركّز الرب يسوع على علاقتنا بعضنا ببعض، برأيك؟

افهم (Understand)

ماذا يعوق اختبارك للمجتمع الأصيل والحقيقي في حياتك؟

الانشغال الدائم – عدم وضع حدود للانشغال

النشاطات الدينية

الانفصال عن المؤمنين المتشابهين في العقلية

سلّم (Surrender)

هل أنت على علاقة مجدية ومتنامية مركزها المسيح مع مجموعة من الناس؟ إن لم يكن الأمر كذلك، فاسأل اللّه أن يريك ما تحتاج إليه لتسير في هذا الاتجاه، أو لتعمّق ما قد قدمه لك حتى الآن.

اتخذ إجراء (Take Action)

أعلن الحرب على الانعزال والعلاقات المصطنعة في حياتك! اكتب يوحنا ١٣: ٣٤-٣٥ على بطاقة وتعهّد أمام اللّه بأن تعيشها كما يقودك هو هذا الأسبوع.

الدافع (Motivation)

حدد وقتًا للاستماع إلى الرسالة الصوتية والمرئية على الموقع:
www.levantmedia.com/TS

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

قم بالخطوة الأولى هذا الأسبوع. حضّر للقاء على فنجان قهوة، أو عشاء، أو تناول الحلوى مع أحدهم لتتحدَّث معه عن احتياجه أو رغبته في المجتمع الأصيل.

الفصل السابع عشر

لماذا يهتم اللّه بأن تكون أصيلًا؟

وَصِيَّـةً جَدِيـدَةً أَنَـا أُعْطِيكُـمْ: أَنْ تُحِبُّـوا بَعْضُكُـمْ بَعْضًـا. كَـمَا أَحْبَبْتُكُـمْ أَنَـا تُحِبُّـونَ أَنْتُـمْ أَيْضًـا بَعْضُكُـمْ بَعْضًـا. بِهـذَا يَعْـرِفُ الْجَمِيـعُ أَنَّكُـمْ تَلَامِيـذِي: إِنْ كَانَ لَكُـمْ حُـبٌّ بَعْضًـا لِبَعْـضٍ. [٢]

- يسوع الناصري

منذ زمنٍ ليس ببعيد، جاء لزيارتنا زوجان شابان، في حوالي العشرينيات من عمرهما، وهما من مجموعتنا الصّغيرة. كانا يسعيان بجهد إلى معرفة مشيئة اللّه لعلاقتهما. ولذا أمضيت وزوجتي ساعة ونصف الساعة في التكلم والتقييم ومشاركة كلمة اللّه وخبرتنا السابقة معهما.لم يكن هذا الأمر من واجبي ولا من مضمون خدمتي «الرسميّة»، أُعجِبت بهما، أردت أن أكون قربهما وأردت مساعدتهما. رأيت إمكانيات هائلة في حياتهما، وكان فرحًا لا يوصف شعرت به بينما كنتُ أراقبهما ينموان في علاقتهما باللّه وأحدهما بالآخر في الأشهر القليلة المنصرمة.

فكانت وجهة نظري هي التالية: لا نمارس طقوسًا دينية محددة ولا نشارك لمجرد المشاركة في الكنيسة؛ نحن بالفعل يحب أحدنا الآخر ويبث أحدنا الحياة في الآخر. الأمر لم يكن عما قدّمنا لهما لقد أعطيانا أكثر بكثير مما يمكنك أن تتخيل. فما كنا نختبره هو المجتمع الأصيل الحقيقي. والمجتمع الأصيل لا يحدث بمجرد الذهاب إلى الكنيسة أو قراءة كتابك المقدس.

٢ يوحنا ١٣ : ٣٤–٣٥

فالمجتمع الأصيل الحقيقي، كما قرأنا في الفصل السابق، نادر وقوي. ليس المجتمع الأصيل للنخبة الروحية؛ بل هو مشيئة الله لجميع المؤمنين. ولكي تختبر المجتمع الأصيل، عليك أن تفهم ما يستلزمه هذا الأمر. ففي رومية ١٢: ٩-١٣ يشرح الله لنا تمامًا ما هو مطلوب للوصول إلى المجتمع الأصيل. الخطوط العريضة بسيطة وواضحة كما ترى في الأسفل:

يتحقق المجتمع الأصيل حين ...

- ذاتك الحقيقية (الآية ٩)
- تلبّي إحتياجات حقيقية (الآية ١٠)
- لغاية صحيحة (الآية ١١)
- بالطريقة الصحيحة (الآيتان ١٢-١٣)

ذاتك الحقيقية – الآية ٩

- **الأصالة–** «اَلْمَحَبَّةُ فَلْتَكُنْ بِلاَ رِيَاءٍ.»
- **النقاء–** «كُونُوا كَارِهِينَ الشَّرَّ، مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ.»

تلبّي إحتياجات حقيقية (الآية ١٠)

- **الإخلاص–** «وَادِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ.»
- **التواضع –** «مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكَرَامَةِ.»

لغاية صحيحة (الآية ١١)

- **الدافع –** «غَيْرَ مُتَكَاسِلِينَ فِي الاجْتِهَادِ، حَارِّينَ فِي الرُّوحِ، عَابِدِينَ الرَّبَّ.»
- **الأسلوب –** الخدمة الأصيلة في ملكوت الله تتميز بـ:

  - **الاجتهاد –** الإجادة

  - **الحرارة –** الشغف

بالطريقة الصحيحة (الآيتان ١٢– ١٣)

- **التركيز على ما هو من فوق –**

«فَرِحِينَ فِي الرَّجَاءِ، صَابِرِينَ فِي الضِّيْقِ، مُواظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ.»

- **التركيز على الأعمال الخارجية –**

«مُشْتَرِكِينَ فِي احتياجاتِ الْقِدِّيسِينَ، عَاكِفِينَ (ساعين بجد) عَلَى إِضَافَةِ الْغُرَبَاءِ.»

أريد أن أتحدث في هذا الفصل عما يعنيه أن تُظهر ذاتك الحقيقية في علاقاتك بأصدقائك المؤمنين. فالشرط الأساسي لحدوث التواصل والمحبة في علاقاتك هو الأصالة والصِّدق والنقاء. تأتي الأصالة من جملة «اَلْمَحَبَّةُ فَلْتَكُنْ بِلاَ رِيَاء» بالواقع كلمة «بِلاَ رِيَاء» تعني «الصدق وعدم النفاق». وفكرة النقاء تأتي في الجملة التالية: «كُونُوا كَارِهِينَ الشَّرَّ، مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ.»

بينما ينتقل تعليم رومية ١٢ من أخذ لمحة عن «حقيقة هويتنا» في عيون الله (الآيات ٣-٨)، إلى علاقتنا بعضنا ببعض (الآيات ٩-١٣)، تصبح الكلمات أقوى ومباشرة أكثر، وتأتي المبادئ المتجمعة في آيات ٩-١٣ بشكل وصايا موجزة ومحدَّدة وغنية تحمل في طيّاتها مفتاح «كيف» يحب بعضنا بعضًا كما أحبّ الرب يسوع تلاميذه.

أعلم يقينًا كراعي كنيسة لسنوات كثيرة أنّ الناس قد ينشغلون بالخدمة وترتيب البرامج الجيِّدة في الكنيسة لدرجة عدم تمكنهم من عيش الحياة مع أشخاص بعدد أصابع اليد الواحدة، ممن يعرفونهم فعلاً ويحبونهم بعمق. وهناك مؤمنون كثيرون بالمسيح متدينون اختبروا المسيح شخصيًا، ومع ذلك يشعرون بالوحدة، ولا يختبرون المجتمع الأصيل والحقيقي.

كيف تصبح على حقيقتك

لذلك دعنا نتكلم عن سبب هذا الأمر وكيف نغيره. تشير عبارة «ذاتك الحقيقية» إلى هويتك الحقيقية، لا إلى ما تريد أن يظنه الناس عنك. هذه هي الأصالة. وينبغي لذاتك الحقيقية أن تظهر – فلا تكون انعكاسًا لما تريد أن يعتقد الآخرون عنك. ينبغي أن تكون المحبة بلا رياء ونفاق. ومعنى العبارة «بلا رياء» في اللغة اليونانية هو «بلا قناع». ففي المسرح الإغريقي القديم، كان كل الممثلين ذكورًا. وكان كلّ ممثل يلعب أدوارًا متعددة في المسرحية.

إذ كان يمكن أن يأخذ دور امرأة أو ولد أو عدة شخصيات في المسرحية الواحدة. وكان يتم هذا الأمر باستخدام الأقنعة. كان على الممثل أن يرتدي ثياباً تناسب الشخصية التي يريد تقليدها بارتداء قناع رجل أو امرأة أو ولد. وكان على الممثلين في تلك الأيام أن يتعلموا كيف يغيّرون أصواتهم لتشبه أصوات الناس من مختلف الأجناس والأعمار.

وكلمة « قناع» التي كانت تُستخدم في المسرح الإغريقي هي نفس الكلمة التي استخدمها الرسول بولس – بقيادة من الروح القدس– متوجهًا برسالته إلى الكنيسة الرومانية.

كانت الثقافة الإغريقية منتشرة في ذلك الزمان، ولا بد أن الرومان المؤمنين بالمسيح كانوا مطّلعين جيدًا على المسارح في أيامهم. وهكذا فإنَّ محتوى ما يقوله الرسول بولس هو: كي يعيش اثنان من أتباع المسيح في محبة المجتمع الأصيل، عليهما أن ينزعا كلّ أقنعتهما. علينا أن نتوقف عن بث ما قد يُعجَب به الآخرون، ونبدأ الانفتاح والصدق. فالرياء والنفاق يقتلان المجتمع الأصيل والعلاقة الحقيقية.

فإن كان هناك مرضٌ يدمِّر المجتمع الأصيل الحقيقي، فإنه مرض الرّياء والنّفاق وعندما تتميز علاقاتنا بالتظاهر بما لسنا عليه، ونسعى إلى إبهار الآخرين، ونمثل أننا نمتلك كلّ شيء، أو ننقل صورة غير صحيحة بالمرة، نزيل إمكانية تحقيق المجتمع الأصيل الحقيقي.

لا يمكن لأحد أن يحبّني إلا إذا علم حقيقتي– ذاتي الحقيقية، وليس من أدّعيه لكسب استحسان الآخرين. وينطبق الشيء نفسه عليك. وغالبًا ما نخاف أن نصل إلى هذه المنطقة لأن في الأمر مجازفة، وإمكانية الرفض حقيقية، ولكن هذه هي تكلفة المجتمع الأصيل. إنّها المخاطرة بالرفض بسبب الأمانة والصدق والأصالة في العلاقات التي تسمح لنا باختبار القبول الأصلي عندما يتقبلني ويهتم بي باقي الأشخاص في المجموعة رغم أخطائي وشوائبي وصراعاتي وأحمالي العاطفية. ما يحتاج الآخرون إلى رؤيته هو المسيح الذي فينا، في قوتنا وفي ضعفنا.

لا يمكن لأحد أن يحبّني إلا إذا علم حقيقتي– ذاتي الحقيقية، وليس من أدّعيه لكسب استحسان الآخرين

يأخذ اللّه فكرة «الذات الحقيقية» على محمل الجدّ

إنها لضرورة مطلقة أن تكون على ذاتك الحقيقية فلا تظهر بغير حقيقتك للحصول على المجتمع الأصيل والحقيقي. وفي واقع الأمر، أعطى اللّه أهمية للأصالة في الكنيسة الأولى لدرجة اختياره أن يدين أول خطية في كنيسة العهد الجديد (خطية الرياء والنفاق) بقساوة لا تستطيع عقلية القرن الحادي والعشرين فهمها.

تقرأ هذه القصّة الكتابيّة في سفر أعمال ٥: ١–١١. ألقِ نظرة سريعة على هذا النص كي تشعر بما كان يحصل في ذلك اليوم في الكنيسة الأولى. كانت الكنيسة تنمو على قدمٍ وساق. إذ كان آلاف الناس يأتون إلى المسيح وكانت احتياجات الكنيسة تتكاثر، كون ٨٠% من الكنيسة الأولى من العبيد والأشخاص ذوي الوضع الاجتماعي والاقتصادي المتدني. ولهذا، في نهاية سفر الأعمال ٤، نقرأ عن رجلٍ ثريٍّ يمتلك حقلًا في جزيرة قبرص، باعه وأعطى للرسل ليساعد في تلبية احتياجات المسيحيين الأوائل المتزايدين.

كان اسمه «بَرْنَابَا، الَّذِي يُتَرْجَمُ ابْنَ الْوَعْظِ،» أي «ابن التشجيع». ونقرأ لاحقًا في الكتاب المقدس بأنّه كان رجلًا تقيًا وكريمًا وبأنه أسلم حياته للمسيح، وعاش حياة منفصلة عن هذا العالم، وأراد أن يستخدمه اللّه لمحبة الآخرين الذين هم في احتياج.

وفي هذا الإطار، يخبرنا سفر أعمال ٥ عن زوجين: «رَجُلٌ اسْمُهُ حَنَانِيَّا، وَامْرَأَتُهُ سَفِّيرَةُ.» وكما يبدو، ذاع صيت برنابا بين الرسل وأصبحت سمعته لدى المجتمع المسيحي الأول بطبيعة الحال حسنة جدًا، وإيجابية. رصد حنانيا وسفيرة هذه الظاهرة، فحبكا خطة سرية بحيث يربحان استحسان مجتمع الكنيسة الأول وتقديره، وفي نفس الوقت يتجنبان الخسارة الفعلية لكامل

ثمن الحقل المزمع بيعه. لذا ابتكرا سرًا خطة تقضي ببيع الحقل والادعاء بتقديم المبلغ الكامل للمجتمع المسيحي كفعل محبة وتضحية.

كانت هناك مشكلة واحدة – احتفظا بمبلغ وفير من المال لهما في محاولة منهما لأن يبدوا تقيين وكريمين كبرنابا، ومع ذلك يحتفظان بجزء كبير من ثمن بيع الحقل لنفسيهما. وبعبارة أخرى، ارتديا «قناعًا». أرادا أن يظهرا بمظهر المُحب والكريم من دون أن يكونا بالفعل محبين وكريمَين.

في هذه المرحلة من القصة ترتفع درجة الإثارة. إذ يدخل حنانيا ويخبر الرسول بطرس عن الخبر العظيم بخصوص الهدية التي يودّ تقديمها للكنيسة. غير أنّ الرسول بطرس، بإعلانٍ من اللّه، فهم عمل حنانيا وقصده فسأله:

> « يَاحَنَانِيَّا، لِمَاذَا مَلأَ الشَّيْطَانُ قَلْبَكَ لِتَكْذِبَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ وَتَخْتَلِسَ مِنْ ثَمَنِ الْحَقْلِ؟ أَلَيْسَ وَهُوَ بَاق كَانَ يَبْقَى لَكَ؟ وَلَمَّا بِيعَ، أَلَمْ يَكُنْ فِي سُلْطَانِكَ؟ فَمَا بَالُكَ وَضَعْتَ فِي قَلْبِكَ هذَا الأَمْرَ؟ أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى اللهِ».[٣]

بكلماتٍ أخرى، كان الرسول بطرس يقول له: «لم يكن عليك أن تقدم الحقل في المقام الأول. ثانيًا، إذا كنت قد بعت الحقل فعلًا، لم يكن عليك تقديم كامل المبلغ للكنيسة.» فالقصة هنا هي قصة رياء ونفاق.

كانت خطيئة حنانيا وسفيرة محاولة اختلاق أو تمثيل المحبة والروحانية للحصول على استحسان الناس. كانت الدينونة التي حلّت على حنانيا في اللحظة ذاتها صادمة للكنيسة الأولى، وما زالت بالتأكيد صادمة بالنسبة لي اليوم أيضًا. ففي تلك اللحظة من الرياء والنفاق، وقع حنانيا ميتًا عند قدمي الرسول بطرس، فنهض الأحداث وحملوه خارجًا.

وبعد بضع ساعات، تصل زوجته سفيرة، فيسعى الرسول بطرس إلى معرفة ما إذا كانت شريكة في خطة زوجها، أم متفرجة بريئة. كانت كلماته لها مشابهة لكلماته مع زوجها:

> «مَا بَالُكُمَا اتَّفَقْتُمَا عَلَى تَجْرِبَةِ رُوحِ الرَّبِّ؟ هُوَذَا أَرْجُلُ الَّذِينَ دَفَنُوا رَجُلَكِ عَلَى الْبَابِ، وَسَيَحْمِلُونَكِ خَارِجًا». فَوَقَعَتْ فِي الْحَالِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ وَمَاتَتْ. فَدَخَلَ الشَّبَابُ وَوَجَدُوهَا مَيْتَةً، فَحَمَلُوهَا خَارِجًا وَدَفَنُوهَا بِجَانِبِ رَجُلِهَا. فَصَارَ خَوْفٌ عَظِيمٌ عَلَى جَمِيعِ الْكَنِيسَةِ وَعَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِذلِكَ.»[٤]

٣ أعمال ٥: ٣-٤

٤ أعمال ٥: ٩-١١

يكمن الصدق في صميم المجتمع الأصيل والمحبة المتبادلة بين أفراده، وما أعلنه الله بشكل قاطع عندما دان الخطيئة الأولى المدونة في كنيسة العهد الجديد هو عدم احتماله مطلقاً للرياء والنفاق. ويُسمَّى هذا اختبارًا يوقظ المجموعة ويبث فيها الوعي! أستطيع أن أتخيّل تأثير هذا الحدث لعدة شهورٍ لاحقة (إن لم نقل لعدة سنين!) كما لو أن الله يقول: «لن يكون هناك متسع للألعاب الدينية في هذا المجتمع الفائق للطبيعة المدعو كنيستي! وستكون المحبة الحقيقية وحدها السمة المميزة لهذه المجموعة الصغيرة من المؤمنين الذين اخترتهم ليغيروا مجرى التاريخ.»

كما ترى، متى بدأ الناس بالادعاء والتظاهر بما ليسوا عليه، تقل إمكانية المحبة الأصيلة والعلاقات العميقة فتصبح مستحيلة. كان الله يعلم أنه إذا لم تكن هناك أصالة في العلاقة بالأشخاص، فستصبح هذه العلاقة زائفة ولن يكون أمر الرب يسوع في يوحنا ١٣ وصلاته في يوحنا ١٧ حقيقة.

هل تستطيع أن تتخيّل ماذا سيحدث لو اختار الله أن يدين كنيسته بهذا الشكل، ولو ليوم واحد؟ ستصبح معظم الكنائس كحانوتٍ للجثث، وستمتلئ كلّ الأماكن بها. كانت هذه الخطيئة بالذات، أكثر من أيّة خطيئة أخرى، ما أفقد مصداقية رسالة الإنجيل والمسيحية بالنسبة لي حينَ كنت شابًا يافعًا. لا تسئ فهمي، فأنا أعلم أنّ لا أحد منا كامل، فجميعنا نحبّ الرياء والنفاق إلى حدّ ما. ونحاول جميعنا أن نعكس أو نقول أشياء لنحصل على الانطباع الإيجابي أكثر من الحقيقة.

ولأننا نعيش في عالمٍ ساقط، سيحدث هذا الأمر لجميعنا بدرجات متفاوتة بين الحين والآخر. ولكنَّ عملنا هذا الأمر من دون وعي أو قصد أمرٌ مختلف تماماً عن عمله عن إصرار وقصد.

أستطيع أن أخبرك أمرًا واحدًا فقط: لا يزال لديّ طريق طويل للسير في هذا الاتجاه، لكنَّني أتوق إلى أن أكون حقيقيًا وصادقًا وحساسًا في علاقاتي بإخوتي وأخواتي بالمسيح. ما زلت أتعلم كيف أُمسك زمام أموري بدلًا من محاولة إخفائها. وأطلب من الله أن يساعدني على عدم الادعاء والتظاهر بأنني أكثر تقوى ممّا أنا عليه بالحقيقة. تعلّمت أن المجتمع الأصيل يستحيل وجوده ما لم أُظهِر ذاتي الحقيقية. ولا يعني تلقي التشجيع والدعم لي الكثير ما لم يكن تجاوبًا مع ذاتي الحقيقية وليس ما أريد للعالم أن يراه.

يتطلب الأمر أكثر من الأصالة ... النّقاء إلزامي!

الأصالة مجرد جزء من المعادلة. يكمل المقطع ليقول: «كُونُوا كَارِهِينَ الشَّرَّ، مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ.» قيل مرة إن الضمانة الوحيدة من الخطيئة هي أن تصدمنا هذه الخطيئة وتهزّنا. كتب كارليل (Carlisle)؛ «إن ما نحتاج إلى رؤيته هو الجمال اللامتناهي للبر والقداسة والقدرة المدمرة اللامتناهية للخطيئة.»

وتصل جذور الرياء والنفاق إلى ما هو أبعد من احتياجاتنا النفسية ورغباتنا لإعطاء الانطباع الجيد للآخرين. فمعظم «الأقنعة» التي يرتديها أفراد جسد المسيح تهدف إلى إخفاء عصياننا الإرادي لله عن المؤمنين الآخرين. وعندما تكون لديّ خطيئة مختبئة في حياتي، لن تستطيع «ذاتي الحقيقية» الظهور بسبب ما أخفيه، فيصبح لزامًا عليّ الادعاء والتظاهر بما لست عليه.

ولهذا يطرح معظمنا الأسئلة الخاطئة فيما يختص بموضوع الخطيئة. فالأسئلة التي يطرحها عليّ الكثيرون هي: «ما مدى قرب المسافة التي أستطيع أن أقترب فيها من الخطيئة من دون أن أتجاوز الحدود المسموحة لي؟ ما هو تصنيف الفيلم السينمائي المسموح لي بمشاهدته من دون أن أقترف خطيئة؟ ما الكمية التي أستطيع شربها من الكحول من دون أن أقترف خطيئة؟ ما هو مقدار المال المسموح لي بأن أحصل عليه من دون أن أصل إلى خطيئة الطمع؟ ما مدى التمادي في العلاقة قبل أن تُعَدَّ انحرافاً جنسيًا؟ ولأي مدى نستطيع تحريف الحقيقة من دون أن تُعَدّ كذبًا؟» نفعل جميعًا هذه الأمور إلى حدٍّ ما فينتج عنها مؤمنون يتجاوزون الحدود المتاحة لهم بما ينتهك ضميرهم.

عندما يتطور هذا النمط، تبدأ الخطيئة الشخصية باتخاذ حياة خاصة بها في الزوايا السرية من قلوبنا. لا يعلم أحد عن هذه الخطية، ويستلزم الأمر طاقة كبيرة لإبقائها في الخفاء. والمشكلة هي أن تأثير الخطيئة لا يكون سرّياً. فكلّ قضيّة لم تُحلّ أمام الله ستؤثّر بالآخرين لأننا كائنات روحية حية.

«هكَذَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ: جَسَدٌ وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاءٌ بَعْضًا لِبَعْضٍ، كُلُّ وَاحِدٍ لِلآخَرِ.»[٥]

إليك كيف يتم الأمر في الحياة الفعلية. إذ تلتقي بمجموعة من المؤمنين أو أصدقاء بالمسيح وتبدأ بالصلاة والتكلّم عن مواضيع قلبية عميقة، لن تشارك حقيقة ما يحدث بسبب وجود مناطق في حياتك وقلبك يجب أن تبقى مخفية. ولهذا تبدأ بارتداء قناع. تبدأ بالادعاء والتظاهر بما لست عليه. لن يكون بمقدورك الحصول على نعمة الرب وقوة المجتمع الأصيل، ولن تستطيع أن تعطي هذه القوة أيضًا للآخرين. تصبح العلاقات سطحية أكثر وأكثر، وممتلئة بالكليشيهات المسيحية والمصطلحات الدينية.

تبدأ روحك بالانكماش ويرتفع معدل الشعور بالذنب. فتبدأ بعد فترة بالإحساس بأنك لا تريد أن تكون مع مجموعة المؤمنين الملتزمين، أو تسمع كلمة الله، أو تشارك في نشاطات تجبرك على مواجهة نفاقك ورياءك. تصبح العزلة والوحدة شريكتيك الصامتتَين، بينما يتوق الله إلى أن تعود إلى بيتك نظيفًا، متجددًا.

٥ رومية ١٢: ٥

عبارة «كَارِهِينَ الشَّرَّ» قوية. لكلمة «كره» أو «مقت»، كما تُترجَم في بعض الأحيان، مدلولاً ليس لطيفاً. وفي الواقع، إن أفضل طريقة لوصف هذه الكلمة بصورة كلامية: هي أن تتخيل أنك ذهبت يومًا خارج البلدة لأسبوعين أو ثلاثة وتركت بعض زجاجات الحليب، أو الفاكهة، أو أيّ أمرٍ آخر قابل للفساد في الثلاجة، ثم عدت بعد أن أنتن الطعام، عندما تفتح الثلاجة ستجد رائحة عفنة تكاد تتقيأ منها!! هذا هو ما تعنيه تلك العبارة!!

ليست المسألة مدى قرب المسافة التي تستطيع أن تقترب فيها من الخطيئة، بل مدى قربك من النقاء والبرّ! ومرة أخرى، فإن رومية ١٢ : ٩-١٣ لا تتكلم عن الكمال الخالي من الخطيئة، بل عن السير في طريق الاستقامة والصدق. إن حبّ اللّه يطفو في أوعية نظيفة.

إذاً، أين موقعك أنت؟ ماذا تفعل؟ هل هناك خطيئة شخصية في حياتك يجب أن تكشف عنها؟ أأنت متعب من الاختباء، متعب من الادعاء والتظاهر بما لست عليه، وتشعر بالذنب والوحدة؟

هل تدرك أنّ خطيئتي وخطيئتك لا تؤثر بنا نحن فقط، بل تؤثّر بكلّ فرد في شبكة علاقاتنا؟ من الأمور المحطّمة المؤلمة جدًا أن تكون لك شركة مع شخص خيّب آمالك كنت تظن «أنك تعرفه تمامًا» لتكتشف لاحقًا أنه يعيش «حياة سرية أخرى» تجعل كل الأمور التي تشاركتما فيها معًا محط تساؤل؟ أتذكر أنّني حين كنتُ طالباً في كليّة اللاهوت، تطوعت في الكنيسة في خدمة جامعية، كنت أعلّم هناك في نهاية الأسبوع وكنت أستقبل أنا وزوجتي طلاب الجامعة خلال الأسبوع.

واعتدت أن ألتقي الراعي المسؤول عن هذه الخدمة مرة شهريًا للصلاة ومناقشة التدابير والتلمذة. كان اجتماعنا الأخير لا يُنسى بالنسبة لي، كان الراعي مشجعًا بشكلٍ خاص في ذلك اللقاء.

أعطاني مراجعة صادقة عن تعليمي، وأثنى على قلب الراعي الذي فيّ، وحتى عندما افترقنا، صلّى من أجلي في مطعم الوجبات السريعة حيث كان اجتماعنا.

هل تتخيل شعوري عندما مررت بالكنيسة بعد عدة ساعات لأعلم أنه بعد انتهاء اجتماعنا مباشرة، ترك البلدة مع زوجة رجلٍ آخر في الكنيسة. قادتهما علاقتهما العاطفية إلى تدمير حياة عائلتين.

كانت زوجته الشابة وابنه المولود حديثًا ضحيتين لرجلٍ سمح في لحظة ضعف للخطيئة أن تشتّت وتدمّر حياتهما. كنت مصعوقًا! كانت الكنيسة في حالة صدمة! فالخطيئة السّرّيّة وهم وخيال.

إنّها خطوتك الخاصة- أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢

لا تدع العدو يخدعك بالتفكير بأنّك لا تؤذي أحدًا غير نفسك. نحن نحتاج إليك – شخصاً أصيلاً حقيقياً طاهراً ومغفوراً لك – كما تحتاج أنت إلينا.

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

ما الأمر الضروري لإظهار ذاتك الحقيقية في علاقاتك؟

تأمّل (Reflect)

لِمَ باعتقادك، أدان اللّه نفاق حنانيا وسفيرة ورياءهما بهذه الشدّة؟ متى وكيف تميل إلى ارتداء قناع؟

افهم (Understand)

ما هي علاقة النفاق والرياء بالنقاء؟ هل من «خطيئة سرّية» أو تجربة ما ربما يتحدث اللّه إليك عنها الآن؟

سلّم (Surrender)

صلِّ كلمات مزمور ١٣٩: ٢٣-٢٤

«اخْتَبِرْنِي يَا اَللهُ وَاعْرِفْ قَلْبِي. امْتَحِنِّي وَاعْرِفْ أَفْكَارِي. وَانْظُرْ إِنْ كَانَ فِيَّ طَرِيقٌ بَاطِلٌ، وَاهْدِنِي طَرِيقًا أَبَدِيًّا. تعهّد بأن تتجاوب مع ما يعلنُهُ لك الروح القدس.»

اتّخذ إجراء (Take Action)

نتصارع جميعنا مع الخطيئة والنفاق والرياء. وكلاهما مثل البكتيريا متى تعرضت للنور تبطل قوة تأثيرها والإصابة بها. أحضر أية «خطيئة سرّية» أو تجربة إلى نور حضور اللّه (١ يوحنا ١: ٩) وتكلم عنها مع صديق موثوق به أو مع راعي كنيستك.

«اِعْتَرِفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلاَتِ، وَصَلُّوا بَعْضُكُمْ لأَجْلِ بَعْضٍ، لِكَيْ تُشْفَوْا. طَلِبَةُ الْبَارِّ تَقْتَدِرُ كَثِيرًا فِي فِعْلِهَا.»
يعقوب ٥: ١٦

الدافع (Motivation)

حدد وقتًا للاستماع إلى الرسالة الصوتية والمرئية على الموقع:

www.levantmedia.com/TS

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

أرسل ملاحظة أو رسالة أو رسالة إلكترونية إلى راعي كنيستك. ليس من الممتع مشاركة «رسائل التبكيت والإدانة» التي تحمي القطيع من النفاق والرياء وعدم النقاء. اشكره على أمانته وشجاعته. دعه يعلم أننا جميعًا نحتاج إلى رسائل صادقة مصحوبة بنعمة الرب.

الفصل الثامن عشر

هل تبني علاقات طويلة الأمد؟

هذِهِ هِيَ وَصِيَّتِي أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَحْبَبْتُكُم. لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هذَا: أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ.[٦]

- يسوع الناصري

إنّ تأثيرات ومكاسب المجتمع الأصيل والحقيقي مدهشة، لكنها لا تأتي بثمنٍ بخسٍ البتة. إذ يستلزم الأمر أكثر من مجرد إظهار ذاتك الحقيقية إن أردت حقًا اختبار نوع المحبة التي تكلّم عنها الرب يسوع في علاقاتك. يتطلب الأمر إظهار ذاتك الحقيقية، إضافةً إلى تلبية الاحتياجات الحقيقية في حياة الآخرين، وليس فقط تلك الاحتياجات المناسبة والسهلة وغير المكلفة عاطفيًا. ومع ذلك، حين نخرج بنعمة الرب من منطقة راحتنا لنحب الآخرين بطرق تستوجب منّا الوقت والطاقة والتضحية، تكون هناك نتائج رائعة لا يمكن لأي مبلغٍ من المال أن يوازيها.

أكثر من مجرّد احتساء فنجان من القهوة ومشاركة الآيات الكتابية

أتذكر إحدى المرات الأولى التي اضطررت أنا وزوجتي فيها إلى اختبار معنى تلبية الاحتياج الحقيقي. ففي سنيّ زواجنا الأولى، بينما كنا ننمو في إيماننا بالمسيح، كنا ملتزمين بتقديم القسم الأول من دخلنا لعمل الرب، ونشارك في مجموعة صغيرة، ونتلمذ آخرين، ونبحث عن الفرص المواتية لمساعدة من هم بحاجة.

٦ يوحنا ١٥ : ١٢-١٣

كنا قد انتقلنا لتونا إلى مدينة دالاس، حيث التحقتُ بكلّية اللاهوت للإعداد للخدمة. انتقلنا إلى شقة في مجمع مدعوم من الحكومة ممتلئ بطلاب اللاهوت وطلاب كلية طب الأسنان ومدمني المخدرات وكلّ أصناف البشر ممن لديهم شيءٌ واحد مشترك، ألا وهو الاحتياج المادي! لم يطل بنا الأمر كثيرًا حتى تصادقنا مع جيراننا في الطابق العلوي. كانت لدى الزوجة « بات» ولدٌ صغير في مثل عمر ولديّ الأكبرين «إيريك» و «جايسون»، وكانوا يمضون الساعات الطوال في اللعب معًا.

أصبحت بات (كانت مؤمنة) وتريزا زوجتي صديقتين حميمتين، وشعرنا بسعادة غامرة عند ولادة ابن بات الثاني بعد حوالي سنة من معرفتنا بهم. لم يتسنَّ لي التعرّف بزوجها كثيرًا، إذ كان عمله يحتم عليه البقاء على الطرقات لفترات طويلة. لكنني أذكر بوضوح عودتي يومًا إلى المنزل، حيث استقبلتني زوجتي في حالة ذهول واضطرابٍ شديدين.

كانت «بات» وزوجها على خلاف، وقد قرر الزوج أن يهجر الزوجة في ذلك الصباح، تاركًا إياها من دون مال ومن دون عمل، مع طفل حديث الولادة، من دون أيّ دخل تستطيع به أن تدفع حتى إيجار شقتها.

حاولت زوجتي أن تواسي بات، وصلّت معها وساعدتها في العناية بالأطفال. وعندما حان الوقت لندفع إيجارنا الشهري، أجريت وزوجتي واحدًا من تلك الأحاديث الطويلة المتعلقة بـ «ربما هذه مشيئة الرب» مع خوف من أن يكون الأمر غير ذلك.

وبينما كنا نتحدث في وقتٍ متأخرٍ ذات ليلة، أحسسنا نحن الاثنين بأن اللّه يقودنا إلى أن ندفع إيجار شقة بات لئلا تضطر إلى إخلائها. ومن شأن هذا أن يتيح لها شهرًا إضافيًا لترتيب أمورها.

لكن المشكلة التي واجهتنا كانت التالية: إن دفعنا إيجار شقة بات، فلن نتمكن من دفع إيجار شقتنا نحن، وكان الوقت الفاصل بين تاريخ دفع إيجار بيتها ودفع إيجار بيتنا هو عشرة أيام.

فبدا الأمر قمة في الجنون أن ندفع عنها الإيجار، عالمين أن ما سيتبقى في جيبنا هو عشرة دولارات فقط لمصروف كامل الشهر. لكن وفي هذه الحالة بالذات، رغم اعتراضاتنا الداخلية، أوضح لنا روح اللّه أنَ علينا أن نأخذ خطوة إيمان لتأمين احتياج أختنا في المسيح. لم يتعلق الأمر بالشهامة أو الروحانية الزائدة – بل بكل بساطة بالطاعة كما أوضح لنا الرب بشكل كامل ومطلق. بالإيمان، دفعنا الإيجار المستحق وتوقعنا أن اللّه، بطريقة مدهشة، سيسمح لي بأن أجني مالًا إضافيًا في الأيام العشرة المقبلة كي أدفع إيجار بيتنا.

ومن المؤسف أنه عندما أتى يوم استحقاق الإيجار، لم يكن لدينا المال. كانت لدينا فترة سماح ثلاثة أيام، وفي اليوم الأخير، عندما اقتربت من فقدان كلّ أمل وبدأت أشعر بالاستياء من اللّه، أتاني مغلف بريدي.

كان شيخًا بقيمة ألف دولارٍ أميركيٍ من صديقٍ لصديقي لم أره منذ عشر سنين. أخبرني أن اللّه حثّه أثناء الصلاة ليجد عنوان سكني ويرسل هذه إلينا.

كان هذا أول درس من بين العديد من الدروس علّمنا فيها اللّه عن الإيمان وكيف يريدنا حرفيًا أن نتعلم ما قاله الرب:

«بِهذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، فَنَحْنُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نُفُوسَنَا لأَجْلِ الإِخْوَةِ.»[٧]

كنت أعتقد سابقًا أنّ أمورًا كهذه لا تحصل إلا في الكتب ولـ«نخبة عمالقة الإيمان الروحيين». ولكنْ ما تعلمته هو أن اللّه يتشوق للعمل بقوة من أجلنا عندما تكون دوافعنا هي تلبية احتياجات إخوتنا في المسيح.

والمجتمع الأصيل هو أكثر من مجرد اللقاء لاحتساء فنجان قهوة ومشاركة الآيات الكتابية على مقاعد غرفة الجلوس في المنزل. إنه أكثر من مجرد أن نكون لطفاء بعضنا مع بعض عندما نلتقي في ممرات الكنيسة، أو إرسال بعض الطعام لعائلة معوزة أو زيارة مريض في المستشفى.

يتطلب المجتمع الأصيل الحقيقي أن تسُدَّ ذاتك الحقيقية احتياجات الآخرين الحقيقية. لقد طغى الإحساس بالنعمة والبركة على «بات» وشكرتنا بغزارة بينما كانت تضم طفلها الجديد بين ذراعيها. كنا في حال من الدهشة والاستغراب من كيفية سدِّ اللّه لاحتياجنا بعد أن دفع بنا إلى خارج منطقة الراحة للتمسك بالاعتقاد بأن اللّه خالق السماء والأرض يستطيع الاهتمام باحتياجاتنا إن اخترنا أن نثق به في سعينا للتعبير عن محبة الآخرين. وكما تعلمنا من الفصل السابق، يتحقق المجتمع الأصيل عندما تلبي ذاتك الحقيقية احتياجات الآخرين للأسباب الصحيحة وبالطريقة الصحيحة. وسنتعلم في هذا الفصل كيف نختبر بالتحديد المجتمع الأصيل والحقيقي بسدِّ احتياجات الآخرين الحقيقية.

> يتطلب المجتمع الأصيل الحقيقي أن تسُدّ ذاتك الحقيقية احتياجات الآخرين الحقيقية

يتحقق المجتمع الأصيل عندما ...

- ذاتك الحقيقية (الآية ٩)
- تلبّي إحتياجات حقيقية (الآية ١٠)
- لغاية صحيحة (الآية ١١)
- بالطريقة الصحيحة (الآيتان ٢-١٣)

٧ ايوحنا ٣ : ١٦

ذاتك الحقيقية – الآية ٩

- **الأصالة –** «اَلْمَحَبَّةُ فَلْتَكُنْ بِلاَ رِيَاءٍ.»
- **النقاء –** «كُونُوا كَارِهِينَ الشَّرَّ، مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ.»

تلبّي إحتياجات حقيقية (الآية ١٠)

- **الإخلاص –** «وَادِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ.»
- **التواضع –** «مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكَرَامَةِ.»

لغاية صحيحة (الآية ١١)

- **الدافع –** «غَيْرَ مُتَكَاسِلِينَ فِي الاجْتِهَادِ، حَارِّينَ فِي الرُّوحِ، عَابِدِينَ الرَّبَّ.»
- **الأسلوب –** الخدمة الأصيلة في ملكوت الله تتميز بـ:
  - **الاجتهاد –** الإجادة
  - **الحرارة –** الشغف

بالطريقة الصحيحة (الآيتان ١٢– ١٣)

- **التركيز على ما هو من فوق –** «فَرِحِينَ فِي الرَّجَاءِ، صَابِرِينَ فِي الضِّيْقِ، مُواظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ.»
- **التركيز على الأعمال الخارجية –** «مُشْتَرِكِينَ فِي احتياجاتِ الْقِدِّيسِينَ، عَاكِفِينَ (ساعين بجد) عَلَى إِضَافَةِ الْغُرَبَاءِ.»

في هذين الأمرين، رغم بساطتهما، قوة. إنهما يركزان على شرطين مسبقين لتلبية احتياجات الآخرين الحقيقية: الإخلاص والتواضع: «وَادِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ.» ماذا يعني حقًا أن نود (نحب) بعضنا بعضاً في جسد المسيح؟ الكلمة «ودّ» ترجمة لكلمة يونانية تأتي منها الكلمة «Philadelphia».

ولمعناها علاقة بعاطفة خاصّة وحميمة، وهو الأمر اللائق بين المؤمنين بالمسيح. إنها محبة أفراد العائلة الواحدة التي تطوّق الجميع، وهي أمرٌ لائق في الكنيسة. تشير كلمة «الأَخَوِيَّة» إلى الترابط والالتصاق في الديانة الواحدة، وليس بالضرورة المسيحية في العالم القديم. فكان هذا التصور مألوفًا أيضًا عند اليهود والمجتمعات الدينية الأخرى في مصر.

جملة «وَادِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ.» تعني أن ننظر إلى الأعضاء الآخرين في جسد المسيح كما تنظر إلى أفراد عائلتك الخاصة. وأنت مطالَب بأن تُقدِّم نفس الاهتمام والحماية والتضحية

التي يمكنك أن تقدمها لأبيك وأمك وإخوتك. هذا ما ينبغي أن يكون «المعيار» لكل أتباع المسيح في علاقتهم بعضهم ببعض.

ورغم كونها خطوة إيمان كبيرة مني ومن زوجتي مع بات، فعل الله ما هو أكثر من سدّ الإيجار وإبهارنا بقوته العظيمة. فقد تكوّن رابطٌ بيننا وبينها لم نختبره من قبل. قال الرب يسوع:

«لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا.»[٨]

وهذا العمل الوحيد من وضع كنزنا باتجاه سدّ احتياج أختنا في المسيح خلق عمقًا جديدًا في المجتمع الأصيل. فمن دون معرفة مسبقة منا، كنا ننفذ وصيّتي رومية ١٢: ١٠.

فإلى أن نفهم مدى أهمية العبادة كمكوّنٍ أساسي لبناء المجتمع الأصيل والحقيقي، سننظر إلى إيماننا وعلاقاتنا بمنزلة «نادٍ لا بأس به» أو مجرّد نادٍ اجتماعي. أخذت الكنيسة الأولى مبدأ «المودة» (الإخلاص والمحبّة) للآخر على محمل الجد –حتى على حساب حياة الإخوة أنفسهم في بعض الأحيان.

ميرل: صورة عن الإخلاص والتفاني

ربما تساعدك صورة غير روحية للإخلاص والتفاني في أن تفهم مدى قوة هذه الوصية. إنها ما كنت ألاحظه يوميًا كطالبٍ جامعيّ جديد. كنت أتشارك الغرفة مع مصارعٍ أصبح فيما بعد مثالًا أميركيًا مميزًا.

كان صورة عن الإخلاص والتفاني. كان ميرل يرتدي بدلة من البلاستيك خلال الليل كي تساعده على التعرّق وعلى فقدان الوزن. وقبل أن يأوي إلى فراشه، كان يسحب رزمة من البطاقات ويضعها على الأرض، ثم يسحب عجلة صغيرة مع مقبض من تحت سريره ويقلب أحد هذه البطاقات.

كان يقرؤها ويعمل بحسب ما هو مكتوب على هذه البطاقة مهما كان العدد. كان يفعل هذا الأمر مرّات متعددة بعجلته، يجرها من تحت سريره، يضعها أمامه لكي يقوي عضلات بطنه وصدره. فإن كانت على الورقة صورة وجه، كان ذلك يعني ممارسة التمرين عشر مرات.

أما فيما يتعلّق بالبطاقات الأخرى، فكان يعمل حسب الرقم الذي عليها. شاهدته يتنقل على كلّ البطاقات قبل أن يأوي إلى فراشه.

كان مجرد مشاهدة الأمر يشعرني بالألم، كان فيما بعد يأخذ هذه الرزمة من البطاقات ويفعل الأمر نفسه ولكن بتمرين مختلف.

إن مجرد القول عن ميرل إنه مثابر ومتفانٍ ومخلص أمر لا يفيه حقه. كان صورة مثالية عن الإخلاص والتفاني، لم يفوّت ليلة واحدة، وكان مستعدًا لأن يدفع أي ثمن لأن التمرُّن كان هاماً بالنسبة له.

٨ متى ٦: ٢١

دعني أسألك: هل هذه هي طريقة تفكيرك بخدمة الآخرين؟ هل تفكّر بهذه الطريقة بشأن جسد المسيح؟ عندما تسمع عن احتياج منطقي في حياة أحد الأخوة، هل هذا هو نوع التفاني والإخلاص الذي تشعر بأنك مدعوٌّ لتقدمه؟

هل تتخيّل كم كانت الكنيسة ستتغير لو كان هذا النوع من التفاني والإخلاص الطريقة الطبيعية لتعامل المؤمنين بالمسيح بعضهم مع بعض؟ أم هل نحن منشغلون جدًا لدرجة أنّه لم يعد هناك من متسعٍ في قلبنا، أو هامش في جداول أعمالنا لنحب الآخرين بهذه الطريقة؟ هل أصبح إيماننا منظمًا ومتمركزًا حول المباني والأوقات والألقاب لدرجة أن الكنيسة صارت مجرد مكان نذهب إليه، بدل أن يكون هويتنا وحقيقتنا وطبيعتنا؟ أن نُخلص ونتفانى في علاقتنا بعضنا مع بعض وسيلة أخرى لأن نضع حياتنا بعضنا لأجل بعض.

عندما مات والدي، كان هناك سبب لضرورة إجرائي ذلك الحديث معه. لديَّ أخٌ في المسيح كان مخلصًا ومتفانيًا لي، وبحكم عمله كان يملك طائرة خاصة يحلّق فيها عبر كلّ البلد ليتفقد مشروعاته، ومن دون أيّ قيدٍ أو شرط، قال لي: «عندما تسمع من والدك، أريدك أن تخبرني بغض النظر عن الوقت، سألاقيك على وجه السرعة في المطار وأقلك إلى ولاية كارولاينا الشمالية في غضون ساعة.» بعدما تلقيت ذلك الاتصال من المستشفى، كانت المكالمة الأولى التي أجريتها هي مع صديقي «غاري».

وفي غضون خمس وثلاثون دقيقة، كنت على متن طائرته متوجهًا إلى ولاية كارولاينا الشمالية. لم يهمه الوقت، لم تهمه الكلفة، كان مخلصًا ومتفانيًا في علاقته معي. وعندما وصلنا إلى هناك، لاحظت أن صديقي وابنه قد استأجرا سيارة. وعندما قادا إلى باب المستشفى تلك الليلة، قالا لي: «لا تقلق بشأن مبيتك هذه الليلة، لقد اهتممنا بكل الأمور.»

أُتيحت لي أعظم وأثمن الدقائق التي أمضيتها مع والدي لأن أخي في المسيح لم يحبني عندما ناسبه الأمر فقط، بل أحبني عندما احتجت إليه أشد الاحتياج، وبتكلفة شخصية باهظة أيضًا. هذا هو التفاني والإخلاص للآخر. هذه هي البيئة التي يزدهر ويتفجر فيها المجتمع الأصيل والحقيقي ويمتلئ بالحياة بينما تنتقل محبة اللّه فوق الطبيعية بين أولاد اللّه.

لكن التفاني والإخلاص مجرد نصف القصة، يقول النصف الثاني من الآية ١٠ إن علينا أن نقدّم بعضنا بعضًا بالكرامة، هذا شغف واشتياق إلى نجاح الآخر. وهو حرفيًا «تقديم أحدنا الآخر بالتكريم».

إنّه فكرة أن تجعل الآخر يبدو جيدًا، فتساعده على النجاح، بدلًا من أن تركز على نفسك فقط. هذا هو ما يبدو عليه التواضع الأصيل في الحياة الحقيقية. فبدلًا من المنافسة والتصارع على الأضواء والشهرة والسعي إلى أن تكون الأول في كلّ شيء، يقودك هذا المقطع إلى أن تفهم غاية اللّه من تنمية وتطوير الوحدة في علاقاتنا.

ستيف: صورة الوفاء والكرامة

كان أحد أهم الفصول في حياتي ما بين منتصف الثلاثينيات وأواخر الأربعينيات من عمري، فعلى مدة اثنتي عشرة سنة ونصف السنة،

وكان لدي امتياز وشرف أن أكون الراعي الرئيسي لكنيسة «سانتا كروز للكتاب المقدس» (Santa Cruz Bible Church) في كاليفورنيا.

كان وقتًا لنمو عظيم على الصعيدين الشخصي والروحي لي ولعائلتي، وفرح العمل مع فريق من الرعاة الذين كانوا من بين أصدقائي المقربين والمميزين. يدعى أحد هؤلاء الرعاة، وهو صديق قديم، «ستيف» التقيت به خلال سنواتي الأولى في تكساس، حين كان مدربًا لكرة القدم، وبسرعة أصبحنا أصدقاء. قاده الله في ما بعد إلى أن يذهب إلى كليّة اللاهوت وإلى التفرّغ للخدمة.

وستيف هو أحد أكثر الأشخاص تعددًا للمواهب قابلته في حياتي، يمكنه أن يُعلّم، ويقود التسبيح والعبادة، ويقود مجموعة صغيرة لدرس الكتاب، ويحل أكبر المشاكل، أو يعلّم كيف يستغل اللحظات والفرص المناسبة في المؤسسة. كان صديقي المقرب ويدي اليمنى في الكنيسة لعدة سنوات. كانت لديه القدرة على أخذ المفاهيم والأفكار وربط الأشخاص معًا بقوة الروح القدس لتحقيق هذه الأفكار.

عندما أتذكر سنين النمو والخدمة المثمرة في سانت كروز، أعتقد أن الفضل الأكبر يعود إلى مواهب ستيف المتعددة الرائعة وإخلاصه ويد الله على حياته. أشارك كل هذا لأن معظم الناس لا يعلمون الكثير عن ستيف، كون ستيف، مثل قلة من الأشخاص الذين قابلتهم في حياتي، كان مخلصًا ومتفانيًا، وكان يكرمني قبل نفسه خضع لي لأبعد الحدود. كانت هناك أوقات حدثت فيها أمور رائعة في حياتي، وأستطيع القول بصدق إنه كان أكثر انفعالًا وتأثرًا وحماساً منّي.

> من المدهش كم من البركات والنعم يمكن أن تسود وتنتشر عندما يتوق الأشخاص إلى نجاح الآخرين أكثر من نجاحهم الشخصي.

هل أنت من هذا النوع من الأشخاص؟ هل تُكرّم الآخرين وتعطي الأفضلية لهم؟ من المدهش كم من البركات والنعم يمكن أن تسود وتنتشر عندما يتوق الأشخاص، من القلب، إلى نجاح الآخرين أكثر من نجاحهم الشخصي.

هذا الأمر بدهي ومناقض لقيم هذا العالم، ولكنه منعشٌ ومنشطٌ حالما تختبره في علاقاتك. التفاني والإخلاص للآخر وإعطاؤه الأفضلية أمر يتعلّق بإظهار ذاتك الحقيقية لسدّ الاحتياجات الحقيقية.

الرب يسوع: الصورة الكاملة عن التفاني والإخلاص والإكرام

الصورة الأكثر عمقاً وغنىً لسدِّ الاحتياج النابعة من التواضع والتفاني في سبيل الآخر هي صورة الصليب. كان الرب يسوع مخلصًا ومتفانيًا لك ولي إلى درجة التضحية بنفسه في سبيلنا لسدِّ احتياجنا الأكبر – مغفرة خطايانا.

> الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا للهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ.[٩]

الصليب هو أعظم مثل عن التواضع والإخلاص والتفاني في الكون. وضع الرب يسوع احتياجك قبل احتياجه، وعدَّك أكثر قيمة من نفسه. إذاً كيف يبدو لك أن تحذو حذوه؟

إنّها خطوتك الخاصة– أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢

ما هي بعض الاحتياجات الحقيقية للناس في شبكة علاقاتك؟ أية مبادرة تحتاج إلى اتخاذها لتلبية الاحتياج الحقيقي في مجتمعك وكنيستك ومجموعتك الصغيرة وعائلتك؟ ما الذي تكلّم الله به إليك بخصوص الإخلاص والتفاني في التعامل مع شخصٍ ما أو إكرامه؟ تحدثنا في بداية هذا الفصل عن الثمن الباهظ، لكن لا يجب أن ننسى أن المكافأة والنتائج لا تُقدّر بثمن.

٩ فيليبي ٢: ٦–٨

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

ما الهدف الذي أصبته في هذا الفصل؟

تأمّل (Reflect)

من يأتي إلى ذهنك عندما تفكر بشخص قد أكرمك وكان مخلصًا ومتفانيًا لك؟ بماذا تشعر تجاهه؟

افهم (Understand)

أيّ شخصٍ أو موقفٍ يمكن أن تعده احتياجًا حقيقيًا؟ من يتألم؟ من بحاجة إلى المساعدة؟

سلّم (Surrender)

ربما لا تكون أنت من يلبي الاحتياجات التي ذكرتها. لكن أخبر الله أنك مستعدٌّ لبذل التضحيات لتلبية الاحتياجات إن كانت هذه مشيئته.

اتخذ إجراء (Take Action)

اخرج من منطقة راحتك والمنطقة الملائمة لك هذا الأسبوع. ساعد شخصاً ما بطريقة «تكلفك شيئًا ما حقًا في المقابل».

الدافع (Motivation)

حدد وقتًا للاستماع إلى الرسالة الصوتية والمرئية على الموقع:

www.levantmedia.com/TS

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

من سدَّ احتياجاً حقيقياً في حياتك في الماضي؟ سواء ساعدك من خلال إقراضك المال، أم إخبارك عن الحق، أم مساعدتك في شفاء علاقتك الزوجية، أم نقل أولادك بالسيارة للتمارين الرياضية أو أي أمرٍ آخر، دعه يعلم كم أنت شاكرٌ للمسيح وله.

الفصل التاسع عشر

ما الذي يمنعك من اختبار عَيش المجتمع الأصيل والحقيقي؟

كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْدًا بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَالْمَجْدُ الَّذِي مِنَ الإِلهِ الْوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ؟[١٠]

- يسوع الناصري

لماذا تريدونه بشدة، ومع هذا لا تختبرونه إلا قليلًا؟ لماذا أصبحت الكنيسة مناسبةً نحضرها، بدلًا من أن تكون بيئة ننتمي إليها؟ حالما ننخرط في الخدمة بشكل جدي، نبدأ بالشعور بالواجب المفروض علينا بدلًا من أن يكون لخدمة الآخرين الذين تحبُّهم؟ لماذا تبدأ معظم المجموعات بشكل جيد، ثم تتبدد وتتحول إلى مجموعة اجتماعية بدلًا من أن تكون روحية، وسطحية بدلًا من أن تكون مغيرة للحياة؟

بدأتُ بمعرفة الإجابة عن هذه التساؤلات عندما استلمت ملاحظة خطيّة مدونة على الجزء الخلفي من بطاقة خلال صيف ١٩٧٥. كنت أحضر برنامجًا تدريبيًا صيفيًا مع مؤسسة كنسية في كولومبس، أوهايو.

اجتمعنا جميعًا من جامعاتٍ مختلفة لاتخاذ الخطوة التالية باتجاه نمو روحيّ أكثر عمقًا ونضجًا. خلال الأسبوع الأول، وجدنا جميعاً عملًا وعشنا في منزل الأخوية القريب من حرم جامعة أوهايو الحكومية.

١٠ يوحنا ٥ : ٤٤

أقامت الفتيات في جهة من المنزل والفتيان في جهة أخرى. وكان لدينا اجتماعات لدراسة الكتاب المقدس كل ليلة، وكرازة كلّ أسبوع، وكان كلّ شخصٍ يُضَم إلى فريق من أربعة أشخاص مع قائدٍ للفريق. كان اسم قائد فريقي جون، وكان أقدم مني بسنين قليلة في مسيرته الروحية. ورغم أنني استغرقت وقتًا طويلًا قبل أن أنطلق في مسيرتي الروحية، غير أنني كنت متحمسًا لأنمو في كل جانب من جوانب حياتي المسيحية.

كنت أحفظ الآيات الكتابية بشكل جنوني، وألتقي اللّه كل صباح، وأصلي بشأن قائمة من حاجات الصلاة يوميًا، وأترقب الفرص لأشارك إيماني مع أيّ شخص يبدي استعدادًا للاستماع.

كان لدى المجموعة التي كنت مشاركًا فيها نهج هيكلي للحياة الروحية، وكلما ازدادت الأهداف والتحديات التي أستلمها منهم، كلما أثبتُّ أن شغفي للخدمة كان أصيلاً وفجأة أصبحت أتقدم على الآخرين قليلًا.

كنت أتمّم كلَّ ما كان يُطلب مني في ذلك الصيف، كنت أملك الأجوبة المناسبة عن الأسئلة التي تُوجَّه إليَّ، وشعرت في نهاية فصل الصيف أنني تميَّزتُ كقائد للجيل التالي في هذه المؤسسة المسيحية.

وفي نهاية الصيف، كانت لدينا الفرصة للقاءات فردية مع قائد الفريق، الذي أعطانا تقييمًا لنمونا الروحي والنواحي التي لا يزال علينا أن نعمل على تنميتها حين نعود إلى جامعاتنا.

كان جون هادئًا وصرح بأقل ما يقتضيه الواقع بمقاربته لموضوع القيادة. كنت بصراحة أتشوق إلى هذا اللقاء، بينما كنت آمل سرًا أن يكون قد لاحظ انضباطي وروح الخدمة اللذين أظهرتهما لأعضاء الفريق الآخرين وفي علاقتنا بعضنا مع بعض، والمعرفة والإيمان اللذين كانا ينموان بسرعة في حياتي. لقد عملت بجدٍّ على هذه الأمور وكنت مستعدًا لتلقّي التربيت على الظهر لإنجازاتي.

لم يسر اجتماعنا كما كنت أتوقّع، فرغم أنني كنت ممتلئًا بالشغف، وكان أدائي جيدًا خلال فترة الصيف، أدهشني تقييم جون لي. فقد كان تقييمه لنموّي الروحي مختلفاً تماماً عن تقييمي. فبكلمات قليلة أخبرني أنه يُقدّر أنه استطاع أن يتعرّف عليّ خلال هذا الصيف، وأنّ اللّه قد كشف له عن ثلاث آيات لينقلها لي. شجعني أن أتأمل بهذه الآيات وأتحضر للفصل الجامعي التالي بما أنني سأكون في فريق القيادة في الجامعة.

ناولني جون بطاقة كتبت عليها الآيات الثلاث بخط اليد:

> ١- أَفَأَسْتَعْطِفُ الآنَ النَّاسَ أَمِ اللهَ؟ أَمْ أَطْلُبُ أَنْ أُرْضِيَ النَّاسَ؟ فَلَوْ كُنْتُ بَعْدُ أُرْضِي النَّاسَ، لَمْ أَكُنْ عَبْدًا لِلْمَسِيحِ
>
> غلاطية ١: ١٠

٢- كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْدًا بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَالْمَجْدُ الَّذِي مِنَ الإِلهِ الْوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ؟

يوحنا ٥: ٤٤

٣- فَقَالَ لَهُمْ:«أَنْتُمُ الَّذِينَ تُبَرِّرُونَ أَنْفُسَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ! وَلكِنَّ اللهَ يَعْرِفُ قُلُوبَكُمْ. إِنَّ الْمُسْتَعْلِيَ عِنْدَ النَّاسِ هُوَ رِجْسٌ قُدَّامَ اللهِ.»

لوقا ١٦: ١٥

بعد أن أعطاني البطاقة، سألني أن أقرأ الآيات بصمت. وعندما انتهيت، صلّى أن يعمل الله عملًا رائعًا في حياتي في الفصل القادم. كان اللقاء قصيرًا ولم يحتج الأمر إلى عالم صواريخ لاكتشاف أن هناك رسالة خاصة لي من كلّ ذلك.

ففي الآية الأولى، يقول الرسول بولس إنّه لم يسع إلى إرضاء إنسان. وفي الآية الثانية، جوهر ما يقوله الرب يسوع هو أنّه من المستحيل أن تثق بالمسيح ثقة حقيقيّة إن كنت تسعى إلى إرضاء الآخرين. وعندما جالت عيناي على الآية الثالثة أحسست وكأن خنجرًا اخترق قلبي بينما كنت أقرأ أن المستعلي أمام الناس رجسٌ أمام الله.كما ترى، لاحظ جون بذكاء أن كل أدائي ونشاطاتي الروحية لم تكن موجَّهة إلى إرضاء الله أو بسبب محبة الآخرين، بل لكسب استحسان أقراني وقبولهم لي. كنت في طريقي إلى أن أقع في الرياء، مستخدمًا غطاء الدين للظهور بمظهر المؤمن الروحي والذكي والعارف والأمين.

بينما كنت أسير ببطء في الممرّ بعد انتهائي من اللقاء مع جون، وبعد إعادة قراءتي لهذه الآيات، شعرت وكأن أحدهم قد فاجأني بلكمةٍ على معدتي. ارتفعت مستويات الإنكار والكبرياء في داخلي مصحوبة بإحساسٍ عميق من خيبة الأمل والحزن.

وبينما وقفت بلا حراكٍ في الممرّ، أدركت أنني بالحقيقة لست كما أدّعي. فإذا نظرنا إلى الوراء، أستطيع الآن أن أرى أنّ علاقاتي في البرنامج التدريبي لم تكن عميقة أو أصيلة، بل بالأحرى كان هدفها فقط إبهار الآخرين والتلاعب بالمحادثات لتمجيد اسمي وصيتي بدلًا من فعل ذلك لمجد الله. أود لو أستطيع الادعاء أني قرأت هذه الآيات، وحفظتها، وحللت مشكلة إرضاء الآخرين في حياتي، لكنّني لا أستطيع. لقد تصارعت مع رغبتي في إرضاء الناس طوال حياتي.

ورغم أنني حققت تقدمًا ملموسًا في هذه النقطة بنعمة الله، فإنّه ما زالت هناك معركة عليّ خوضها يوميًا. ولكن ما أريدك أن تراه هو أن نقطة التحول حدثت في حياتي عندما امتلك شخصٌ ما الجرأة والفرصة المناسبة ليشير إلى «النقاط المظلمة» في حياتي.

في رومية ١٢: ١١–١٣، يكمل الرسول بولس إعطاء توجيهات اللّه من أجل عَيْش المجتمع الأصيل والحقيقي. يذكّرنا المخطّط الوارد تالياً بأن المجتمع الأصيل والحقيقي لا يتحقق إلا عند تلبية الاحتياجات الحقيقية. وسنتعلّم الآن بأن النفاق لا يحدث فقط في أعمالنا، بل بشكلٍ أكثر تكراراً في دوافعنا.

وفي الآية ١١، يعطينا الرسول بولس ثلاث نصائح لها علاقة محددة بالدوافع في سدّ للاحتياجات الحقيقية بعضنا لبعض.

يتحقق المجتمع الأصيل حين ...

- ذاتك الحقيقية (الآية ٩)
- تلبّي إحتياجات حقيقية (الآية ١٠)
- لغاية صحيحة (الآية ١١)
- بالطريقة الصحيحة (الآيتان ١٢–١٣)

ذاتك الحقيقية – الآية ٩

- **الأصالة –** «اَلْمَحَبَّةُ فَلْتَكُنْ بِلاَ رِيَاءٍ.»
- **النقاء –** «كُونُوا كَارِهِينَ الشَّرَّ، مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ.»

تلبّي إحتياجات حقيقية (الآية ١٠)

- **الإخلاص –** «وَادِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ.»
- **التواضع –** «مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكَرَامَةِ.»

لغاية صحيحة (الآية ١١)

- **الدافع –** «غَيْرَ مُتَكَاسِلِينَ فِي الاجْتِهَادِ، حَارِّينَ فِي الرُّوحِ، عَابِدِينَ الرَّبَّ.»
- **الأسلوب –** «الخدمة الأصيلة في ملكوت اللّه تتميز بـ:

  الاجتهاد – الإجادة.

  الحرارة – الشغف.

بالطريقة الصحيحة (الآيتان ١٢– ١٣)

- **التركيز على ما هو من فوق –** «فَرِحِينَ فِي الرَّجَاءِ، صَابِرِينَ فِي الضِّيْقِ، مُوَاظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ.»
- **التركيز على الأعمال الخارجية –** «مُشْتَرِكِينَ فِي احتياجاتِ الْقِدِّيسِينَ، عَاكِفِينَ (ساعين بجد) عَلَى إِضَافَةِ الْغُرَبَاء.»

بهذه النصائح الثلاث المختصرة يوضّح لنا الله أن خدمتنا وعلاقاتنا بعضنا ببعض يجب أن تتّصف بالدافع الصحيح والطريقة الصحيحة.

تكلفة المجتمع الأصيل

العبارة الأولى تحذيرٌ قاسٍ حقًا، فالمعنى الحرفي لعبارة «غَيْرَ مُتَكَاسِلِينَ فِي الاجْتِهَادِ» هو أن لا تكون متراخيًا أو متكاسلاً ولا تتأخر بعمل الشيء. لا يميل الناس إلى استخدام كلمة «التراخي»، ولكن الكتاب المقدس يتكلّم بعباراتٍ قويةٍ عن التكاسل والتراخي.

والتكاسل بحسب الكتاب المقدس خطيئة. يتحدث سفر الأمثال مرات عديدة عن العواقب الوخيمة للتكاسل (أمثال ٢٤: ٣٠-٣٤). لكن دعني أسألك هذا: متى كانت آخر مرة سمعت أحدهم يوبّخ شخصًا آخر بسبب كسله؟

متى كنت آخر مرة في مجموعة صغيرة لدراسة الكتاب المقدس أو تكلَّمَ مرشدٌ لك بهذا الكلام: «أتدري شيئًا، أستطيع أن أرى يد الله في حياتك، ولكن هناك مشكلة حقيقية في منطقةٍ ما من حياتك عليك أن تواجهها.

أنت كسولٌ للغاية»؟ يمكن أن يعد وصفك أحدهم بالكسل إهانة في الكثير من الثقافات.

وهو مكانٌ لا تريد أن تذهب إليه لأنه محرَّمٌ ثقافيًا، ولكن قد يكون السبب أيضًا لأنك لا تفهم ما الذي نهى عنه الكتاب المقدس عندما حذّر من الكسل. ليس الكسل أن تشاهد إعادة تقديم مسلسلٍ على جهاز التلفاز طوال اليوم وأنت جالس على الأريكة وتأكل الحلويات. فالكسل هو عدم تحقيق ما يجب إنجازه عندما يحين وقت إنجازه. هذا هو التعريف الكلاسيكي للكسل. وهو مختلف عن عدم الانشغال أو النشاط. فهو عدم قيامك بما يتوجب عليك عمله عندما يحين وقت عمله. وما يحاول الله أن يقوله هنا في رومية ١٢: ١١ هو الآتي: عندما يحثك الله على عملٍ ما في علاقاتك أو بالمؤمنين الآخرين، عليك أن تفعل ما يتوجب فعله عندما يحين أوان فعله.

> الكسل هو عدم تحقيق ما يجب إنجازه عندما يحين وقت إنجازه.

وقود المجتمع الأصيل والحقيقي

يرتبط الشغف أو الحماسة ارتباطًا وثيقًا بمسألة الكسل. ترسم عبارة: «حَارِّينَ فِي الرُّوحِ» لنا صورة إناء من الماء يصل إلى درجة الغليان، يجب أن تكون خدمتنا لله في علاقتنا بالآخرين نابعةً

من الشغف الموجود فينا في علاقتنا الحميمة بالرب يسوع، علينا أن نخدم المسيح بحماسة! علينا أن نخدم ونحب بعضنا بعضًا بحماسة وحميّة. وأكبر عدو للمجتمع الأصيل هو الروحانية الشخصية والتديّن.

توجد في كل مجموعة، وكلّ كنيسة، وكل مؤسَّسة مسيحية، محاولات وميول للانجرار إلى السير في الاتجاه السائد. وإن لم ننتبه جيدًا، سنبدأ بفعل ما هو صحيح ولكن من دون قلب أو مشاعر. وإن لم نكن حذرين، فإنَّ ما كان « مسرًا» سيصبح واجبًا وعبئًا. وما كان تعبيرًا أصيلًا عن شكرنا ومحبتنا للّه سيصبح شيئًا نضعه على قائمة ما يجب فعله. ستصبح عشورنا وتقدماتنا مجرد فاتورة أخرى علينا دفعها. ستتغير تحضيراتنا لتعليم كلمة اللّه، فبدلًا من أن يكون هناك فرح وبهجة في إعلان كلّ كلمة من كلام اللّه، تتّجه إلى إلقاء نظرة عابرة على بضعة تفاسير تطبيقية أو على مجلّة الكنيسة أو دليل نظامها ليلة السبت لوضع دروس مملة لصفك أو لمجموعتك الصغيرة صباح يوم الأحد. ولكن لماذا؟ كيف يحدث هذا الأمر، وكيف نستعيد مجددًا الإجادة والعاطفة إلى الطريقة التي نخدم بها وفي مجالات اهتمامنا بالآخرين؟

أعتقد أن الإجابة متضمنة في العبارة الأخيرة من رومية ١٢: ١١:«عَابِدِينَ الرَّبَّ.» هل تدرك سهولة أن يُصبح فعل الأمور في علاقاتنا باسم الرب، بينما ببساطة يكون خدمةً لأنفسنا؟ فتبدأ، شأنك شأني في برنامج الصيف، «خدمة الآخرين وفعل الصواب» لأنك ستتلقى تربيتات تقدير على ظهرك من أجلها. وستحصل على الاستحسان عليها، وستربح إعجاب الأشخاص في دائرة علاقاتك. ولهذا، غالبًا ما لا يتحقق المجتمع الأصيل الحقيقي لأن دوافع الناس ليست مركزة على خدمة اللّه، بل على استخدام المجتمع المسيحي كوسيلة لشفاء الجروح الشخصية من الماضي والحصول على التأكيد والتشجيع.

ففي بعض المجموعات، يكون الدافع الخاطئ واضحاً وصارخًا ومنحرفًا عن مسار خدمة اللّه ومتجهًا نحو الربح المادي. بدأت هذه النظرية اللاهوتية تنتشر منذ بعض الوقت، وهي تعلّم أنك إن أعطيت المزيد من وقتك ومالك للّه، سيضطر اللّه إلى أن يؤمن لك ازدهارًا ماديًا مقابل «استثمارك الروحي». وهذا ببساطة فكر خاطئ. فبدلًا من خدمة اللّه، أصبحت خدمة العبادة «المعادلة الرابحة» للحصول على شيءٍ من اللّه.

نتصارع جميعًا مع دوافعنا إلى درجة أننا نعتقد أن الأمر سيبقى كذلك دومًا، ولكن حساسيتنا تجاه «لماذا» و«ماذا» نفعل ما نفعله في خدمة الآخرين في جسد المسيح أمر جوهري في أهميته.

كيف نفحص دوافعنا

عندما تخدم اللّه للسبب الصحيح، ستفعل هذا الأمر بإجادةٍ وشغف. وعندما تصبح أكثر وعياً إلى أن استخدام مواهبك لبناء جسد المسيح هو من أجل ذاك الذي مات من أجلك، وغفر كلّ خطاياك، وأعطاك الحياة، وأعد لك مكانًا في السماء، سيغير كلّ هذا طريقة خدمتك. ستتغير نوعية وعُمق ومدى صدق خدمتك للآخرين.

أعتقد أنّ اللّه بكل صلاحه يسمح لنا بأن نحصل على لمحة من دوافعنا هنا وهناك، فقط لمساعدتنا على إبقاء الأمور في المنظور الصحيح. أثق بأن بعضًا ممن قرأ الصفحات الأخيرة القليلة يتساءل في نفسه:

«كيف أعلم إن كانت دوافعي نقية أم لا؟» ويكمن الاختبار لمعرفة إن كنت تخدم اللّه أم تخدم ذاتك للحصول على استحسان الآخرين في ردة فعلك عندما تتلقى معاملة الخادم. كيف تستجيب عندما لا تحصل على كلمة «شكرًا»؟ كيف تستجيب عندما لا يلاحظ أحدٌ ماذا تفعل ويعدّ ما تقوم به أمرًا مفروغًا منه؟ كيف تستجيب عندما يتم تجاهل تضحياتك وكرمك بالكامل؟ كان أكبر امتحانٍ مررت به في حياتي هو سيري الميل الآخر إلى محبة شخصٍ آخر وخدمته، وليتمَّ بعدَ ذلك تجاهلي بالكامل. طبيعة ردة فعلي في هذه الحالات تجعلني أعيد تقييم الأسباب التي لأجلها أعمل ما أعمله في كلّ ما أفعله. أذكر مرةً حين مرت الكنيسة بظروفٍ طارئة واحتجنا لمتكلمٍ في اللحظة الأخيرة، كانت الكنيسة كبيرة العدد مع احتشاد المئات من الرجال في خلوة روحية للرجال من دون متكلم. حدث أمرٌ ما، فقد حصل أمرٌ طارئ للمتكلّم وكان عليه أن يعتذر عن المجيء، وسُئلت إن كان ممكناً أن أساعد في الأمر.

يكمن الاختبار لمعرفة إن كنت تخدم الله أم تخدم ذاتك للحصول على استحسان الآخرين في ردة فعلك عندما تتلقى معاملة الخادم.

صليت بشأن الأمر وحصلت على الضوء الأخضر من اللّه لأعلّم، وكان شعورًا نقيًا وواضحًا عن الرسالة التي أراد اللّه إيصالها إلى هؤلاء الرجال. ولهذا، إضافةً إلى خدمات نهاية الأسبوع الأربع التي أقوم بها في كنيستي المحلية، سافرتُ إلى خارج البلدة لخدمة أولئك الرجال.

حالما وصلت إلى المكان، أُبلغت أن هناك أمرًا هامًا يتعلق بالقيادة بين الخدام وطُلب مني أن أمضي بعض الساعات الإضافية في المشورة مع القادة ولاحقاً مع واحدٍ من فريق الخدمة. ومرة أخرى، أحسست بأن اللّه يريدني أن أساعد ولهذا وافقت. وبحلول صباح يوم الأحد، كنت منهكًا بالكامل، تكلمت أربع مرات بين ليلة الجمعة وليلة السبت، وشاركت في اجتماعات طوال النهار.وفي نهاية الخلوة الروحية، بينما توجهت في طريقي إلى المنزل لأحضِّر لخدمة نهاية الأسبوع، اتجه صوبي أحد قادة الكنيسة، وسلمني مغلفًا قائلًا: «شكرًا جزيلًا لك أخي. لقد استخدمك اللّه في نواحٍ متعددة ومدهشة بيننا. هذا أمرٌ بسيط في مقابل خدماتك ووقتك معنا. كم نتمنى لو كان بإمكاننا أن نعطيك المزيد.»

طأطأت رأسي في تقديرٍ، وصعدت في سيارتي، وقدت إلى منزلي. كنت منهكًا بالكامل، وما إن نزلت من السيارة ألقي نظرة خاطفة على رسائلي في البريد حتى وقع المغلف من كتابي المقدس. فتحت هذا المغلف، وكان فيه شيك، أدهشتني قيمة هذا الشيك، ليس بسبب كمية المال المعطى وكرم المشاركين، بل بسبب كونها أصغر تقدمة حصلت عليها في حياتي.هذه كنيسة كبيرة العدد مع مئات من الرجال لحضور الخلوة الروحية. ورغم أنني لم أكن أتوقع شيئًا في المقابل، ولم أطالب بشيءٍ، ولكن كان هذا أدنى مستوى على الإطلاق. وفي واقع الأمر، لم أستطع منع نفسي من التفكير بالساعات الكثيرة التي أمضيتها في اليوم والنصف السابقين، وقسمت هذا المبلغ على عدد الساعات التي قضيتها معهم، فأدركت أنني بالكاد حصلت على الحد الأدنى للأجور.

بدأ شعور الاستياء يكبر في قلبي وأنا أهز رأسي بغير تصديق،ثم بدأت أفكر باليوم الكبير الذي ينتظرني في اليوم التالي، وبالسبب الذي جعلني أمضي الساعات الست والثلاثين الماضية مع هذه المجموعة. كم هم جاحدون! بينما أعدت هذا الشيك بين صفحات كتابي المقدس، ذكرني روح اللّه تلقائيًا بغلاطية ١:١٠ وبيوحنا ٥: ٤٤

«أَفَأَسْتَعْطِفُ الآنَ النَّاسَ أَمِ اللهَ؟ أَمْ أَطْلُبُ أَنْ أُرْضِيَ النَّاسَ؟ فَلَوْ كُنْتُ بَعْدُ أُرْضِي النَّاسَ، لَمْ أَكُنْ عَبْدًا لِلْمَسِيحِ.»

ويوحنا ٥: ٤٤

«كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْدًا بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَالْمَجْدُ الَّذِي مِنَ الإِلهِ الْوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ؟»

إن كنت ما أزال أسعى إلى إرضاء الأشخاص، فلن أكون خادمًا وفيًا للرب يسوع المسيح. سمعت روح اللّه يقول لي: «لماذا ذهبت وعلمت كلامي المقدس لهؤلاء الأشخاص؟ هل فعلت هذا لتخدمني أم لترضي ذاتك؟» في تلك اللحظة أدركت أن ما استفزني لم يكن يتعلق بقيمة الشيك، بل لأنّه لم يتم تقديري جيدًا، بل عاملوني معاملة الخادم. سألت المغفرة من اللّه لسلوكي وشكرته على الامتياز الذي حصلت عليه بأن أُعلّم كلمته وأقدّم المشورة لإخوتي في المسيح.إن أردت أن تفحص دوافعك، تحقق من ردة فعلك عندما يعاملونك كخادم. إنه امتحانٌ ممتاز. نمّيتُ عادة على مدى سنوات ألا أنظر إلى شيك التقدمة إلى أن أنتهي من الكلام والمشاركة كي لا أتأثر بما فعله الآخرون أم لم يفعلوه لي.

يتحقق المجتمع الأصيل والحقيقي عندما تتلاقى ذاتك الحقيقية مع الاحتياجات الحقيقية للأسباب الصحيحة. ليست محبتك للآخرين وجود مشاعر جياشة لديك تجاههم أو فعل ما يناسبك.

ليست محبة الآخرين عملاً تتمّمه بهدف الحصول على مديح أو تأييد الآخرين واحترامهم لتصبح موضع تبجيل من قبل الأشخاص. تعني محبتنا للآخرين للأسباب الصحيحة أن نسدّ احتياج الآخرين عندما لا يكونون على استحقاق وعلى حساب منفعتك الخاصة.هذه هي الطريقة التي أحبنا بها المسيح، وهذا هو نوع المحبة الذي يخلق مجتمعاً فوق طبيعيّ مملوء بالفرح والسرور، ويملك قوّة الروح القدس الذي ينعش قلوبنا ويُشبع أرواحنا.

إنّها خطوتك الخاصة- أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢

بينما تفكّر بعلاقتك بالمؤمنين الآخرين، اسأل نفسك أين تكلم إليك اللّه عن دوافعك؟ عن أسلوبك؟ هل تفعل ما تحتاج إلى فعله عندما تحتاج إلى فعله كنوع من الخدمة للرب يسوع المسيح؟ هل هذه الخدمة تنبع من حماستك الشخصية وعلاقتك الروحية باللّه، أم هل تجد نفسك عالقًا في ركود النشاطات الروحية فتشعر كأنك تؤدّي واجبًا فقط؟

أريدك أن تعلم أن الأمر لا يجب أن يبقى على هذه الحال، وأنّ اللّه يتوق إلى أن تعطي وتقبل وتعيش المجتمع الأصيل والحقيقي. وسنتكلم في الفصل القادم عن الطرق المحددة لكسر الأنماط والدوائر التي تمنعك من اختبار محبة اللّه للآخرين وتلقّيها.

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

ما هي القصة المذكورة في هذا الفصل التي رأيت نفسك فيها أكثر من غيرها؟ لماذا؟

تأمّل (Reflect)

كيف تصف خدمتك الحالية للّه؟ لماذا؟

- مشتعلة
- خافتة
- تفتقر إلى الشغف

افهم (Understand)

ما هي الطرق العملية التي تساعدك في أن تبقي خدمتك للّه متصفة بالإجادة والشغف؟ ماذا تفعل إذا لاحظت أن دوافعك خاطئة وغير سليمة؟

سلّم (Surrender)

اسأل اللّه أن يساعدك لترى دوافعك من منظاره هو. تذكّر بروية أنّ ما تعمله يتعلّق باللّه المحب، وليس تحقيق توقعات الآخرين. اعترف أو ابتهج حسب ما يقتضيه الوضع.

اتخذ إجراء (Take Action)

سر ببطء وحاول تقييم مشاركة خدمتك الحالية:

- كثيرة جدّاً
- قليلة جدّاً
- غير موجودة على الإطلاق

الدافع (Motivation)

أعد الفرح وروح المغامرة إلى خدمتك. فكر بعمل ثلاثة أعمال لطف ومحبة هذا الأسبوع. ادع الشخص التالي على فنجان قهوة، أو اشتر وجبة طعام لمحتاج، وأتمم العمل بسرية.

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

إن طبّقت هذه الآية:«وَادِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ، مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكَرَامَةِ» (رومية ١٢: ١٠)، ستشجع أشخاصًا كثيرين.

الفصل العشرون

ما هي نقطة تركيزك؟

وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هؤُلاَءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلاَمِهِمْ، لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي.[١١]

- يسوع الناصري

كان الشاب الجالس على الأريكة قويًا ووسيمًا. كان مصارعًا وطنياً في الثانوية العامة وقد تسلم مهمة مدرب رئيسي رغم صغر سنه. لكن هذا البطل لم يكف في تلك الليلة عن البكاء بغزارة أمام تسعة من إخوته وأخواته في المسيح. توفي والده منذ أسابيع قليلة، وقد كسر قلبه وأحزنه الجدال القائم بين أفراد العائلة. وبينما كان يبكي، صرخنا إلى اللّه طالبين المساعدة له. لم يكن هناك من إحراج، بل كان هناك قبول. عندما استعاد رباطة جأشه، بادرنا بكلام رسخ علاقتنا كفريق: «أشكركم يا إخوتي لوجودكم إلى جانبي، كنتُ بحاجةٍ شديدة إلى الوجود هنا بينكم».

بينما كنا نستعد للمغادرة تلك الليلة، لاحظت أن العناق كان مطولًا أكثر من العادة. أصبح الترابط أقوى قليلًا وبدا كأن حضور اللّه تريث بالمغادرة بعد أن غادر الجميع.

فالمحبة هي أن تلبي الاحتياج الأكبر للشخص الآخر عندما يكون أقل استحقاقًا لها، وبتكلفة عالية. وفي تلك الليلة بالذات، اختبر شاب محبة الرب يسوع من خلال حياة أتباعه.

تنمو المحبة في« مجتمع». إنها احتياج عارم في ثقافتنا. وما نحتاج إليه أكثر من أيّ شيءٍ آخر هو التواصل بعضنا مع بعض بالمحبة:

١١ يوحنا ١٧ : ٢٠-٢١

ليس مجرد تواصل اجتماعي أو أن نكون لطفاء بعضنا مع بعض، بل بالمحبة. فالمحبة لا تفشل أبدًا، المحبة لا تستسلم، المحبة تساعد الآخرين في الأوقات الصعبة، فالمحبة أرسلت الرب يسوع إلى الأرض وأوصلته إلى الصليب. تطرد المحبة الخوف، وتشفي الجراح، وتُصلِح العلاقات المحطمة. غير أن المحبة صعبة، وفي الواقع هناك أوقات أعلم كيف تكون المحبة، لكنّني لا أريد إعطاءها. ماذا تفعل لو أدركت ماذا يعني أن تحب أحدهم مع أنّ كلّ ما في داخلك يصرخ: «لا أستطيع! ليس لدي ما أقدمه؟» ليست كلمة اللّه صحيحة فحسب، بل أيضًا عملية بشكل مدهش. يتفهم اللّه صراعاتنا وصعوباتنا في أن نعيش القداسة. يتفهم اللّه أن المجتمع الأصيل لا يتحقق إلا عندما تلبي ذاتي الحقيقية احتياجات حقيقية لغاية صحيحة. وغالبًا ما تكون تلبية احتياجات الآخرين بالطريقة الصحيحة صعبة، ولهذا يعطينا اللّه الأمل بإرشادنا كيف نجد القوة والعزيمة عندما نفتقر إليهما.

> المحبة هي أن تلبي الاحتياج الأكبر للشخص الآخر عندما يكون أقل استحقاقًا لها وبتكلفة عالية.

والرجاء موجود في هذا الجزء الأخير عن كيفية اختبار الحياة المجتمع الأصيل، لاحظ كيف يبني كل جزء من هذا المقطع الأجزاء الأخرى.

يتحقق المجتمع الأصيل عندما ...

- ذاتك الحقيقية (الآية ٩)
- تلبّي إحتياجات حقيقية (الآية ١٠)
- لغاية صّحيحة (الآية ١١)
- بالطريقة الصحيحة (الآيتان ١٢–١٣)

ذاتك الحقيقية – الآية ٩

- **الأصالة –** «اَلْمَحَبَّةُ فَلْتَكُنْ بِلاَ رِيَاءٍ.»
- **النقاء –** «كُونُوا كَارِهِينَ الشَّرَّ، مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ.»

تلبّي إحتياجات حقيقية (الآية ١٠)

- **الإخلاص –** «وَادِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ.»
- **التواضع –** «مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكَرَامَةِ.»

لغاية صحيحة (الآية ١١)

- **الدافع –** «غَيْرَ مُتَكَاسِلِينَ فِي الاجْتِهَادِ، حَارِّينَ فِي الرُّوحِ، عَابِدِينَ الرَّبَّ.»

• **الأسلوب –** الخدمة الأصيلة في ملكوت اللّه تتميز بـ:

- **الاجتهاد –** الإجادة.

- **الحرارة –** الشغف.

بالطريقة الصحيحة (الآيتان ١٢– ١٣)

• **التركيز على ما هو من فوق –** «فَرِحِينَ فِي الرَّجَاءِ، صَابِرِينَ فِي الضِّيْقِ، مُواظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ.»

• **التركيز على الأعمال الخارجية –** «مُشْتَرِكِينَ فِي احتياجاتِ الْقِدِّيسِينَ، عَاكِفِينَ (ساعين بجد) عَلَى إِضَافَةِ الْغُرَبَاء.»

قال أحدهم يومًا: «توقعاتك تحدد نتائجك.» وأنا أعتقد أن هذا صحيح، فعندما أشعر بالتعب والانسحاق وعدم التقدير، يتحول تركيزي إلى الداخل، وأبدأ بالتفكير بما لا أملكه وبالأشخاص الذين لم يقفوا إلى جانبي. أبدأ بالتركيز على الصلاة التي لم تُستجب والعلاقات المضطربة والمُزعجة.

يتشتت تفكيري من دون وعي ويركز على ما لا يعجبني في ظروفي، متمنيًا لو كانت أفضل، فأفقد منظوري إلى الأمور. يطلق تركيزي الداخلي غالبًا شفقة صغيرة على الذات – حيث أئن وأشكو وأتذمر أمام اللّه وبعض أصدقائي المقربين: «لا يوجد عدل في الحياة، والمستقبل يفوق تحملي.» أنا متأكد من أن الجميع يمرون بأوقات كهذه – وأنا مقتنع بأن اللحظات الموجزة من التركيز الداخلي جزءٌ من كوننا بشرًا وجزءٌ من النمو في علاقتنا بالمسيح.

غير أنّ التركيز الداخلي لفترة طويلة من الوقت قد يُنتِج إحباطاً بل وكآبة، سيقود التركيز الداخلي تدرُّجيًا إلى أفكار لاهوتية خاطئة وإلى سلسلةٍ من التوقعات غير المنطقية التي تجعل منّا أشخاصًا فقدوا رجاءهم باللّه، وبأنفسهم، وبالآخرين.

وفي هذا الفصل، يذكِّرنا اللّه بأن المجتمع الأصيل والحقيقي يتطلب أكثر من مجرّد الأصالة والنقاء. إنه يتطلب أكثر من التفاني والتكريس والتواضع. كما يتطلب أكثر من الجهد والحماسة بينما نسعى إلى خدمة اللّه في علاقاتنا بالآخرين. يتطلب المجتمع الأصيل تركيزًا نحو الأعلى وتركيزًا نحو الخارج. يتطلب تركيزًا نحو الأعلى كونه يحصل دومًا في وسط الاعتراضات والمقاومات. إذ يعمل كلّ من العالم، الجسد، والعدو في تناغم على تدمير العلاقات العميقة، والأصيلة، والمُحبة بين أولاد اللّه.

> يتطلب المجتمع الأصيل تركيزاً نحو الأعلى وتركيزاً نحو الخارج

فكّر بالأمر، إن أقوى سلاح في «علم الدفاعيات عن المسيحية» في العالم هو محبة المسيحيين الحقيقيين بعضهم لبعض، وسلوكهم كمؤمنين بالمسيح. حين يحصل هذا، ألا يكون الأمر إذًا منطقيًا أن العدو ونظام العالم يستهدفان تدمير المجتمع الأصيل بشكلٍ خاصٍّ ومحدَّد؟ وإن كان الأمر كذلك فمن الطبيعي أن يؤمّن لنا اللّه تعليماتٍ واضحة عن كيفية التغلب على التركيز نحو الداخل والتركيز نحو الأسفل.

عندما أستعمل عبارة «بالطريقة الصحيحة»، فإني أعني بها على نقيض محاولة بناء المجتمع الأصيل بالطريقة الخاطئة. إذ تنبع الطريقة الصحيحة من سلطة المسيح الفائقة. والطريقة الخاطئة هي محاولة بناء المجتمع الأصيل بالمجهود الشخصي وقوة الجسد.

آمل أن تكون قد أدركت أن الكثير مما تكلمنا بشأنه عن المجتمع الأصيل أمر لا يصعب عليك القيام به فحسب، بل إنه مستحيل. ليست لديك القوة لمحبة الآخرين، ولتلبية أكثر احتياجات الآخرين عندما لا يستحقون وعلى تكلفتك الشخصية. لذا يعطينا الرسول بولس في الآية ١٢ ثلاث جملٍ موجزة لتعليمنا كيف نستقي من قوّة الروح القدس الفائقة لنحافظ على التركيز على ما فوق.

تنمية التركيز على ما هو فوق

تشير العبارة الأولى،«فَرِحِينَ فِي الرَّجَاءِ»، إلى الموقف الذهني والعقلي. والعبارة الثانية «صَابِرِينَ فِي الضِّيْقِ» هي فعل، والعبارة الثالثة « مُوَاظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ » هي مصدر. ما معنى أن نفرح في الرجاء؟ لفهم هذه الكلمة، علينا أن ننتبه إلى مدلول كلمة «الرَّجَاءِ» النموذجي في نصّ الكتاب المقدس.

تدل كلمة «رجاء» في العربية على التمني في التفكير، مثلًا: «أرجو أن لا تمطر غدًا»، أو «أرجو أن ترتفع أسهم البورصة»، أو «أرجو أن تتحسن أمور العمل». هذه رغبات وأمنيات، لكن كلمة «رجاء» كما استخدمت في الكتاب المقدس لا تشير إلى رغبة أو تمنٍّ، بل إلى موضوع يدل على الثقة، لأننا نعلم يقينًا حدوث الأمر. يتكلم الكتاب المقدس عن رجوع المسيح واصفًا إياه بـ«الرجاء المقدس».

إنه يقين الثقة بعودته التي ألمح إليها الرسول بولس ست مرات أو سبعة في رسالة تسالونيكي الأولى لتشجيع المؤمنين على الاستمرار في الإيمان، ومحبة بعضهم لبعض، وللمثابرة رغم المعاناة والاختلاف.

نميل في ثقافتنا إلى أن نفرح أو إلى أن نجد سعادتنا في تحقيق الظروف المواتية. وفي واقع الأمر، تتعلق كلمة «سعادة» بالأمور أو الأشياء التي تحدث، ولهذا نشعر بالسعادة إذا حصلت معنا أمور جيدة، ونشعر بالتعاسة عندما تتغير الظروف.

وعلى النقيض من ذلك، لا يتأثر الفرح بالظروف بل تمتدّ جذوره في تربة الرجاء، قد تكون الأمور صعبة والظروف قاسية، لكن رجاءنا لا يتزعزع. نحن أولاد الله المغفورة لهم كلّ خطاياهم والمختومون بروح الله القدوس في عائلة الله مع مكان محفوظٍ لنا في السماء للأبد. هذا هو رجاؤنا! يقول الرسول بولس إن تنمية التركيز على ما هو فوق هي العقلية التي نحيا بها في ضوء الأبدية.

فأمام الظلم، والأمراض، والخسائر المالية، وعدم الاستقرار في الشؤون العالمية والاقتصادية، نملك الرجاء. ويقودنا هذا الرجاء إلى عمل واضح ومحدد. وفي رومية ١٢: ١٢، يحضنا الرسول على أن نكون «صَابِرِينَ فِي الضِّيْقِ». وقد استخدمت كلمة «الصبر» مرات عدة في العهد الجديد في الكتاب المقدس. تتألف هذه الكلمة من كلمة مركبة Hupo meno . معنى Hupo هو «تحت»، بينما معنى meno هو أن يوجد ويكون.

وهكذا فإن هذه الكلمة المركبة تعني «أن يكون تحت الضغط أو الصعوبات أو التنوّع والاختلاف.» إنها صورة كلامية تصف ثقل العالم الذي تحمله على ظهرك.

يأمرنا الكتاب بأن نصمد أمام الضغوطات والصعوبات في وسط الضيق أو الضّعوبات. ويعدنا الله بأنه سيحوّل الصعوبات إلى صالحنا. ويعبّر يعقوب عن هذه الحقيقة بما يلي:

> اِحْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ، عَالِمِينَ أَنَّ امْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْرًا. وَأَمَّا الصَّبْرُ فَلْيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌّ، لِكَيْ تَكُونُوا تَامِّينَ وَكَامِلِينَ غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ.[١٢]

بينما تبني علاقاتك في جسد المسيح، تأتيك الأمور الصعبة والمعقدة. نميل بطبيعتنا إلى أن نركز على ما هو داخلنا ونلوم الله أو نلوم الآخرين.

لكن الكتاب المقدس يقول: «لا تستسلم ولا تنجرف ولا تهرب». فالله يحفظك خلال كل الضيقات التي ينمو من خلالها معدننا الأخلاقي، والتي تكشف زيف أعمق علاقاتك.

عندما أتذكر أصدقائي الحميمين، أدرك أنهم لم يكونوا الأشخاص الذين لهوتُ معهم أكثر من غيرهم، بل هم الأشخاص الذين وقفوا بجانبي في أحلك وأصعب مراحل حياتي. فكّر بأقرب شخص إليك في حياتك. أعتقد أن هؤلاء الأشخاص هم من وقفوا إلى جانبك خلال إحساسك بالألم من جراء زواج فاشل، أو مشاكل أولادك، أو مرض عضال، أو إفلاس، أو اتهامات باطلة.

ففي مثل هذه الأوقات نتجرد من الجدار الحامي ونفتح قلوبنا ونعرّي أرواحنا مع قلة قليلة من الأشخاص الذين يبدون استعدادهم على السير في أعمق أودية الحياة معنا.

١٢ يعقوب ١: ٢-٤

ليس المجتمع الأصيل لضعفاء القلب! علينا أن ننزع أقنعتنا، ونسلك بطهارة، وندخل بعضنا حياة بعض بتفانٍ وإخلاص. وتضمحل كلّ الرغبات السطحية للتأثير في الآخرين بعيدًا بينما تذرف الدموع مع أحدهم في غرفة العناية الفائقة، أو وأنت متمسك بالرجاء بأن ينجو شريك حياتك أو ابنك من عملية جراحية صعبة. والمجتمع الأصيل هو أكثر من مجرد مجموعة أشخاص يلتقون معًا في غرفة المعيشة ويتناقشون بشأن مقاطع في الكتاب المقدس.

المجتمع الأصيل هو مواجهة تجارب الحياة الأكثر إيلامًا معًا بينما تتمسك برجائك بالمسيح وبوعوده. لكن كيف يحدث هذا الأمر؟ كيف تحصل على القوة والقدرة لمواجهة المستحيل والاهتمام بالآخر بينما تكون أنت نفسك عديم القوة؟ يكمن الجواب في هذه الكلمات: « مُواظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ».

هذا الجزء من الآية قوي للغاية، فبينما نواظب على الصلاة بعضنا من أجل بعض، يتطلب التركيز على ما هو فوق البحثَ عن مصادر وقوى خارقة لمساعدة الآخر.« مُواظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ» صورة لأشخاص يتقدمون أمام عرش الله بانتظام ليسألوه أن يعمل في حياة الآخرين كما لا يمكن لقوة بشرية أن تعمل وتحقق. ربما التقيت في حياتي بأشخاص بعدد أصابع اليد الواحدة فقط ممن أستطيع أن أصفهم بـ«مُواظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ». وزوجتي واحدة منهم. راقبتها تمضي الساعات الطوال وهي تصلي بالدموع أمام وجه الرب من أجلي، ومن أجل الأولاد، ومن أجل الأشخاص الذين يضعهم الله في حياتنا.

تعلّمت منها ومن آخرين مثلها أن الترابط من القلب مع الآخرين يحدث بسرعة وبأصالة وأنت راكعٌ على ركبتيك أكثر مما يحدث في ساعات النقاش الطويلة عن شؤون اليوم.

إذا أردت أن تنقل مجموعتك أو عائلتك أو كنيستك إلى المستوى الثاني، فاسمح لي بأنْ أشجعك على أن تسأل الله أن يريك كيف تكون متفانيًا بالصلاة مع الآخر، وبتمضية الوقت مع الآخرين. إذا أردت أن تطوّر وتنمّي تجربتك بالصلاة، أنصحك أن تقرأ كتاب «قوة الصلاة» (The Power of Prayer) بقلم أ. توري (A.Torrey) أو أن تستمع إلى سلسلة صوتية قدّمتُها تحمل الاسم نفسه.

درسنا في الفصول السابقة عن وصفة الله للمجتمع الأصيل الحقيقي، تعلّمنا أن جمال الترابط في العلاقات يتطلب منا أن:

١- ننزع الأقنعة ونكون أنقياء.

٢- نكون متفانين ومخلصين بعضنا لبعض ونكرم بعضنا بعضًا أكثر من أنفسنا.

٣- نخدم الله بحماسة وإجادة.

٤- نحمل بعضنا أثقال بعض وسط الضيقات.

عندما يبدأ أبناء اللّه بالترابط بعضهم ببعض بهذه الطريقة، سيحدث أمرٌ مثيرٌ للغاية – سيزدهر وينمو مستوى المحبة في العلاقات، وينفتح الأشخاص أكثر على الآخرين وتزداد حساسيتهم لاحتياجات الآخر. يتعلّم الأشخاص كيف يتفقون على أن يختلفوا بشأن الأمور البسيطة، ويبدؤون بمحبة بعضهم بعضًا بسبب الأمور الكبيرة والمهمة. وفي هذا الإطار الوافر بالذات، نتذكر احتياجنا للتركيز على الأعمال الخارجية.

التركيز على الأعمال الخارجية

يكمن خطرٌ حقيقي في أن نحب بعضنا لبعض بالكلمات والمشاعر بدلًا من الأعمال والحق. من السهل أن نقع في فخّ التفكير في أننا نحب بعضنا بعضًا لأننا نؤمّن الدعم العاطفي، ونصلي بعضنا لأجل بعض، ونظهر الاهتمام الكلامي.

ينقل الأمر الإلهي « مُشْتَرِكِينَ فِي احتياجاتِ الْقِدِّيسِينَ» المجتمع الأصيل الحقيقي إلى ما هو أبعد من عالم مناقشات المجموعات الصغيرة ليأخذها إلى حيث الامتحان الحقيقي.

يتطلب المجتمع الأصيل والحقيقي منك أن تدفع من جيبك الخاص، يجب أن يكون عطاؤك ماديًا، بتضحية وبشكلٍ منظّم لأولئك الذين هم في حاجة في جسد المسيح. لا أتكلم هنا عن العشور، أو العطايا التي تقدمها للكنيسة في هذا السياق، بل أتكلم عن تلبية احتياجات الإخوة والأخوات في شبكة علاقاتك. ورغم تقديري الكبير لنظام حسم الضرائب الحكومية المختص بالعطاء الخيري، فقد فقدنا رؤية ضرورة تعاطفنا بعضنا مع بعض وسدّ الاحتياجات العملية بعضنا لبعض عندما لا يكون الحسم جزءًا من الأمر. نحن جسد واحد، وليست أموالنا لنا، وليست بيوتنا لنا؛ وليست سياراتنا لنا؛ وليست مقتنياتنا لنا – فكلها للرب.

كل ما نمتلكه دَين ونحن ببساطة وكلاء على ما نملك، يستطيع الآب أن يربت على كتفك في أيّ وقت ويعيد توزيع أمواله وتقسيمها لسدّ احتياجات الآخرين. حثّ الرسول يعقوب الكنيسة الأولى على ألا نحب بالكلام واللسان فقط، بل أيضًا بالأعمال والحق:

> مَا الْمَنْفَعَةُ يَا إِخْوَتِي إِنْ قَالَ أَحَدٌ إِنَّ لَهُ إِيمَانًا وَلكِنْ لَيْسَ لَهُ أَعْمَالٌ، هَلْ يَقْدِرُ الإِيمَانُ أَنْ يُخَلِّصَهُ؟ إِنْ كَانَ أَخٌ وَأُخْتٌ عُرْيَانَيْنِ وَمُعْتَازَيْنِ لِلْقُوتِ الْيَوْمِيِّ، فَقَالَ لَهُمَا أَحَدُكُمُ: «امْضِيَا بِسَلاَمٍ، اسْتَدْفِئَا وَاشْبَعَا» وَلكِنْ لَمْ تُعْطُوهُمَا حَاجَاتِ الْجَسَدِ، فَمَا الْمَنْفَعَةُ؟ هكَذَا الإِيمَانُ أَيْضًا، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْمَالٌ، مَيِّتٌ فِي ذَاتِهِ.[١٣]

أعتقد أن أفراد الكنيسة الأولى كانوا يعيشون في المجتمع الأصيل معًا، وحين طفت احتياجات حقيقية عندهم على السطح، مدوا أيديهم ببساطة إلى داخل جيوبهم وأمّنوا المساعدة المادية مع الحكمة والتمييز اللذين أعطاهما الروح القدس.

١٣ يعقوب ٢ : ١٤–١٧

ومن أقوى الأمور وأجملها مشاهدة أناس ذوي مستوى مادي عادي يحاولون جاهدين تلبية احتياجات الآخرين. يحدث هذا النوع من المجتمع الأصيل خلال الاجتماعات المسائية لدراسة الكتاب المقدس يوم الاثنين مع مجموعة من الشباب. بينما كنا نجلس في غرفة الجلوس، كنا نستمع إلى مصور مستقل يشارك أحلامه والخدمة التي وضعها الله على قلبه. كان يخطو خطوات إيمان هائلة ليتبع دعوة الله له، وكان هذا الأمر يخلق توترًا ماليًا ملحوظًا. كانت هناك احتياجات أخرى في المجموعة أيضًا، ولهذا ختمنا وقتنا بالصلاة والتشفع بعضنا لأجل بعض.

وبعد يومين، أخبرني المصور المستقل أنه حالما وصل إلى سيارته تلك الليلة بعد اجتماع درس الكتاب المقدس، وجد ظرفًا مختومًا مُلصَقًا على الزجاج الأمامي وفيه مبلغ مائتي دولار. كانت النظرة التي رأيتها على وجهه ساطعة لدرجة إنارة الغرفة كلها، وكأنه كان يعيش في انذهال من محبة الله. لم يكن قادرًا على استيعاب أنّ شخصًا من المجموعة علم باحتياجه وأراد سرًا أن يشارك في احتياجات القديسين. يدفع هذا الاهتمام الشخصي الأصيل المتبادل العالمَ إلى التوقف لبرهة ليلاحظ ما يحصل.

إن اختبرت يومًا الوجود مع مجموعة مثل هذه، فستفهم عمّا أتكلم. إذ يصبح الوقت الذي تجتمع فيه المجموعة واحة حية ومشجعة. وبالنسبة لي، كانت ليلة الاثنين أبرز ليالي هذا الأسبوع.

يمكن للمجتمع الأصيل أن يكون جيدًا لدرجة وجود خطر أن نهتم بالتركيز الداخلي بدلًا من المحافظة على التركيز على ما هو من فوق. ولهذا، وفْوْرَ توجيه أمر لنا بأن نكون « مُشْتَرِكِينَ فِي احتياجاتِ الْقِدِّيسِينَ»، حثنا الرسول على مفهوم الضيافة: «عَاكِفِين عَلَى إِضَافَةِ الْغُرَبَاء».

المعنى الحرفي لعبارة «إضافة الغرباء» هو «مطاردة الغرباء وملاحقتهم». ففتْح مجموعاتنا وحياتنا لأولئك الذين يشعرون بالوحدة أو العزلة أو الاحتياج جزءٌ من حياتنا بعضنا مع بعض. يكمن الخطر عندما نبدأ ببناء علاقات متماسكة بعضنا ببعض، فنبدأ بالانطواء وتنمية موقف «نحن الأربعة فقط ولا أحد غيرنا».

هل يمكنك التفكير بشخصٍ ما من كنيستك أو في حيّك يبدو غير منسجم مع محيطه؟ أو يحتاج إلى مساعدة؟ أو يحتاج إلى بعض المحبة؟ ماذا يمكنكم كمجموعة صغيرة، أن تفعلوا لتصلوا إلى ما هو أبعد من نطاق احتياجاتكم الخاصة لمساعدة غريب؟ من يحتاج إلى مشاركتك وجبة طعام؟ من يحتاج إلى الشعور بالانتماء والاهتمام من قبلك أو من مجموعتك الصّغيرة أو من عائلتك؟

عندما ينظر العالم إلى أبناء اللّه ويراهم يقفون بمحبة إلى جانب من لا يشابهونهم، وبشكل خاص أولئك غير المحبوبين وغير الجذابين، عندئذٍ سيلاحظون الفرق. وعندما يهتم البيض والسود والآسيويون والهنود وكلّ أعراق الكون بعضهم ببعض بمحبة وأصالة إلى درجة التضحية، عندئذٍ سيلاحظ العالم أن اللّه يعمل في وسطهم. وعندما ينسى السياسيون خلافاتهم ويعترفون بأن علَم الرب يسوع- وليس السياسة- هو وحده الذي يجب أن يرفرف فوق بلادهم، عندئذٍ تتحطم الجدران الفاصلة وتنتشر النعمة.

في الليلة الأخيرة التي سار فيها الرب يسوع على الأرض قبل الصّليب، أعطى وصية جديدة لخاصته- الذين أحبهم حتى المنتهى:

«وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضاً.»

ثم صلى الرب يسوع لأجل الذين معه، ولنا نحن جميعًا الذين سنؤمن من خلالهم، بأن نصبح واحدًا كما أن الآب والابن واحد، وبأنْ نحب بعضنا بعضًا بطريقة تُظهِر للعالم أن اللّه أرسل الرب يسوع ليخلّص البشرية.

إنّها خطوتك الخاصة- أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢

المجتمع الأصيل هو الأكثر قدرة على الدفاع عن الإيمان المسيحي على سطح الأرض. وهو أكبر احتياج بين المؤمنين بالمسيح، والحاجة الكبرى لدى العالم غير المؤمن، كي يبدأ بالإيمان بأن ما نقوله عن المسيح هو الحقيقة، هي الطريقة التي نحب ونتواصل فيها بعضنا مع بعض. والمجتمع الأصيل الحقيقي نادر وقوي، لكن يمكن أن يتحقق عندما تلبّي ذاتك الحقيقية إحتياجات حقيقية للغاية الصحيحة وبالطريقة الصحيحة. لنتوقف عن الذهاب إلى الكنيسة، ولنكن الكنيسة!

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

ما الأمر الأكثر تشجيعًا لك في هذا الفصل؟ لماذا؟

تأمّل (Reflect)

ما الأمر الأكثر تبكيتًا لك في هذا الفصل؟ لماذا؟

افهم (Understand)

ما الظرف الذي فيه تحتاج إلى التركيز على ما هو من فوق؟ إلى من تستطيع التحدث كي تنمّي هذا التحدي في حياتك؟

سلّم (Surrender)

هل تختبر حاليًا المجتمع الأصيل كما تصفه رومية ١٢: ٩-١٣؟ هل أنت مستعد لاتخاذ أية خطوات ضرورية لإعادة تنظيم جدول أعمالك لأخذ المبادرة لبناء هذا النوع من العلاقات التي «تصرخ إلى العالم» منادية أن الرب يسوع هو ابن اللّه؟

اتخذ إجراء (Take Action)

افعل ما بوسعك لتطيع يوحنا ١٣: ٣٤-٣٥ كي تستقبل المحبة التي يريدك اللّه أن تحصل عليها. لا تكن على الهامش. اسعَ إلى التواصل.

الدافع (Motivation)

خذ بعين الاعتبار الانضمام إلى مجموعة صغيرة إن لم تكن منضماً إلى واحدةٍ حاليًا، أو ادعُ صديقًا تعرف أنه يتألم إلى اجتماع المجموعة الذي تذهب إليه.

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

خذ بعين الاعتبار إرسال رابط رومية ١٢ إلى شخص آخر في كنيسة أخرى أو مدينة أخرى لتشجيعه على النمو الروحي. ادخل إلى الموقع: www.levantmedia.com/TS

أمام اللّه يومياً – مع المؤمنين أسبوعياً – في مهمة إرسالية مستمرّة بلا توقف

"يومياً - أسبوعياً - بلا توقف" إرشاد عملي لتكون تلميذاً بحسب رومية ١٢.

أمام اللّه يومياً

الخدمة في محبة واختبار عيش المجتمع الحقيقي والأصيل ليستْ أمراً يتعلّق بالعلاقات الأفقية فقط. فثمّة عنصر عامودي في المجتمع كثيراً ما يتم تجاهله. وفي رومية ١٢: ١٢، في منتصف هذا المقطع الذي يتعلّق بالخدمة في محبة، يدعونا اللّه إلى المواظبة على المحبة. علينا أن نمثل أمام عرش اللّه بانتظام وبحماسة من أجل التشفُّع لأجل الآخرين.

المثول أمام اللّه يومياً لا يقتصر على فتح الكتاب المُقدَّس ومعرفة اللّه بشكلٍ أفضل، إذ هو أيضاً فرصة عظيمة للمجيء أمام اللّه والآب الكريم اللطيف، وللمجيء باحتياجات أصدقائنا. إحدى الطرق الرائعة والقوية التي يمكنك بها أن تدعم أعضاء مجموعتك الصغيرة هي بالصلاة لأجلهم. وفي الأسبوع القادم، اسأل صديقاً أو صديقين لك بشأن ما يمكنك أن تصلّي لأجلهم بشأنه. ومن ثمَّ احمل طلبات صلاتهم إلى اللّه حين تمثل أمامه.

مع المؤمنين أسبوعياً

كما سبق فقلتُ في هذا القسم، فإنّ أقوى حججٍ دفاعيّة عن المسيحية في العالم هو محبة المسيحيّين الحقيقيّين بعضهم لبعضٍ. ترتفع مصداقية إيماننا أو تهبط بناءً على مدى تقديمنا مجتمعاً محبّاً أصيلاً وحقيقياً.

المقاطع التي درسناها في هذا القسم، والمأخوذة من رومية ١٢: ٩–١٣، تقدّم لنا تصويراً عظيماً بشأن ما يبدو عليه المجتمع الحقيقي الأصيل. ليس هذا النوع من المجتمعات لضعاف القلوب، ولن نتّجه بشكلٍ آليّ إلى نوع العلاقات الموصوفة في رومية ١٢.

إذ علينا أن نخلع أقنعتنا، ونسير في النقاوة ونصلّي بعضنا لأجل بعض، وندخل بعضنا إلى حياة بعض بتفانٍ وتكريس وتضحية.

أؤمن أن المجموعات الصغيرة يمكن أن تكون بيئةً ممتازة لعيش المجتمع الحقيقي الأصيل. عيش هذا النوع من المجتمعات يحتاج إلى وقتٍ وقصد. ولهذا نشجّعك على أن تتواجد «في مجتمع أسبوعياً».

في مهمة إرسالية مستمرّة بلا توقُّف

أحد مخاطر المجتمع هو أن نتحول إلى توجيه تركيزنا إلى الداخل تماماً. ولذا ضروري لنا أنْ نصغي إلى تحدّي بولس بأن نساهم في سدّ احتياج القدّيسين وإضافة الغرباء. المعنى الحرفي لـ«إضافة الغرباء» هو «ملاحقة الغرباء ومطاردتهم».

ليست هذه دعوة لبرنامج خيري في الكنيسة، ولكنّها دعوة للمسيحيين أصحاب الحياة الاعتيادية مثلك ومثلي بأن يسدّوا احتياج الناس الذين حولهم وحولك وحولي.

تتلاقى حياتك أسبوعياً مع شخصٍ لديه احتياجات. حتى تعيش مرسلاً لديك رسالة لتتميمها، ينبغي أن تخرج من منطقة الراحة الخاصّة بك. ليكن أسلوب حياتك اتّباع دفعات وإرشادات الروح القدس بشأن مساعدة مَن لديهم احتياجات.

وكما شجّعتك وتحدّيتك في هذا الجزء، أعيد تشجيعك على أنْ تساعد شخصاً بطريقة تكون مكلِّفةً لك بطريقةٍ معيّنة. وسيكون ممتعاً أن تُشرِك كاملَ مجموعتك في المساعدة.

الجزء الخامس

كيف تتغلب على الشر الذي يستهدفك

الاستجابة الفائقة للطبيعة

تجاه الشرّ بالخير

(رومية ١٢: ١٤–٢١)

الرب قدوس وقد جعل القداسةَ الحالةَ الأخلاقية الضرورية لصحة الكون الذي خلقه. ووجود الخطيئة المؤقت في هذا العالم يؤكد هذا. إذًا كلّ ما هو مقدس صحي. والشر مرض أخلاقي ينتهي حتمًا بالموت.

– A.W. Tozer

الفصل الحادي والعشرون

من آذاك أشد إيذاء؟

«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ.»[1]

- يسوع المسيح

بينما نبدأ هذا الجزء الأخير من هذا الكتاب، أريدك أن تفكّر بشخصٍ ما في حياتك آذاك أشد إيذاء. ربما لم يعاملك هذا الشخص بإنصاف، أو نشر إشاعات عنك واغتابك، أو حتى استغلك جسديًا أو جنسيًا أو عاطفيًا في سنواتك المبكرة.

وربما ما فعله هذا الشخص هو أنّه هجرك، ربما كان والدك أو والدتك، أو ربما الشخص الذي أحببته – ولم يخطر ببالك قط أنه يمكن أن يخونك. قد يكون شخصًا وثقت به كثيرًا وكذب عليك في ما بعد، وسرق أموالك، أو جرح شخصًا تحبه، أو حاول بالفعل أن يحطم حياتك. لدينا جميعاً أشخاص في ماضينا أساؤوا إلينا. ونحن نميل إلى دفن الجراح الأليمة من دون التعامل الوافي مع الأضرار الناجمة عنها، أو متابعة الحياة مع مرارة متجذرة عميقة تجاههم.

ولا ينسجم أي من هذين الخيارَين مع مشيئة اللّه لحياتك. ولكن بعد تقديم المشورة لأكثر من عشرين سنة، وجدت أن معظم الأشخاص لا يعلمون كيفية التعامل مع الشرّ الموجَّه نحوهم.

صلاتي لك أن لا تهمل الأسئلة التي طرحتها في بداية هذا الفصل. رغم أنها قد تكون مؤلمة، أصلي أن تمتلك المقدرة على استحضار صورة وجه هذا الشخص الذي جلب الشر والألم

١ متى ٥: ٤٣-٤٤

إلى حياتك. لدى اللّه حلمٌ لحياتك يتضمن كلّ علاقة تختبرها على الأرض – حتى المؤلمة منها. سبق أن تناولنا كيف تبدو علاقة التابع الأصيل باللّه وبالعالم وبنفسه وبالمؤمنين الآخرين. والآن نحتاج إلى أن نتفحص جيدًا علاقتنا بالذين يعارضون ويعادون المسيح الذين يصنعون الشر مع أتباعه.

كيف يرد المؤمن بالمسيح الذي يحيا بحسب رومية ١٢ على أعدائه؟ كيف يكون الأمر حين تسمح للروح القدس أن يعطيك نعمة التعامل مع المسيئين إليك كما تعامل معهم الرب يسوع؟ كيف نتعامل مع الأشخاص الذين يغضبوننا لدرجة أننا نحلم أن ينالوا ما يستحقون فيُعاقَبون على إساءتهم لنا؟ أعلم أن لا شيء يضاهي صعوبة أن نتعامل مع الأشخاص الذين كانوا مصدرًا للشر الموجه إلى حياتنا، سواء أكان استغلالًا، أم ظلمًا أم خسارة مادية أم خيانة عاطفية أم إيذاءً جسديًا. فغالبًا ما يبدو تخطّي الجراح والغضب والمرارة مستحيلًا.

على عكس العديد ممن يقرأون هذه الكلمات، كانت لدي طفولة اتسمت بالإيجابية مع أهل اهتموا بي وأحبوني. تحملت الهجمات الصغيرة الذي يمرّ بها الجميع، لكنني لم أتعرض لصدمة كبيرة سببت لي جراحًا طويلة الأمد أو مشاعر الخيانة تجاه شخص آخر. لكن هذا الأمر تغير في سنتي الجامعية الأولى.

عدوّي الأكبر

كنت ألعب كرة السلة في الجامعة، وكان لدي زميل في الغرفة يدعى جيمي (ليس هذا اسمه الحقيقي)، كان أكبر سنًا من باقي اللاعبين في الفريق. كان محاربًا قديمًا في فيتنام، طوله حوالي المترين، وكان ارتفاع قفزته العامودية حوالي المتر. كان رياضيًا مدهشًا وفنانًا بارعًا. حطّت به الرحال في كلية الآداب بسبب صدمات وأخطاء من ماضيه لم تخوله للتأهل لكليات أخرى. كان في أواخر العشرينيات من عمره، وقد أمضى فترة كبيرة من حياته في السجن بسبب حيازة المخدرات والمتاجرة بها بعد إصابته في حرب فيتنام. ورغم موهبته، عانى جهازه العصبي من الضعف من جراء الحرب وإدمان المخدرات، ولهذا كان يجد صعوبة في التقاط الكرة واللعب أحيانًا.

جاء إلى الجامعة كمدمن مخدرات أعيد تأهيله وكفنانٍ طموحٍ حصل على فرصةٍ ثانية، كان متكلمًا فصيحًا وذكيًا. لقد اختبر جيمي الكثير من الشر في حياته. تربى في المناطق الداخلية الفقيرة من المدينة، وخدم في القوات المسلحة وأصيب إصابة بالغة في حرب فيتنام، وقتل كثيرين. وعاش في أدنى المجتمع من خلال تعاطي المخدرات، وممارسة الجنس غير المشروع، والسجن. كان صريحًا جدًا، وكانت لديه نظرة تحديق جليدية باردة تقشعر لها الأبدان. لقّب جيمي نفسه بـ « الشرّير»، ولم يكن يمزح في هذا.

حدث أن جيمي اكتشف أنني ممن بالمسيح، كنت حديث الإيمان (ربما لستة أشهر) وكنت أسعى جاهدًا إلى أن أسلك بحسب إيماني في فريق كرة السلة. ولا بد أنه كانت لدى جيمي خبرات سلبية في ما مضى مع بعض المؤمنين بالمسيح، ولهذا كانوا محط ازدرائه وكراهيته.

لم يطل الأمر كثيرًا حتى أصبحت أنا محطّ نكاته وهجماته، كان يتعمد إذلالي في العلن وأمام الفريق كله لالتزامي بالعفاف الجنسي قبل الزواج، فكنت عرضة لكل أنواع المضايقات. كما كنت محور الأحاديث الدائرة في غرف تغيير الملابس التي «قطعت أوصالي إربًا» من الصباح حتى المساء. كان دائمًا يرمز إليَّ في أحاديثه «تشيب الولد الأبيض النحيل العذراء الذي يؤمن بالرب يسوع». كانت لديه طريقة في لفظ اسمي مع تطويل حروف العلة عند اللفظ لدرجة تجعله يبدو شتيمة. لعبت في السابق في أجزاء المدينة الداخلية لشحذ خبرتي وصقلها في كرة السلة في المدرسة الثانوية. ولهذا لم تكن المسألة عنصرية ما كان يحدث مع جيمي، بل كانت روحية. كانت كل فرصة، وكل رحلة، وكل موقف مناسبة لجيمي ليسخر مني ويدينني.

كان كرهي لجيمي يزداد يوميًا، كانت هجماته عليّ من دون هوادة، كما أن فرق الحجم في بُنية جسمينا جعل من فكرة مصارعته جسديًا انتحارًا. ولهذا لجأت إلى حيلة كحارس نقطة في كرة السّلّة يعلم جيدًا ما يفعله.

إذ رددتُ على تعليقات جيمي الجارحة بمحاولتي صدّ الكرة أمام جيمي بشكل ترتد عليه وتصيبه في وجهه. فكان يتعرض للتوبيخ من المدرب لعدم جهوزيته وقلة مسؤوليته، الأمر الذي أعطاني شعوراً بالرضا ولذة الشعور بالانتقام إلى درجة كبيرة. استمر هذا الوضع بيني وبين جيمي شهورًا طويلة، فكان يؤذيني بكلماته وتعليقاته الجارحة وأنا أرد عليه بالكرة في الملعب.

ذات يوم تفاقم الأمر ووصل إلى القمة، فأخذ هذا الصراع بيننا منحىً جديدًا. فبينما كنا أسير في الممر متجهًا إلى غرفتي في مهجع الجامعة، فُتِح باب غرفة في الممر قليلًا، فشاهدت جيمي مع بعض الشبان يدخّنون الحشيش. كان الدخان يملأ الغرفة، ومع ذلك لمحني جيمي وأنا أحاول الدخول إلى غرفتي.

وبما أن جيمي قد دخل الجامعة تحت بند «مدمن مخدرات أعيد تأهيله»، كان مجرد الإمساك به وهو يتعاطى المخدرات خرقًا لقانون محاولة تأهيله وكافيًا لإعادته إلى الحياة التي يكرهها. اندفع جيمي من الباب وأمسك بذراعي بقوة، وأدارني ووضع يديه على رقبتي مهددًا بخنقي قائلًا لي: «تشيب! إن أخبرتَ أحدًا بما رأيته اليوم سأقتلك! لقد قتلت أشخاصًا عديدين في السابق، وقتل رجلٍ آخر لن يُحدث فرقًا.»

خفت حتى الموت، كانت النظرة في عينيه مخيفة مترافقة مع ثقل كلماته، ما جعل تهديده واضحًا وحقيقيًا. تحول عدم إعجابي بمضايقات جيمي إلى كراهية صرفة لم أشعر بمثلها من قبل.

وكانت لديّ تخيلات ممتلئة بالكراهية أخجل من الحديث عنها، أردت إيذاء جيمي أكثر من أي شيءٍ آخر في العالم. أردت أن أرد له الصاع صاعين، أردته أن يخرج من حياتي. وفي لحظة ضعف، وفي ظروف مناسبة، أستطيع أن أرتكب أمرًا قد أندم عليه طيلة حياتي.الكراهية أمرٌ قويّ! إنها منبع الشر كمحاولة يائسة للرّدّ على الظلم أو التجريح أو الهجوم، إن كرهنا للشر أمرٌ جيدٌ للغاية، لكن كرهنا للناس أمر مختلفٌ للغاية.فهو يفتح الباب على مصراعيه لحضور الشرونموه في قلوبنا. كنت بائسًا، وأحسست بشعور الانقباض في معدتي، كنت خائفًا أتطلع باستمرار إلى الخلف متسائلًا إن كان جيمي سينفذ تهديده. حاولت أن أتحين الفرص لأنتقم من جيمي، لكن لم يفلح أي أمرٍ. وفي محاولة يائسة، شاركت ما كان يحدث معي مع رجلٍ آخر يدعى جيمي، كان يساعد في فريق الخدمة في الجامعات والتي كنت جزءًا منها.

الكراهية منبع الشر كمحاولة يائسة للرّدّ على الظلم أو التجريح أو الهجوم

أخدم أسوأ أعدائي! هل تمزح؟

استمع إليّ جيمي بصبر، سألني بعض الأسئلة التوضيحية عن كيفية حصول أمور محددة وعن شعوري حيال هذا الأمر. ثم أمال رأسه وقال لي:« تشيب، أعتقد أن هذا الرجل شريرٌ للغاية. هناك أمرٌ واحد تستطيع فعله يستطيع أن يغلب هذا الشرّ، وهو الصلاح الذي يأتي من الله. تشيب، أعتقد أنك تعلم ما يريدك الله أن تقوم به، لكنني أحذرك: مع أن الأمر سيفلح، فإنّه لن يكون سهلًا أبدًا.» عندها فتح جيمي كتابه المقدس وقرأ بصوت عالٍ من رومية ١٢: ١٤-٢١

> بَارِكُوا عَلَى الَّذِينَ يَضْطَهِدُونَكُمْ. بَارِكُوا وَلاَ تَلْعَنُوا. فَرَحًا مَعَ الْفَرِحِينَ وَبُكَاءً مَعَ الْبَاكِينَ. مُهْتَمِّينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ اهْتِمَامًا وَاحِدًا، غَيْرَ مُهْتَمِّينَ بِالأُمُورِ الْعَالِيَةِ بَلْ مُنْقَادِينَ إِلَى الْمُتَّضِعِينَ. لاَ تَكُونُوا حُكَمَاءَ عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ. لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ. مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ قُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ. إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ. لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ. فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ. لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ.

وما إنْ أغلق جيمي كتابه المقدّس حتى ابتدأت رحلة لن أنساها ما حييت. كان من الصعوبة بمكان أن أطيع هذا المقطع، لكنني اخترت أن أعمل ما لا يقبله المنطق والعقل من وجهة النظر البشرية.

سأشارك بالتفصيل ما قادني الله إلى فعله وكيف تستطيع أن تُطبّق أنت هذا الأمر في حياتك لاحقًا. لكن أولًا، يجب أن أسمح لله بأن يزيل المرارة من قلبي والكره من روحي.

لقد حررني الله من السجن الذي صنعته لنفسي ومن سمّ الانتقام الذي تجرّعتُه، لذا دعني أسألك بضعة أسئلة قبل أن نتابع:

- هل أنت مستعدٌّ لتعلّم كيفية التعامل مع الشخص الذي هو مصدر الشر وممرّه في حياتك؟
- هل أنت مستعدٌّ لمواجهة ألم الماضي والسماح لله بأن ينقيك ويشفيك بينما تتعلم كيفية التعامل مع أعداء الله بقوة الروح القدس؟

إنّها خطوتك الخاصة- أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢

بالنسبة لبعضكم، ربما لا يتعلق الأمر بالماضي، بل بشخص في العمل، أو في العائلة، أو بمن تتشاركون معه الوصاية على أولادكم. أريدك أن تعلم أن لدى الله تعليمات محددة لأتباعه الأصيلين حول كيفية الرد على الشر الموجه ضدّهم. هناك رجاء، هناك عون! سنلقي نظرة على الخطوة الأولى في الفصل القادم.

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

من هو الشّخص الذي أتى إلى ذهنك؟

تأمّل (Reflect)

ما المشاعر التي اكتنفتك عندما فكرت بهذا الشخص؟

افهم (Understand)

ما الطرق التي سعيت بها إلى معالجة جراح الماضي؟ هل ساعدك هذا الأمر أم لم يساعدك؟

سلّم (Surrender)

اسأل اللّه أن يجعلك راغبًا في طاعة وصاياه الواردة في رومية ١٢: ١٤-٢١ بما يخص هذا الشخص.

اتخذ إجراء (Take Action)

اختر شخصًا تثق به تستطيع أن تشارك معه هذه الجراح، واسأله أن يرافقك في هذه العملية. وإذ تعمل هذا الأمر ستتعلّم كيف تبارك عدوك. وسيحرّر هذا الأمر روحك.

الدافع (Motivation)

حدد وقتًا للاستماع إلى الرسالة الصوتية والمرئية على الموقع:

www.levantmedia.com/TS

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

اختر أن تستمع إلى شخص مجروح بعمق. عزّه بلطف على مقطع رومية ١٢: ١٤-٢١.

الفصل الثاني والعشرون

هل ستسمح للمسيح بأن يشفيك؟

فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلَّاتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلَّاتِهِمْ، لَا يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضًا زَلَّاتِكُمْ.[٢]

- يسوع المسيح

حين فتح صديقي كتابه المقدس وشرع يقرأ من رومية ١٢: ١٤-١٥، استمعت بصمت وأنا أهزُّ رأسي إلى الأمام والخلف، لم يكن للكلمات أي معنى لي. من المؤكد أنَّ هذا لم يكن أمرًا أرغب في فعله أو أساعد في تحقيقه. أين العدالة؟ أين المقطع الذي يقول إن الله يتدخل ويحامي عني وينقذني من الشرير؟ ماذا يعني أن أبارك أولئك الذين يضطهدونني، أبارك ولا ألعن؟ وإذا أردتَ الحق، لم أكن أنوي أن ألعن جيمي، بل أن أقتله!

قد يشعر العديد منكم بنفس الشعور الآن، قد يبدو هذا النقاش للبعض وكأنه يميط اللثام عن جرح قديم. لكن دعني أؤكّد لك أن حلول الله أكثر قوة وفعالية، فعندما تبدأ بفهم هذا الحق والتصرُّف بحسبه، ستختبر قوة الخير التي تغلب قوة الشر اختباراً مباشراً.

فلنلقِ نظرة معًا ونتعلَّم الخطوات الأولى في طريق غلبة الشر بالخير. لقد كتبت هذا المقطع بطريقة تساعدك في أن ترى هيكل النص ومعناه:

٢ متى ٦: ١٤-١٥

وصيتان وتحذير

الأمر الإيجابي (الآيات ١٤–١٦)

«بَارِكُوا عَلَى الَّذِينَ يَضْطَهِدُونَكُمْ. فَرَحًا مَعَ الْفَرِحِينَ وَبُكَاءً مَعَ الْبَاكِينَ . مُهْتَمِّينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ اهْتِمَامًا وَاحِدًا، غَيْرَ مُهْتَمِّينَ بِالأُمُورِ الْعَالِيَةِ بَلْ مُنْقَادِينَ إِلَى الْمُتَّضِعِينَ. لاَ تَكُونُوا حُكَمَاءَ عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ.»

النهي (الآيات ١٧–٢٠)

«لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ. مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ قُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ. إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ. لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ. فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ.»

التحذير (الآية ٢١)

«لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ.»

لاحظ أن هذا المقطع يُقسم إلى أمرين رئيسيين – وصيّة بلغة الأمر (الآيات ١٤–١٦) تتبعها وصية بلغة النّهي (الآيات ١٧–٢٠). ثم تأتي الآية ٢١ التي تلخّص كل الحديث في شكل تحذير أخير وتطبيق للمقطع بأسره.

الوصية المقدَّمة بلغة الأمر – «بَارِكُوا عَلَى الَّذِينَ يَضْطَهِدُونَكُمْ»- هي الموضوع

الرئيسي للمقطع كله. في الآية ١٤ سنتعلّم معنى «بَارِكُوا وَلاَ تَلْعَنُوا»، وفي الآية ١٥ سنتعلم تحديدًا كيف نبارك الذين أساؤوا إلينا. وفي الآية ١٦، يأتينا التنبيه بأن نراقب تفكيرنا عندما نتعامل مع الأشرار الذين يفعلون الشر. تحت ضغط الظروف الصحيحة، يمكن أن نتحول نحن إلى فاعلي شر في حياة الآخرين إن لم ننتبه جيدًا. لدى الشر قدرة مذهلة على الاستيلاء على الأبرياء عندما يصرخون من عمق جراحهم مطالبين بالعدالة ودفع الثمن.

عندما قرأ صديقي هذا المقطع بصوتٍ مسموع، لم أكن أعلم مغزاه. لم أكن أستخدم كلمة «البركة» أو «اللعن»، ولهذا لم يكن واضحًا بالنسبة لي معنى أن تبارك أو تلعن أحدهم. منذ ذاك الوقت، بدأتُ بعض الأبحاث الخاصة بي التي ستساعدنا على فهم ما يقوله اللّه بالضبط في هذا المقطع. «أن تبارك» يعني حرفيًا أن تتمنّى الخير للآخر، وأن ترغب بمجيء بركة اللّه على حياته. وبالمقابل فإنَّ لعن شخصٍ ما يعني حرفيًا أن تصلّي ضده (تدعو عليه)، أو أن تطلب دينونة أو تتمنى خرابًا أو فشلًا

أو مصيبة له. يأمر هذا المقطع بعكس ما كنت أفعل. كنت ألعن الذي كان يضطهدني. علي أن أعترف (كوني كنت مؤمنًا بالمسيح في ذلك الوقت) بأنه لم يكن لهذا المقطع أي معنى بالنسبة لي.

لماذا يتوجب عليّ أن أبارك شخصًا كان لئيمًا وقاسيًا معي؟ لماذا علي أن أهتم، ناهيك على أن أكون لطيفًا مع شخص أهانني وأحرجني، بل هدَّد حياتي؟ كيف يمكن لهذا الأمر – «أبارك» – أن يتغلب على الشر؟ ولماذا عليّ أخذه بعين الاعتبار؟

عندئذٍ قادني إلى أكثر الكلمات راديكالية لُفظت على وجه الأرض، كلمات تفوّه بها معلم شريعة يعد أعظم المعلمين على الإطلاق في كلّ الأزمنة والأكثر ثورية في تاريخ البشرية. فما قاله لأول مجموعة من تلاميذه الذين كانوا يتعرَّضون لاضطهاد مستمر من قبل الحكومة الرومانية وقادة زمانهم الدينيين، أوقفني دون حراك:

«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ. وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيَّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هكَذَا؟ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ»[٣]

عندئذٍ فقط لاحظت أن الرسول بولس كان ببساطة يطبق كلمات الرب يسوع على الكنيسة في روما حينها. علّم الرب يسوع أتباعه كيف يردون تمامًا على الشر المُصوَّب نحوهم. وعلى عكس التعاليم المعتادة في أيامه، أعطى تعليمات راديكالية لم يكن يعلّمها فقط، بل طبّقها وعاشها أمامهم لاحقًا بالموت على الصليب من أجل كل أعدائه – قاهرًا وغالبًا الشر والخطيئة والموت مرة واحدة وإلى الأبد.

يدعونا الرب يسوع لنرد على الشرّ المُصوّب نحونا بنفس طريقته. انظر إلى هذين الفعلين في إنجيل متى ٥: ٤٤

«أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.»

عبارة «أبناء أبيكم الذي في السماوات» في اللغة العبرية تشير إلى التشابه والتماثل. وبمعنى آخر، عندما نحب أعداءنا ونصلي لأجل الذين يضطهدوننا، فإننا نُشابه عائلتنا السماوية. ونحن نقلّد الله ونشابه أعمال الرب يسوع عندما نعامل أعداءنا كما عامل أعداءه.

وهو يرسّخ ويقوّي حجته في العبارة التالية، حين يذكّرنا بأن الله يعمل على هذا المنوال طوال الوقت فهو «يُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ» في نفس الوقت. ثم يحثُّ أتباعه وإيانا أيضًا على

٣ متى ٥ : ٤٣–٤٨

أن نعيش بطريقة مختلفة عن الوثنيين وغير المؤمنين الذين يحبون ويصادقون فقط من يحبهم ويصادقهم.

كيف «نُبارك» أعداءنا حقاً؟

كيف أستطيع أن أفعل هذا الأمر؟ ما هي الخطوات الأولى في مباركة من اضطهدونا في السابق أو يضطهدوننا اليوم؟ تتلازم مع كلمة «البركة»

رغبة في خلاص الشخص نفسه. بغض النظر عمّا فعلوه في السابق أو مدى عمق الجراح أو الاستغلال الذي تسببوا فيه لنا، يأمرنا الله بأن نباركهم. يبدأ هذا الأمر برغبة صادقة بأنْ يغفر الله لهم أخطاءهم. قبل أن نتأمل بفكرة قدرتنا على أن نحب أعداءنا، علينا أن نبدأ بإرادتنا بأن نختار أن نغفر لهم. يجب أن نغفر لهم بنفس الطريقة التي غفر بها الله لنا. فوصية الرب يسوع الأخيرة في متى ٥: ٤٨ هي: «فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ.» («كاملين» لها أيضًا معنى «ناضجين روحيًا»– وهي ترجمة للكلمة اليونانية teleos والتي تتضمَّن تتميم مشيئة الله).

وبصراحة، هنا يتورط كثيرون منا، إذ تبدو فكرة المغفرة للشخص الذي أساء إليك بأعمال شريرة كثيرة منفّرة، بل مستحيلة! ونحن نخلط أحيانًا بين الإحساس بالمغفرة وفعل الغفران، نظن بغير حكمة وعن خطأ أن مسامحة أحدهم تعني «أن يفلت من العقاب الذي يستحقه»، وبهذا لن تتم أحكام العدل. قال أحدهم مرةً إن من يرفض المغفرة للآخر كمن يتجرع سُمّ ثأره الخاص آملًا أن يشعر الشخص الآخر بالمرض!

المرارة والكراهية مثل السرطان المتفشي في أرواحنا، عندما نرفض أن نغفر للآخر، فإننا لا نؤذي إلا أنفسنا. ومع ذلك، ورغم كثرة الآيات التي تتكلم عن المغفرة ورغم مناشدة المنطق، يرفض الكثيرون منا أن ينسوا جراح الماضي بمغفرتهم للذين تسببوا بها. وأنا أعلم هذا لأنني قاسيت منه! أظن أن معظم ممانعتنا تأتي من فهمنا المشوَّه لمعنى الغفران ولنقص معرفتنا عن كيفية القيام بهذا الأمر.

لهذا دعني أشرح لك ماذا يعني الكتاب المقدس عندما يتحدث عن وجوب المغفرة. المغفرة عملية تتألف من ثلاث مراحل:

- **المرحلة الأولى** – أن تغفر– هو خيار، هو فعل يتعلّق بالإرادة. لا تحتاج إلى أن تشعر برغبة بأن تغفر لأحدهم لكي تقوم بهذا الأمر. عليك أن تختار أن تتخلى عن أية رغبة بالانتقام، وأن تسأل الله أن يعامل الشخص الذي أساء إليك بنفس الطريقة التي يعاملك الله بها برحمة.

• **المرحلة الثانية** – الغفران – هو عملية يبدأ بموجبها اختيارك بأن تغفر مع مرور الزمن بالعمل على تصحيح عواطفك ومشاعرك. قد تستغرق هذه العملية أشهرًا أو حتى سنين.

تعرضت في مناسبة معينة للخيانة بشدة، واخترت أن أغفر للشخص الذي تعمد هذا الفعل وكتبت اليوم والتاريخ في دفتر يومياتي. ومع ذلك، سمعت لاحقًا عن مزيد من اتهامات هذا الشخص الجائرة، فبدأت مشاعري تخرج عن السيطرة. كنتُ قد سامحتُه عن خطيئته نحوي، ولكن هذه المعلومات الجديدة نزعت قشرة الشفاء المزعوم في قلبي. لم تكن هناك خطيئة جديدة، لكن الموضوع طفا على سطح عقلي الواعي وحرّك كل مشاعر المرارة والغضب من جديد.هنا يعْلق العديد من المؤمنين بالمسيح في دوامة مُفرَغة شريرة.

فيلجأون إما إلى الافتراض أنهم أصلًا لم يسامحوا الشخص الآخر كون المشاعر نفسها طفت من جديد، أو أن المشاعر المتألمة بشكلٍ متكرر تُسبّب الكثير من الأذى، ولهذا يعمدون إلى النكران ويدفنون مرارته. ويفترضون من دون وعيٍ منهم أن الغفران الحقيقي غير ممكن في حالتهم الخاصة، وبالتالي لا يحصل حلٌّ نهائي. إذًا كيف يمكن لعملية «الغفران» هذه أن تعمل حقًا؟ هل لاحظت أن الرب يسوع يطلب منا أن نحب أعداءنا ونصلي لأجل اللذين يضطهدوننا. بينما الرسول بولس يوصينا مرتين في رومية ١٢: ١٤ بأنْ نبارك: «بَارِكُوا عَلَى الَّذِينَ يَضْطَهِدُونَكُمْ. بَارِكُوا وَلاَ تَلْعَنُوا.» «أنْ نبارك» شيء شبيه بالصلاة، وقد أمرنا الرب يسوع مباشرة أن نصلّي من أجل الذين يضطهدوننا.

> الغفران هو عملية يبدأ بموجبها اختيارك بأن تغفر مع مرور الزمن بالعمل على تصحيح عواطفك ومشاعرك.

مفتاح المرحلة الثانية – الغفران – هو الصلاة، في الحالة التي سبق أن ألمحت إليها (تعرُّضي للخيانة)، تعهدت في قلبي بأن أصلي لأجل هذا الشخص يوميًا.

كانت صلواتي الأولى سؤال الله أن يعطيه ما يستحقه، ويريه ضلال طرقه، ويقوده إلى التوبة. ومع مرور الوقت، بدأ روح الله يذكّرني بمدى رحمة الله وصلاحه رغم الشر الموجود في قلبي والأمور التي صنعتُها. ورغم بطء إدراكي وفهمي، بدأتُ أصلّي كي يبارك الله حياة هذا الشخص وحياته الزّوجيّة وأولاده وخدمته. أصبحت عادة بالنسبة لي أن أمتنع عن تناول القربان إن لم أسعَ وأحاول بعمق نابع من القلب أن أبارك هذا الأخ.

وبعد حوالي سنة، زار صديقٌ مشترك هذا الشخص في ولاية أخرى أتاني بتقرير إيجابي عنه. لم يكن يعلم عمق الخيانة التي تحمّلتُها، لكنّه افترض بنفسه أنني سأفرح بهذه الأخبار المشجعة. كانت ردة فعلي الأولى الفرح العارم، لكني سرعان ما وضعت «ابتسامتي المسيحية على وجهي»

وأخبرته كم هو رائع أن أسمع هذه الأخبار الجيدة عنه وعن نجاحه في حياته. أخبرتني ردة فعلي أنني ما زلت في المرحلة الثانية – الغفران. كشفت ردة فعلي أنني لا زلت أملك رغبات ماكرة ودفينة في أن يسقط ويلاقي جزاءه. لقد غفرت له – (المرحلة الأولى، «الخيار»)، ولكن «عملية الغفران» لم تكن قد اكتملت بعد.

بعد مرور ثمانية عشر شهرٍ تقريبًا (كنت قد واصلت الصلاة طيلة هذه المدة)، ومن خلال مجموعة ظروف، سمعت أيضاً خبرًا إيجابيًا آخر عن هذا الأخ قبل دقائق من صعودي إلى المنبر لأعظ في كنيستي فكان رد فعلي التلقائي هو الفرح العارم. وبعد الصلاة نحو سنتين تمكنت من إتمام المرحلة الثانية وبدأت المرحلة الثالثة!

- **المرحلة الثالثة** – مغفور– روح اللّه يجعل خيارك بطاعة اللّه متناغماً مع اختبار مشاعر الفرح الأصيل عندما تحصل البركة في حياة الشخص. عليّ أن أعترف أن العملية لم تكن سهلة،

  ومن المؤكد أنها لم تكن عملية تمّت مرة واحدة فقط. كان عليّ أن أختبر المراحل الثلاث للغفران في العديد من الحالات على مرّ السنين. ولكن من خلال هذه التجربة الحياتيّة، تعلمت أن أغفر بمراحل الغفران الثلاثة وأن أختبر السلام والتحرر الذي يأتي من فهم وتطبيق الغفران الأصيل.

تعلّمت أن أبارك مضطهدي بالصلاة من أجله، وهذا ما أطلقني حرًا. فماذا عنك أنت؟ أأنت مستعد لتأخذ بضع دقائق الآن لتسأل نفسك بضعة أسئلة كي تبدأ رحلة التحرر والسلام؟

- هل هنالك شخص في حياتك تحتاج إلى مسامحته؟
- في أيّة مرحلة من مراحل الغفران أنت الآن؟
- أية كذبة صدقتها عن كيفية عمل الغفران فأسَرَتْك وسيطرت عليك؟

إنّها خطوتك الخاصة– أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢

أعلم ثقل هذه الأسئلة عليك. أشجعك على أن تتكلم مع شخص موثوق به أو مقدّم مشورة (بشكل خاص في حالة الإساءة) كي تبدأ رحلةَ مباركةِ الذين يضطهدونك. لا تدع شرهم يتسرب إلى قلبك.

سنتعلم في الفصل التالي عن بعض الطرق عن كيفية التّعامل مع أولئك الذين آذونا كي نختبر الشفاء الداخلي ونسمح للّه بأن يُظهر لنا قوة صلاحه فوق الطبيعية.

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

ماذا يعني أن تبارك أعداءك بحسب هذا المقطع؟

تأمّل (Reflect)

لماذا يكون الغفران أول خطوة في مباركة الذين أساؤوا إليك؟

افهم (Understand)

في أية مرحلة من مراحل الغفران أنت؟

- المرحلة الأولى – الخيار؟
- المرحلة الثانية – العملية؟
- المرحلة الثالثة – الإتمام؟

سلّم (Surrender)

ما هو الجانب الأكثر صعوبة في الغفران لشخص كان ينوي لك الشر؟ اسأل الله أن يزيل أيّة مرارة ويعطيك القوة كي تبدأ في رحلة الغفران.

اتخذ إجراء (Take Action)

اختر اليوم أن تغفر لشخص لم تغفر له بعد، دوّن في كتابك المقدس تاريخ اليوم.

الدافع (Motivation)

اكتب متى ٥: ٣٤-٨٤ على بطاقة أو ورقة، اقرأها وصلِّها مرارًا وتكرارًا في الأسبوع القادم.

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

صلّ اليوم لأجل الشّخص الذي تعده عدوك، اختر أن تطيع الله سواء كنتَ تشعر برغبة في ذلك أم لا.

الفصل الثالث والعشرون

هل تعلم متى تكون أكثر شبهاً بالرب يسوع؟

سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا.[٤]

- يسوع الناصري

«جولي» في الخامسة عشرة من العمر وتشعر بالوحدة. أجهضت جنينها وانفصلت عن صديقها. تطلّق والداها قبل حوالي أربع سنين، وشعرت كأنها مثل حجر الشطرنج تنتقل بين البيوت منذ ذلك الوقت. لذا فهي لا تثق بالبالغين اليوم، فقد خذلتها المؤسسات والسلطات. أين كان اللّه عندما صرخت له طالبة مساعدته؟

«بيل» مثليّ الجنس تربى في كنف عائلة متزمتة. كانت والدته تُفرِط في حمايته وكان والده يغيب عن البيت كثيرًا، ولكنه يقود بيته بقبضة حديدية عندما يكون في البيت. لم يشعر «بيل» بالقرب من أيّ منهما، كان أهله من خلفية مسيحية محافظة بزيادة حيث كان الكتاب المقدس يُستعمَل كعصا للضّرب، وبدا اللّه الذين يعبدونه في حالة غضبٍ مستمر. يعيش «بيل» بعيدًا جداً عن اللّه اليوم.

« دايان» أمٌّ عزباء في منتصف العمر تشعر بمرارة كبيرة، فبعد عشرين عامًا من الزواج انهار عالمها كله، ساهم إدمان زوجها على العمل وافتقارها إلى الأمان في جعل حياتهما مملة، ودمرتها معرفتها بأنه على علاقة غرامية.

٤ متى ٥: ٣٨-٣٩

فقدت المنزل وتُركت وحيدة لتربي ولدين بمفردها. ولأنها وزوجها كانا بارزين في المجتمع، انتشرت قصتهما انتشار النار في الهشيم، فتركها أصدقاؤها كخرقة بالية. شعرت بالإساءة، فجُن جنونها وتساءلت أين «شعب الكنيسة» واللّه عندما تحتاج إليهما أشد احتياج.

كان «دون» على القطار السريع طوال حياته: عرف النجاح وحصل على ثروة متواضعة، وكان نجمًا ساطعًا في عالم الشركات. يمكنك أن تصف «دون» بالمكتفي ذاتيّاً. كان قادرًا على فعل أيّ شيء. يفكر دومًا بإيجابية، ويستمع إلى إسطوانات تعلّم عن المساعدة الذاتية، ويعمل لساعات طويلة، ويسعى جاهدًا للوصول إلى هدفه. ومع ذلك، فإنه يشعر بالفراغ العاطفي. ويشعر بألم فقدان المشاركة بحياة أولاده، والزواج الذي يبدو ناجحًا للغاية من الخارج انتقل من السطحية إلى الاضطراب.

يرى «دون» أن الأمور الدينية هي للمجانين وللأشخاص الذين هم بحاجة إلى عكّازٍ يتوكّأون عليه، إضافة إلى أنهم كلهم منافقون ساعون وراء المال وزناة. وهو يقرأ عن فضائحهم يوميًا في الجرائد والمجلات.

ماذا يلزمك لتصل إلى هؤلاء الأشخاص؟ ما الذي يحتاج اللّه إليه ليُظهِر محبته لأولئك الذين تخلوا وابتعدوا عنه؟ لن يستمعوا إلى كلامك أنت، لن يقرأوا كتبك المسيحية، ولن يستمعوا إلى إسطواناتك، أو يذهبوا إلى الكنيسة. لقد جُرِحوا في العمق وأغلقوا كل الأبواب. فما الذي يمكنه أن يكسر الصورة النمطية في أذهانهم عن اللّه والمؤمنين بالمسيح؟

تحويل محبتنا من القول إلى الفعل من خلال التّوحّد مع الآخر

الإجابة عنْ هذه الأسئلة موجودة في رومية ١٢: ١٤-١٦. فكما قلنا في الفصل السابق، تستطيع أن تماثل وتشابه الرب يسوع أكثر شبه عندما تعامل الآخرين بغير ما يستحقونه.

تعلّمنا أنه يجب أن نبارك الذين يضطهدوننا، وأن نبارك ولا نلعن. تبدأ هذه البركة بالغفران لأولئك الذين جرحونا وخانونا ورفضونا.

لكن عدا غفراننا لهم على أفعالهم، كيف تبدو مباركتهم؟ كيف يمكن للتابع الأصيل أن ينتقل إلى ما بعد موقف الغفران الحقيقي إلى الأعمال المحددة الخاصة بالمباركة؟ بعد أن أمر الكتاب المقدس المؤمنين بالمسيح في رومية ١٢:٤

«بَارِكُوا عَلَى الَّذِينَ يَضْطَهِدُونَكُمْ. بَارِكُوا وَلاَ تَلْعَنُوا.»

يشير إلى ثلاث وصايا محدّدة لتصرفاتنا؛ أول اثنتين منها موجودتان في الآية ١٥

«فَرَحًا مَعَ الْفَرِحِينَ وَبُكَاءً مَعَ الْبَاكِينَ.»

غالبًا ما تُقتبس هذه الآيات في سياق المحبة والرأفة اللتين يمتلكهما المؤمنون بعضهم تجاه بعض. ومع أنّنا فعلاً نفرح مع الفرحين ونبكي مع الباكين في جسد المسيح، فإنّ سياق هذا المقطع يوضح أن هذه أفعال نقوم بها بعد أن نبارك الذين يضطهدوننا.

وواقع الأمر هو أننا لا نحتاج إلى وصية لأن نفرح مع الفرحين حين يتعلّق الأمر بشخصٍ نهتم لأمره – إذ نفعل هذا بالطبيعة! عندما ينجب أحد أصدقائي أو أصدقاء أولادي طفلًا، لا أحتاج إلى وصية لأبتهج. فقلبي يمتلئ أساسًا بالابتهاج. وعندما أعلم أن أحدًا أحبُّه مصاب بالسرطان أو فقد وظيفته، لا أحتاج إلى وصية لأبكي معه. إذ أتجاوب بالغريزة بالتعاطف والشفقة بسبب علاقتي به.

«فَرَحًا مَعَ الْفَرِحِينَ وَبُكَاءً مَعَ الْبَاكِينَ» هي الطريقة العملية التي يجب أن نستجيب بها (نبارك) تجاه الذين يضطهدوننا، هذا مناقض للفطرة! ولكن قبل أن يتهمني عقلك بالجنون، أود أن أطلب منك أن تتذكّر كلمات الرب يسوع الأخيرة على الصليب: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ.»

تذكّر أيضًا ما قاله أستفانوس عندما رجمه رجال الدين اليهود بالحجارة: «يَارَبُّ، لاَ تُقِمْ لَهُمْ هذِهِ الْخَطِيَّةَ.» لم يغفر لهم فحسب، بل باركهم بكلماته وأفعاله. أترى؟ التعاطف القلبي مع غير المؤمنين هو إظهارٌ واضح لرحمة اللّه ونعمته نكون. أكثر شبهًا بالرب يسوع عندما نعامل الآخرين بغير ما يستحقونه حقًا. والخطوة الأولى هي الغفران.والثانية هي التّوحّد – أي الشعور بآلام الآخرين وتجاربهم، إنه البكاء عندما يبكي مضطهدونا والفرح حين يفرحون. هل يمكنك أن تتخيل ما يمكن أن يحدث لو تبعت مثاله بنعمة اللّه الرّائعة وابتهجت (عندما يكون الأمر ملائمًا) مع أولئك الذين آذوك؟ لقد أدرجت بعض المناسبات والظروف الأوقات العملية لأبتهج. سأبتهج عند ...

> نكون أكثر شبهًا بالرب يسوع عندما نعامل الآخرين بغير ما يستحقونه حقًا.

- ولادة طفل جديد
- الشفاء من المرض
- الزواج
- الحصول على ترقية
- شراء منزل جديد
- أخذ عطلة طال انتظارها
- التخرّج
- إتمام هدف طالما سعى إليه

هذه أحداث هامة في حياتنا، تخيّل ما يمكن أن يحدث حين تترك ملاحظة لطيفة لمن آذاك، أو تضحك معه وتستمع إلى قصصه، أو تسأله عن رحلته، وتدعه يختبر ثانية هذا الفرح أمامك. وإن كان الأمر مناسبًا، يمكنك حتى أن تقدم له هدية، أو أن تأخذه لتناول الطعام خارجًا، وتسأل اللّه أن يبارك فرحه. إذا بدا لك هذا الأمر غريبًا، ففكّر للحظة بما فعله الرب يسوع: «إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ.»[٥]

ومع ذلك، نراه يحضر ويبتهج في العرس، يأكل ويتواصل مع أعدائه، حتى إننا نراه يشفي أعضاء في المؤسسات الدينية والرومانية المعادين لرسالته. لا يمكن لشيء أن يكسر الحواجز والأفكار المسبقة عن «المسيحية والمؤمنين بالمسيح» أكثر من التعامل معهم كما تعامل الرب يسوع مع أعدائه.

كما أنّ هناك فرصاً ممتازةً لتظهر فيها محبة المسيح وغفرانه للذين يضطهدوننا خلال أوقات الألم والبكاء. خذ بعين الاعتبار طريقة تجاوبك مع شخصٍ ما جرحك أو آذاك حين تحصل في حياته أحداث مثل:

- موت أحد الوالدين
- موت ابن
- موت صديق مقرب
- فقدان العمل
- تخفيض رتبته في العمل
- مصاعب مع مراهق
- زواج متقلقل
- طلاق
- مرض، وبشكل خاص إذا كان السّرطان أو مرض مجهول
- حادث سيارة

ما هي الرّسالة التي يمكن أن تنقلها للذين ظلموك إذا أخذت بعض الوقت لتبقى معهم، وتبكي معهم، وتستمع إليهم، وترسل إليهم ملاحظات، بل وتصلي من أجلهم، برأيك؟ تذكّر أن الآية تقول: «وَبُكَاءً مَعَ الْبَاكِينَ.» لا تعظهم. التوحّد هو باب المحبة. فلا تقحم نفسك، بل دعهم هم يفتحوا الباب. لا تكن لجوجًا، بل جاهزًا ومتاحًا. سيأتي وقت الكلام لاحقًا، عندما نفرح مع الفرحين ونبكي مع الباكين، نصبح قنوات لنعمة الرب، حيث ينتصر الخير على الشر.

٥ يوحنا ١: ١١

ومع ذلك، فيما أنت تفكّر بالاقتراحات السابقة فإني أنبّهك إلى ضرورة أن تستخدم المنطق السليم الكتابي وتتّبع حدود الحكمة حين يقتضي الأمر. مع أننا نود أن نبكي مع الباكين، فقد تكون المحاولة غير لائقة إن فعلنا ذلك مع من أساء إلينا جسديًا أو جنسيًا في الماضي.

فهناك حالات كثيرة يكون فيها من غير اللائق بالمرّة أن نسمح بأي نوع من التواصل الشخصي مع الآخر. ومع ذلك، فإن إرسال رسالة قصيرة، أو القيام بفعل صغير يتيح للخير أن ينتصر على الشر يمكن أن يكون مناسباً إن سألت اللّه أن يريك كيف تعامل الآخرين بطريقة لا يستحقونها.

فهؤلاء الذين وصفتهم في بداية هذا الفصل لن يتأثروا بضخامة المباني التي نسكنها أو قوّة حججنا المنطقية. فالأشخاص الذين تخلوا عن اللّه، وكثيرون منهم آذوك وتسبّبوا بألمك، لا يتجاوبون مع نعمة اللّه إلا إنْ رأوها بأم عيونهم ولمسوها وهم عالمون أنهم غير مستحقين لها.

كن حذراً من الفريسي الموجود في كلّ واحد فينا

يعطينا اللّه أيضًا وصية ثالثة لمساعدتنا على تهديم الجدران بيننا وبين من هاجمونا. في الآية ١٦ يقول:

> «مُهْتَمِّينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ اهْتِمَامًا وَاحِدًا، غَيْرَ مُهْتَمِّينَ بِالأُمُورِ الْعَالِيَةِ بَلْ مُنْقَادِينَ إِلَى الْمُتَّضِعِينَ (أصحاب المكانة الوضيعة). لاَ تَكُونُوا حُكَمَاءَ عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ.»

لاحظ أنه ينهي وصيته هنا بـ«لا تكونوا حكماء عند أنفسكم.» قد تبدو هذه الآية للوهلة الأولى وكأنها خارج السياق مع ما سبق وأوصانا اللّه به في الآيات السابقة.

ولكن إن تمعّنت بها جيدًا فإن أحد أكبر الأخطار المحدقة في تطبيق هذه الوصية في علاقاتنا الحاضرة أن نتصرف بدهاء متكلين على برنا الذاتي ومتوهمين بأننا أفضل من الآخرين كثيراً.

لو تُرك الأمر لنا للجأنا إلى تشويه أعمال الآخرين بطريقة يرثى لها وخلق عالم نبدو فيها نحن الصالحين وكل من آذانا هو الشرير. فنحن نميل إلى أن نبرّر أخطاءنا بسرعة أو المرّات التي جرحنا نحن فيها الآخرين، ووخزناهم بكلامنا القاسي، واغتبناهم، أو بررنا تصرفنا الشخصي السيئ بالقول: «هو مستحق كلّ ما يحصل معه». أوصانا اللّه بأن نكون

> «غَيْرَ مُهْتَمِّينَ بِالأُمُورِ الْعَالِيَةِ بَلْ مُنْقَادِينَ إِلَى الْمُتَّضِعِينَ».

لا يجب أن يكون هناك أيّ روح استعلاء وتكبّر في أعمالنا أو تصرفاتنا بينما نتواصل مع الذين أساؤوا إلينا أو الذين يختلفون عنّا. كم مرة سمعت مؤمناً بالمسيح يتكلم عن مؤمنين آخرين أو طوائف مسيحية أخرى بسلوك ونبرة صوت توحي للسامع بوضوح بأن من يتكلم عنهم هم

أقل روحانية منه؟ إن نقيض «غَيْرَ مُهْتَمِّينَ بِالأُمُورِ الْعَالِيَةِ» هو في العبارة اللاحقة « بَلْ مُنْقَادِينَ إِلَى الْمُتَّضِعِينَ».

المعنى الحرفي لكلمة «متضع» هنا هو «الوضيع (الذليل) الذي من دون لقب أو مركز». في الحقيقة، يستخدم الرسول بولس هذا التعبير في الحديث عن نفسه في ٢ كورنثوس ١٠: ١-٢:

«أيضًا ثُمَّ أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ بِوَدَاعَةِ الْمَسِيحِ وَحِلْمِهِ، أَنَا نَفْسِي بُولُسُ الَّذِي فِي الْحَضْرَةِ (وضيع) ذَلِيلٌ بَيْنَكُمْ، وَأَمَّا فِي الْغَيْبَةِ فَمُتَجَاسِرٌ عَلَيْكُمْ.»[٦]

استخدمت مريم أيضًا هذا التعبير في تمجيد اللّه:

«أَنْزَلَ الأَعِزَّاءَ عَنِ الْكَرَاسِيِّ وَرَفَعَ الْمُتَّضِعِينَ.»[٧]

ووصف الرب يسوع نفسه بال«الوديع» و«متواضع القلب» أليس الأمر مدعاةً للسخرية أن الرب يسوع الثوري كان مرتاحًا في تعامله مع الملوك والشحاذين والزانيات وحثالة المجتمع؟ ومع هذا، تشير الإحصاءات الحديثة إلى أن غير المؤمنين (ولاسيما الشباب) يصفون المؤمنين بالمسيح بأنهم منافقون وميالون إلى إدانة الآخرين ولا يعيشون كمسيحيين.كيف نغيّر هذا الأمر؟ كيف يمكن أن نشابه المؤمنين بالمسيح، ونعيش كمؤمنين بالمسيح عندما نتعرض للافتراءات والظلم والخيانة؟

أين يمكننا أن نقرأ في الكتاب المقدس لنتعلم كيف نغفر ونبارك الذين جرحونا بعمق واضطهدونا؟ إن الصورة التي تأتي إلى ذهني الآن هي صورة «يوسف». فمنذ حداثته، تسبّب تفضيل أبيه له في حسد إخوته وغيرتهم منه، الأمر الذي قادهم إلى أن يرموه في البئر، ويهددوا حياته، ويبيعوه كعبدٍ للمصريين.

ورغم اختبار يوسف لنوافذ من نعمة اللّه، أمضى معظم سنوات شبابه الأولى في سجن رطب، يسترجع ألمه من بيعه كعبد من قبل عائلته، واتهامه زورًا بمحاولة اغتصاب. وفوق كلّ ذلك، نسيه الأشخاص الذين ساعدهم في السجن.غير أن اللّه لم ينسَ يوسف.

كان كل ما فعله الناس به خطأً، كان شرًا، لكن صلاح اللّه أقوى من أي سهم من سهام الشرير المتجهة نحوك. أخذ اللّه، كلي السيادة والسلطان، الشر الموجه نحو يوسف واستخدمه

لمصلحة يوسف ولخيره ولخلاص آلاف الأرواح. وفي التوقيت المناسب، فسّر يوسف حلم فرعون وأصبح ثاني أعظم رجل في مصر لتحضير مصر والأراضي المجاورة لاجتياز سني المجاعة الكبيرة القادمة.

٦ ٢ كورنثوس ١٠: ١-٢
٧ لوقا ١: ٥٢

وخلال هذا الوقت، سقط أعداء يوسف، إخوته، من دون أن يعلموا هويته عند قدميه وصرخوا طلبًا للمساعدة. استطاع يوسف من خلال نعمة اللّه الفائقة وسنين من الشفاء أن ينظر إلى إخوته بعين دامعة ويقول لهم:

> أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا، أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا، لِكَيْ يَفْعَلَ كَمَا الْيَوْمَ، لِيُحْيِيَ شَعْبًا كَثِيرًا. فَالآنَ لَا تَخَافُوا. أَنَا أَعُولُكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ. فَعَزَّاهُمْ وَطَيَّبَ قُلُوبَهُمْ.»[٨]

تُظهر حياة يوسف القوة الفائقة لإعطاء الآخرين ما لا يستحقونه. وكما يظهر من حياته، استغرق الأمر طويلًا ومثابرة كبيرة لتغيير قلوب الناس المتحجرة. نحن لا نملك القوة اللازمة لتغيير الأشخاص، لكن لدينا القوة لمحبتهم بطريقة تجعل من المستحيل بالنسبة لهم أن يفهموا هذه المحبة من دون نعمة اللّه!

إنّها خطوتك الخاصة- أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢

٨ تكوين ٥٠: ٢٠-٢١

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

ما الذي كلّمك به هذا الفصل؟

تأمّل (Reflect)

أي جانب من تعليم رومية ١٢ كان الأصعب في قبولك له؟ لماذا؟

افهم (Understand)

كيف يمكن أن يبدو الأمر في أن تبتهج (أو تنوح) مع الأشخاص الذين أساؤوا معاملتك؟

سلّم (Surrender)

اسأل اللّه أن يريك مشيئته في تطبيقك لهذا الحق في حياتك ضمن ظروفك الخاصة.

اتخذ إجراء (Take Action)

اختر من لائحة مراحل الغفران وبارك أعداءك هذا الأسبوع.

الدافع (Motivation)

حدد وقتًا للاستماع إلى الرسالة الصوتية والمرئية على الموقع:
www.levantmedia.com/TS

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

فكّر بشخصٍ خانك أو جرحك ظلمًا، وشارك معه رومية ١٢، مثلما فعل جيمي (صديقي الناضج روحيًا) معي.

الفصل الرابع والعشرون

هل يمكن أنك تلعب «دور اللّه» من دون أن تدري؟

بَلْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَأَحْسِنُوا وَأَقْرِضُوا وَأَنْتُمْ لاَ تَرْجُونَ شَيْئًا، فَيَكُونَ أَجْرُكُمْ عَظِيمًا وَتَكُونُوا بَنِي الْعَلِيِّ، فَإِنَّهُ مُنْعِمٌ عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالأَشْرَارِ. فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ أَيْضًا رَحِيمٌ.[٩]

- يسوع الناصري

كيف تتصرف عندما يصيبك السهم؟ كيف تكون ردة فعلك عندما تتلقى معاملة قاسية؟ عندما تتعرض للغشّ في صفقة عمل؟ عندما يغتابك أحدهم وينشر الإشاعات المغرضة التي تدمر سمعتك؟

ماذا يفترض بك فعله عندما يربح أحدهم ميدالية أو مسابقة، أو فتاة الأحلام، وأنت تعلم أنه غشّ وخداع؟ كلنا نواجه حالات ومواقف في الحياة نُظلم فيها، ويتم خداعنا، ولا نُعامَل بإنصاف. لكن كيف يُفترَض بنا أن نرد، كأتباع للمسيح؟

تعلّمنا في الفصل السابق كيف نكسر دائرة الشر المفرَغة بمباركة مضطهدينا. والآن يحذرنا الرسول بولس وكأنه قادرٌ على قراءة أفكارنا، من السقوط في فخ «الانتقام».

كان هذا ردّ فعلي الأول عندما هدّدني جيمي في فريق كرة السلة في الجامعة، وبعد أرق ليالٍ عديدة وغضب مستعر في داخلي، توصلت إلى حكمة رومية ١٢: ١٧–٢٠

٩ لوقا ٦: ٣٥–٣٦

لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ. مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ قُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ. إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ. لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ:»لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ. فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ.»

محاربة النار بخرطوم يضخُّ البنزين ... أمر غير مُجْدٍ

يندفع هذا المقطع في نفسيتنا الداخلية مع مجموعة من الوصايا السلبية المقدّمة بأسلوب النّهي- «لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ.» وبكلمات أخرى: لا تحارب الشر بالشر. وإذا فاتك مغزى الآية ١٧، لاحظ الوصية في الآية ١٩:

«لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي، يَقُولُ الرَّبُّ.»

وبعبارة أخرى، فإن الانتقام الشخصي رد فعل ممنوع على شعب الله. فرغم أن كل ما فينا يرغب بالانتقام ممن سرقنا أو خدعنا أو آذانا، يحذرنا روح الله بوضوح من هذا التصرف.

والواقع هو أن الانتقام الشخصي يشبه محاربة النار بخرطوم يضخ البنزين. كل ما يفعله هو صب الوقود على النار. قد نظن أن الانتقام من هذا الشخص سيُشعرنا بالرضى، لكن العكس هو الصحيح. إذ ستتفاقم المشكلة وتجرّنا نحو الشرّ نفسه. بعد هذه الوصية، تقدم لنا الآيتان ١٧ و ١٨ طريقتين لنتعامل بها مع الناس في العالم الساقط. الأولى هي تدبير وقائي:

الانتقام الشخصي رد فعل ممنوع على شعب الله.

«لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ. مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ قُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ.»

تحمل كلمة «معتنين» معنى الانتباه لما هو صحيح في عيون الآخرين.

غالبًا ما نضع أنفسنا، كمؤمنين بالمسيح، في مواجهة الشّرّ بسذاجتنا، فمن شأن تفكيرنا سلفًا بما هو صحيح في عيون الآخرين أنْ يجنّبنا الكثير من المواقف السلبية التي قد نواجهها. علينا أن نكون حكماء كالحيّات وبسطاء كالحمام. لا يمكننا أن نطلب من العالم أو نتوقع منه أن يعيش بحسب قيمنا وأخلاقياتنا. وفي واقع الأمر، لا يستطيع العالم أن يفعل هذا الأمر.

إذًا لماذا نندهش من الأنانية والطمع والطعن في الظهر وعدم الوفاء بالوعود والتهرب من الدفع وخيانة الثقة أو استخدام المعلومات التي شاركناها معهم ضدنا؟ فعلى نقيض ذلك، علينا أن نراعي في علاقاتنا بالذين هم خارج المسيح ما هو صحيح في أعينهم. وبالنسبة لكثيرين، ليست السرقة والكذب مشكلة إلا إذا فُضِح أمرَهم. وبالنسبة لآخرين، تشكل الغيرة والحسد وفعل كل ما يلزم للحصول على مبتغاهم أسلوب حياة.

نبّهنا الكتاب المقدس إلى ضرورة أن ننتبه بشأن طريقة تفكير الآخرين، عالمين أن كلّ شخص يتصرف بطريقة مفهومة ومعقولة بالنسبة له. وبهذه الطريقة، سنجد أنفسنا أقل عرضة لوقوع الشرّ علينا.

سنختبر جميعًا شرًا كثيرًا خلال فترة حياتنا، لكن أتباع المسيح الحكماء يمكنهم منع الكثير منه بتطبيق نصيحة الرسول بولس لحياتنا.

استجابتنا تعكس صورة الرب الذي نخدمه

بعد أن تعطينا الآية ١٨ بعض الحكمة بشأن منع الشرّ، تقدم لنا مقياسًا محسوسًا لتقليل المشاكل في العلاقات: «إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ.»لاحظ أن الهدف الأساسي هو أن نسالم الجميع، وأن نعيش بتناغم معهم – مؤمنين وغير مؤمنين. لماذا؟ ستكون لشهادتنا أهمية أكثر من حقوقنا. وطريقة استجابتنا للظلم والهجمات الشخصية أكثر أهمية من محاولتنا الجاهدة لإثبات أننا على حقّ. كان هذا أقسى درس تعلمته في حياتي. أنا مهووسٌ بالعدالة. «لا أريد ترك الأمر حتى يعلم الجميع ما حصل حقًا وأننا قد أصلحنا الأمر!» ومع ذلك، تعلّمت عبر السنين حكمة « ترك الأمر كما هو». وجدت راحة وسلامةً في معرفة أن الله يعلم كل شيء، وأنه عادل، وأنه حتى في هذا العالم الساقط الذي نعيش فيه لا يزال هناك أشخاص صالحون يقومون بأعمال قد تدهشك. لهذا دعني أشجعك بقولي لك: دع الأمور الصغيرة كما هي، دع الله يتولّها عنك. ضعها بين يديه ودعه يتصرف بما يراه مناسباً.

لكن، أرجو ألا تأخذ هذه النصيحة فتقبل أيّ شيء وكيفما كان فتصير مداساً للجميع. فالله يعطينا قواعد ثابتة تحكم سعينا وراء السلام في علاقاتنا. فالعبارة الأولى، «إِنْ كَانَ مُمْكِنًا»، تنبهنا إلى أن الأمر لن يكون دائمًا ممكنًا عندما تكون القيم والأخلاق ومصلحة الآخر على المحك. ليس علينا أن نساوم على شهادتنا أو على سمعة وصيت الله من أجل أن نسالم. هناك أوقات في الحالات القانونية أو في العلاقات العائلية عندما لا يكون فيها السلام ممكنًا. لا يدعو الكتاب المقدس إلى عقلية «السلام بأي ثمن». ولكنه يأمرنا بأن نبذل جهدنا لنأتي بالسلام في محيط نفوذ دائرة علاقاتنا.

فالهدف إذًا، حتى في عالم معوج وظالم، هو أن نسعى إلى أن نعيش بسلام وتناغم مع الذين يعيشون حياة تتناقض مع الحق. لكن هناك قاعدة صلبة عليك أخذها بعين الاعتبار في سعيك إلى السلام: «فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ.» تقع المسؤولية علينا بأن نحرص على ألا نكون نحن مثيري الخصومة والصّراع وذلك لأجل الإنجيل. ففي بعض الحالات يكون الصراع لا مفر منه، ولكن احرص على أن لا تكون من يثيره. وفي عالم يعج بالثأر الشخصي (غضب القيادة على الطرقات والعنف العائلي)، تنمو الأمور الصغيرة لتصبح أكبر من حجمها، يدعونا الله إلى أن نكون صانعي سلام حيثما استطعنا.

بينما كنت أكتب كتابي هذا في مكتبي الذي في المنزل، تساءلت إن كنا نعلم كم عدد الأقرباء الذين توقفوا عن الكلام بعضهم مع بعض بسبب شيءٍ ما حدث منذ سنين طويلة. وكم بيئة عمل تصدّعت وعلاقات عمل تدمرت لأن الشر قد رُدّ عليه بالشر! كم من كنيسة فسختها الصراعات والانقسامات بسبب حب الانتقام والخلاف السياسي!

إن موافقتك الذهنية على أن الثأر خطأ وآثم هو شيء، وعدم القيام به هو أمرٌ آخر. وحتى ولو لم نقصد أن نؤذي الآخر صراحة، هناك طرق كثيرة نحاول فيها أن نثأر بسبب أذيتهم لنا.

لا تقلق – اللّه يحميك

قد تكون قد قطعت شوطًا أبعد مني في الإيمان، لكن لديَّ مشكلة حقيقية في عدم محاولتي الثأر من الأشخاص المستحقين لذلك. فأحد أكثر الأمور التي تقلقني في الحياة الظلم أو الشر المقصود الموجَّه إليّ أو إلى شخصٍ أحبّه. كلّ ما فيّ يصرخ حينها يريد الثأر والانتقام حالًا!

وما ساعدني أكبر مساعدة في هذه الناحية هو الآيتين ١٩ و٢٠ من رومية ١٢. ففي هاتين الآيتين، يوفّر اللّه لنا أسبابًا موجبة لتجنب سعينا للثأر الشخصي.

السبب الأول، تبيّن الآية ١٩ أنك تغتصب سلطة اللّه كقاضٍ عادل عندما تثأر لنفسك:

> «لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي، يَقُولُ الرَّبُّ.»

«أنا القاضي أنا وسأتولى هذه المسألة.» هذا هو مفاد ما يقوله لنا اللّه، عندما تتولى الأمر بنفسك، فإنك تأخذ عملاً التزم اللّه بإتمامه وحده. اللّه هو الديان العادل وسيتولى هو بنفسه تحقيق العدالة سواء أكان ذلك على هذه الأرض أم في الحياة الأخرى، ويأمرنا بأن نبقى بعيدين عن حَلَبة الثأر. وهو من سيتولى القتال عنا. عندما أدركت أن اللّه يتحمل مسؤولية شخصية ليضمن تحقيق العدالة – تعلمت أن أترك الأمر له.

السبب الثاني يرد في الآية ٢٠:

> «فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ.»

وبكلمات أخرى: الثأر الشخصي هو وسيلة غير فعالة لتحقيق السلام، ففي نهاية المطاف، عندما أبادل الشر بالشر، سيتضاعف الشر! والردّ على الإساءة بالشرّ يجعل الأمر أسوأ.

وهناك علاج واحد لإيقاف الشر: «فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ.» هذه صورة عما فعله الملك داود مع شاول في ملوك الثاني ٦ وأيضًا في صموئيل الأول ٢٤: ١٢ عندما عفا عن حياة شاول ردّاً على محاولة شاول بأن يقتله.

حتى الأشرار يفهمون عندما لا يتلقون جزاء أفعالهم. لقد شعر شاول بالخجل من رد فعل داود:

«ثُمَّ قَالَ لِدَاوُدَ: 'أَنْتَ أَبَرُّ مِنِّي، لأَنَّكَ جَازَيْتَنِي خَيْرًا وَأَنَا جَازَيْتُكَ شَرًّا'».[١]

رفع شاول صوته وبكى، هذه صورة الرجل الذي تلقى خيرًا عوضًا عن شر أفعاله، وكنتيجة حتمية لذلك الأمر، أدرك دوافعه الشخصية وشعر بالحزن والعار. وفي حال شاول كان الحزن قصير الأمد، لكن يوضح لنا المقطع أن الله كلّمه بطريقة قوية من خلال رأفة داود ورفضه تحمُّل مسؤولية الثأر لنفسه أو الرّد على الشر بالشر.

إحدى أكثر العبارات التي يساء فهمها في رومية ١٢ هي: «لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا(الرد بالخير على الشر) تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ.» ليست هذه صورة للرد بالخير على الإساءة كي يستطيع الله أن يحرق دماغ الشخص المسيء بالجمر.

يرجع أصل هذه العبارة إلى طقوس مصرية قديمة حيث كان الرجل يكفّر عن ذنوبه بحمل صحن ممتلئ بجمر نار على رماد على رأسه. فعندما يدرك أحدهم أنه على خطأ، يأخذ من جمر النار ويضعه في وعاء، ويضع منشفة على رأسه، ويحمل الوعاء عبر القرية، معلنًا أنه يحرق أفكار الماضي الشريرة. وبتعبير آخر، كان هذا العمل اعترافًا بالخطأ وإظهارًا للتوبة عن فشل الماضي.

محبة العدو – إطعامه عندما يجوع وإعطائه ماءً ليشرب حين يعطش– أكثر حجة على صحّة المسيحيّة على وجه الأرض. أن تحب الناس غير المستحقين لهذه المحبة بطريقة لا يستحقونها ولا يتوقعونها أمر يمكن أن يخترق أكثر القلوب قساوة ويُظهر حقيقة الله الحي بشكلٍ لا مثيل له في العالم أجمع.

دعني أشجعك على أن ترفض أن تحلّ وتعالج الأمور بنفسك. ارفض أن ترد على الشر بالشر، وارفض أن تنشر الأقاويل عمن نشر الأقاويل عنك. ارفض الممارسات غير الأخلاقية كي تثأر ممن كذب عليك وخانك. لا تنتقم لنفسك، اترك مجالًا لغضب الله.

والخيار سهل للغاية: إما أن تختار أن تثأر لنفسك أو أن ترمي الكرة في ملعب الرب وتقول له: سأدعك تقرر ما يستحقّه هذا الشخص، سأعامله بالطريقة التي عاملتني أنت بها مع أن كلّ جزء مني يريد الثأر!» هل هذا الأمر سهل؟ كلا بالتأكيد! هل يأمر الله بهذا كي يأتي بالسلام إلى العلاقات التي كانت على خلاف لسنين طويلة؟ نعم بالتأكيد! أريدك أن تفكر تحديدًا بكيف ينطبق هذا المقطع عليك، فكّر ببعض الطرق (حتى الماكرة منها) التي رددت بها الشر بالشر وتريد أن تتوب عنها. اسأل الله أن يعطيك أفكارًا خلاقة لتعبّر بها عن أفعال لطفٍ ومحبة محدَّدة تجاه أولئك غير المستحقين مطلقاً.

الخيار سهل للغاية: إما أن تختار أن تثأر لنفسك أو أن ترمي الكرة في ملعب الرب.

١٠ ١ صموئيل ٢٤: ١٧

أريدك أن تكرم كلمة الرب فوق كل مشاعرك العاطفية المتعلقة بالخيانة والجراح، مثلما فعل داود مع شاول. بينما تفعل هذا الأمر، ستختبر نعمة وتحريرًا لم تعرفهما قبلاً. ستتبدد مشاعر المرارة وحبّ الانتقام، يمكنك أن تثق بأن العدالة الكاملة ستتحقق لأنك سلّمت مسؤولية الثأر للقاضي الصالح الوحيد الذي يعلم كل جوانب القضية، ولأن الصلاح والعدل هما ميزته وطبيعته.

بينما نختم هذا الفصل، قد تتبادر إلى ذهنك بعض الأسئلة. إذا لم نثأر من أولئك الذين أساؤوا إلينا، هل يعني هذا أن نكافئ لصوص البنوك ونبتاع الطعام للمجرمين؟ ماذا لو أن أحدهم أعطانا بضاعة مزورة وخرق القوانين؟ هل يعلمك هذا المقطع أن تمتنع عن ملاحقتهم أو الإبلاغ عنهم للسلطات؟ تأتي الإجابة عن هذه الأسئلة في الفصل القادم، لكن الإجابة المختصرة هي «لا». تطلب رومية ١٢ منا بوضوح أن لا نثأر لأنفسنا في علاقاتنا الشخصية.

غير أن رومية ١٣ توضح لنا أن: اللّه هو من يضع السلطات والحكومات لتحقيق العدالة. ويكمن الفرق في أن رومية ١٢ تعالج الخصومات الشخصية، بينما رومية ١٣ تعالج الخصومات المدنية والسلوك الإجرامي.

والسؤال الآخر الذي قد تطرحه يتعلّق بالتطبيق العملي. هل ينجح هذا الأمر حقًا؟ ألن أتحول إلى ممسحة قدمين إن لم أدافع عن نفسي؟ كيف يمكن أن أكون قويًا وأن أشابه المسيح في نفس الوقت عندما يتعلق الأمر بالشر الموجَّه إلينا؟

سأنهي في الفصل القادم قصتي مع جيمي، زميلي في الجامعة الذي هدد بأن يقتلني.

سأشارك معكم الطرق المحددة التي تضع هذا المقطع قيد التطبيق بحيث ترى بالفعل قوة اللّه. إن أطعمنا أعداءنا عندما يجوعون وسقيناهم عندما يعطشون، نطلق صلاحًا وخيرًا حتى في أشنع العلاقات، فنرى حتمًا قوة التغيير.

إنّها خطوتك الخاصة – أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

لماذا يمنع اللّه الانتقام الشخصي أو الثأر؟

تأمّل (Reflect)

ماذا يحدث لو قابلنا الشر بالشر؟ متى فعلت هذا؟ ما كانت النتيجة؟

افهم (Understand)

كيف يمكنك أن تتحمل أن تدع المسيئين إليك ينجون بفعلتهم؟ ما هو دور اللّه؟ ما هي وعوده؟

سلّم (Surrender)

اسأل اللّه أن يساعدك على تسليمه «العدالة» ليتصرف هو بالأمر. صلِّ هذا الأسبوع، مطلقًا بالكامل أيّة رغبة في الانتقام ومسلمًا ذلك الشخص الذي أخطأ بحقك وكل نتائج أفعاله إلى اللّه.

اتخذ إجراء (Take Action)

توقَّف عن التفكير أو القول أو التمنّي بحصول الأشياء السيئة لعدوك. لا تدع هذه الكلمات تخرج من فمك وارفض أن تدعها تبقى في عقلك.

الدافع (Motivation)

فكِّر بأن تحفظ رومية ١٢: ١٩– ٢١ غيبًا. اقرأها بصوت مسموع كلّ مرة تميل فيها إلى الأفكار المنتقمة أو إلى قَوْل الأشياء السلبية عن ذلك الشخص.

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

فكّر بشخصٍ ما في الكنيسة أو العمل أو حيّك عاملك بظلم أو قساوة. اسأل اللّه أن يريك طريقة ملموسة لتدعمه – رسالة قصيرة، أو هدية، أو دعوة لتناول العشاء، أو أذنًا صاغية.

الفصل الخامس والعشرون

هل أنت مستعد لأن ترى اللّه وهو يعمل المستحيل؟

«يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ». وَإِذِ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ اقْتَرَعُوا عَلَيْهَا.[١١]

- يسوع الناصري

لنبدأ وقتنا معًا بلعبة أحب أن أسميها: «ماذا علي أن أفعل؟»

السؤال: يتحرش مديري في العمل بي جنسيًا، لقد تجنبته قدر الإمكان، لكنه أوضح لي نيّاته والنتائج المترتبة إن لم أخضع له. لكنه يفتتح كل اجتماعاتنا بالصلاة، وهو قائد في كنيسة محلية، ولديه دائمًا كتاب مقدس على مكتبه. لو كان حقًا أخًا بالمسيح، أأكون قد رددت الشر بالشر إن أبلغت عنه دائرة العلاقات العامة في المؤسسة؟

الجواب: كلا. لا تعد هذه المسألة انتقامًا شخصيًا، بل تتطلب سياسة منظمة. بعد أن عبّرتِ عن رأيك بلطف وتكلمت الحق، لا يعد هذا التعدي شخصيًا، بل يتعلق بكرامة المؤسسة والحماية لك وللآخرين.

السؤال: انفصل زوجي عنّي منذ ثلاث سنين ولم يساعدني ماديًا قط في إعالة العائلة. هل من الخطأ أن أذهب إلى المحكمة أو أُعلِم السلطات بالأمر على ضوء رومية ١٣: ١٤-٢١؟

١١ لوقا ٢٣: ٣٤

الجـواب: كلا. لقـد خـرق زوجـك القانـون ومـن مسـؤولية المحكمـة أن تُطبّـق القانـون، هـذه مسـألة مدنيـة، ليسـت شـخصية ولا خاصـة. إن موقفـك تجـاه زوجـك المنفصـل عنـك هـو مسـألة تتعلّـق برومية ١٢، بينما إهماله في إعالة الطفل هو مسألة تتعلّق برومية ١٣.

فـي الحالتيـن السـابقتين، هنـاك تطبيـق لرومية ١٢ و لرومية ١٣. رومية ١٢ موجَّهـة لمنـع الانتقـام الشـخصي والثـأر لجـراح أو أذى أصابـك. علينـا أن نبـارك الذيـن يلعنوننـا، وأن نرفـض أن نـرد علـى الشـر بالشـر، وأن نفعـل الخيـر لمـن أساؤوا إلينـا. هـذا الـرد تجـاه الاعتـداءات الشـخصية غيـر مألـوف ويتطلـب الكثيـر مـن النعمـة. لكـن عندمـا تطيـع، سـيحميك هـذا مـن سـمّ المـرارة وسـيطلق قـوة اللّه لتعمـل فـي قلـب مضطهديـك.

وفي المقابل، فإن رومية ١٣ تعالج موضوع تحقيق اللّه للعدالة في الأمور المدنية و/ أو الجنائية:

> لِتَخْضَعْ كُلُّ نَفْسٍ لِلسَّلاَطِينِ الْفَائِقَةِ، لأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلاَّ مِنَ اللهِ، وَالسَّلاَطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرَتَّبَةٌ مِنَ اللهِ، حَتَّى إِنَّ مَنْ يُقَاوِمُ السُّلْطَانَ يُقَاوِمُ تَرْتِيبَ اللهِ، وَالْمُقَاوِمُونَ سَيَأْخُذُونَ لأَنْفُسِهِمْ دَيْنُونَةً فَإِنَّ الْحُكَّامَ لَيْسُوا خَوْفًا لِلأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بَلْ لِلشِّرِّيرَةِ. أَفَتُرِيدُ أَنْ لاَ تَخَافَ السُّلْطَانَ؟ افْعَلِ الصَّلاَحَ فَيَكُونَ لَكَ مَدْحٌ مِنْهُ، لأَنَّهُ خَادِمُ اللهِ لِلصَّلاَحِ! وَلكِنْ إِنْ فَعَلْتَ الشَّرَّ فَخَفْ، لأَنَّهُ لاَ يَحْمِلُ السَّيْفَ عَبَثًا، إِذْ هُوَ خَادِمُ اللهِ، مُنْتَقِمٌ لِلْغَضَبِ مِنَ الَّذِي يَفْعَلُ الشَّرَّ.[١٢]

تصبـح الأمـور أكثـر صعوبـة عندمـا تتعلـق بالناحيتيـن الخاصـة والمدنيـة/ الجنائيـة معـاً. هنـاك أوقـات وظـروف يجـب علينـا فيهـا أن نتأكـد مـن أن نيّـات قلبنـا سـليمة، ونسـامح المعتـدي، ونسـعى حتـى إلـى فعـل الخيـر لهـم عندمـا يكـون الأمـر ممكنًـا، بينمـا نقـدِّم الشَّـكوى القضائيـة فـي نفـس الوقـت، ونبلّـغ عـن التصرفـات الجنائيـة، ونمـارس أحـكام القانـون.

هنـاك مثـالٌ كبيـر علـى هـذا الأمـر وهـو مـا حصـل فـي مجتمـع «الأميـش» عندمـا كان ضحيـة لمسـلح مختـل. ففـي لحظـة يـأس، أخـذ رهائـن فـي مدرسـة صغيـرة. اتصـل الأميـش بالسـلطات (الشـرطة) لتنفيـذ العدالـة ولمحاولـة تحريـر الأطفـال المحتجزيـن.

تعاونـوا بالكامـل مـع الشـرطة فـي محاولـة منهـم لإنقـاذ الأطفـال. وقَتَـل هـذا المسـلح المختـل سـبع أو ثمانـي بنـات صغيـرات ومـن ثـم قتـل نفسـه لاحقًـا فـي أعمـال هـزت وسـائل الإعـلام. سـامح قائـد الأميـش فيمـا بعـد المسـلَّح وصلّـى مـن أجـل زوجتـه وعائلتـه بعـد أن قُتـل، وفـي هـذه الحالـة، ردوا علـى الشـر الموجـه ضدهـم بطاعتهـم لكلمـات رومية ١٢ و١٣.

إن كانـت لديـك أسـئلة شـائكة عـن الوقـت أو الظـرف الـذي يجـب فيـه أن تُطبـق رومية ١٢ أو رومية ١٣، أشـجعك علـى أن تتكلـم مـع راعـي كنيسـتك أو أي شـخص مؤمـن ناضـج بالمسـيح عـن حالتـك الخاصـة.

١٢ رومية ١٣: ١– ٤

ماذا حصل مع جيمي؟

بينما نأتي إلى الفصل الأخير من هذا الكتاب (لكنّنا بالكاد نبدأ رحلتنا)، هناك سؤالان يجب طرحهما:

١- هل يفيد التجاوب فائق الطبيعة بالخير على الشر حقًا؟

٢- ماذا حصل مع جيمي – الشاب الذي هددني بالقتل؟

أفضل طريقة للإجابة عن هذه الأسئلة هي بإكمال القصة. كما تذكرون، جيمي ضخم الجسم، مدمن مخدرات سابق وتاجر مخدرات يصف نفسه بأنه الشرّير، ولديه أثر جرح يمتد من عظم كتفه ليصل إلى صدره من إصابة تعرض لها في حرب فييتنام، وكان يكره كلّ المؤمنين بالمسيح... ولاسيما أنا!

كان رد فعلي الأول قبل أن أتعلم من رومية ١٢: ١٤- ٢١ هو أن أرد على الشر بالشر. كنت ممتلئًا بالمرارة، والحقد، وتملكني الخوف، محتارًا تمامًا حول ما يجب عليّ فعله. وفي خضم هذه الحالة، استخدم اللّه رجلًا آخر يدعى جيمي (لدى اللّه روح دعابة رهيب!) ليسير بي خلال ما شاركتكم إياه في هذه الفصول الخمسة، مدركًا أن ما ينبغي لي فعله يمثل فقط ١٠% من المعركة. وأما نسبة ٩٠% الباقية فتتعلق باستعدادي بالرد على الشر بالخير لرجلٍ أكرهه. فكان أمرًا صعبًا للغاية!

«الطاعة هي خيار نتخذه.» هذا هو ما ذكّرني به صديقي جيمي. «لست ملزمًا بالشعور بميل إلى الطاعة، عليك أن تختارها، وستكتشف أن نعمة الرب تكفيك في كلّ وقت وكل ظرف.»

حسنًا، لم أكن أرغب في ذلك حتمًا أو أرِدْه بأي شكلٍ من الأشكال، لكنني أطعت...

....لم أعد أوجّه الضربات في الملعب من وراء ظهره،

....لم أعد أتجنب النظر إلى وجهه،

....لم أعد أسخر منه،

....لم أعد أفرح عندما يُخطئ،

....لم أعد أخبر اللاعبين الآخرين بأنه بغيض.

هناك أمورٌ توقفتُ عن فعلها (على الأقل الأمور التي أستطيع الحديث علناً عنها). لكن المقطع لا يقول: «لا ترد على الشر بالشر» فقط، بل يضيف:

> « فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ.»[١٣]

١٣ رومية ١٢ : ٢٠- ٢١

لهذا كان فعل الخير لجيمي عمل الطاعة الثاني، فأنت كطالبٍ جامعي جديد في فريق كرة السلة الجامعي، تكون تحت رحمة التلاميذ الأقدم منك: «ضع حقيبتي في الباص»، «اذهب واجلب لي قنينة عصير»، «انتظر في الصف مكاني»، إلخ إلخ. حسنًا، استخدم جيمي كلّ هذه العبارات وحوَّلني إلى عبدٍ شخصيٍّ له. كان يعلم أن الأمر يضايقني جدًا وأنني أكرهه. لهذا، بدا هذا الأمر أول مكان أبدأ فيه تجربة «مبادلة الشر بالخير» معه.

فعلى مدى الشهور الأربعة التالية، لم يكن على جيمي أن يطلب أي شيء. إذ كنت أبادر قبل أن يطلب:

« جيمي، لقد وضعت حقيبتك في الباص، أتريد شيئًا آخر؟»

« جيمي، أتريد أن أحضر لك بعض العصير، أو قطعة من اللحم معي (في وقت تناول الطعام)؟»

عندما كان جيمي يذهب ليأخذ حمامه، كنت أجمع معداته التي تفوح منها رائحة العرق، وأضعها في كيس من النايلون، وأعطيها للمدرب من أجل أن تُغسل، ثم أطوي ثيابه وأضعها في خزانته.

وأسبوعًا بعد أسبوع، وشهرًا بعد شهر، كنت أردّ الشر بالخير. لم تتوقف المضايقات والإذلال العلني، بدا وكأن كرهه قد تفاقم في بعض المواقف. وفي إحدى المرات سألني إن كنت أمارس عليه بعض «الألاعيب المسيحية» كي يدعني وشأني. لكنني، بنعمة الله، تمكّنت من أن أواصل عمل الخير. وأصبح الأمر بمنزلة تحدٍّ شخصيّ لي أن أصنع الخير لجيمي كل يوم.

ولدهشتي الفائقة بعد عدة أسابيع، تغيّر شيء ما – أنا! ذاب الغضب والمرارة من قلبي. فقدتْ إهاناته وكلماته أثرها فيّ (مع أنني لا أزال لا أحبها)، اختفت اللذعة! أصبحتُ أصلّي بانتظام لجيمي كجزء من محاولتي أن أباركه، وبدأت أراه من منظار مختلف.

رأيت شابًا موهوبًا جدًا، ممتلئًا بالمرارة والغضب يلوم الله على كل مشاكله. حتى إنني وجدت نفسي أرثي له أحيانًا، كان بائسًا، ولكنني لم أتمكن من رؤية هذا الأمر إلى أن توقفت عن كرهه.أود أن أنهي هذه القصة بإخباركم بأن جيمي قد صعقه حب الله، وأحنى ركبتيه أمامه، وسأل الرب يسوع أن يكون مخلِّصًا له، ولكنني لا أستطيع – إذ لم تسر الأمور على هذا النحو. كلا، بل وصلنا إلى نهاية الموسم ولم يتغير شيءٌ على الإطلاق...

ولدهشتي الفائقة، تغيّر شيء ما – أنا!

على الأقل لم أستطع أن ألمس بنفسي أيّ تغيير. لكن بعد المباراة النهائية الكبيرة في بطولة نهاية العام الدراسي، التفت جيمي إليّ وقال كلمات لن أنساها ما حييت. «تشيب، هناك شخصان

في هذا الفريق أكن لهما كل الاحترام: أنا شخصيًا – لأنني شرّير. وأنا أعلم ذلك، وسأذهب إلى الجحيم إذا وُجِد... وأنت! أنا لا أوافق على أيّة كلمة تقولها وتؤمن بها، ولكن لو كان هناك أي أمل لي بأن أسير على طريق المسيحية، أود القول إنني أريد أن أصبح مثلك أنت.»

ثم أضاف: «لقد فرغتُ من التلاعب بعقلك ومضايقتك يا ولد، سأتركك وشأنك الآن.» كنتُ في صدمة. شكرته ورأيت للمرة الأولى اختفاء كرهه لي من عينيه.

ووددت لو كانت هناك نهاية جميلة لهذه القصة، لكنني لم أعلم يقينًا ما حدث لجيمي. سمعت أنه أُلقي القبض عليه في عملية متاجرة بالمخدرات وعاد إلى السجن، غير أنني لست متأكّداً من هذه الأخبار.

وما أعلمه يقينًا هو أن الخير يغلب الشر! يمكننا بنعمة الرب أن نحب أعداءنا. واللّه وحده قادر على أن يغير قساوة قلوبنا. وهذا الأمر أكيد!

والآن دورك أنت ...

إنّها خطوتك الخاصة– أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢

ثق بي (TRUST ME)

فكّر (Think)

ماذا يعني أن تكون مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢؟

تأمّل (Reflect)

ما هو تأثير رحلة رومية ١٢ في حياتك؟

افهم (Understand)

من بين العلاقات الخمس التي درسناها سويًا، في أية واحدة منها رأيت نموًا روحيًا كبيرًا؟ في أية ناحية تحتاج إلى مساعدة أكبر لتصبح أكثر شبهاً بالمسيح؟

- علاقتك باللّه
- علاقتك بنظام هذا العالم
- علاقتك بنفسك
- علاقتك بالمؤمنين
- علاقتك بغير المؤمنين

سلّم (Surrender)

الخضوع هو نقطة في الزمن ومسيرة طول الحياة. كيف تصف علاقتك الحالية باللّه؟

- منغمس بالكامل
- في حال تراجع
- أحتاج إلى مساعدة في موضوع ...

اتخذ إجراء (Take Action)

هذا الكتاب مجرد بداية رحلتك في أن تصبح مؤمنًا بالمسيح بحسب رومية ١٢.

الدافع (Motivation)

حدد وقتًا للاستماع إلى الرسالة الصوتية والمرئية على الموقع:

www.levantmedia.com/TS

شجّع أحدهم (Encourage Someone)

شجع شخصًا تعرفه في مدينة أخرى يريد أن ينمو روحيًا وساعده على دراسة الكتاب المقدس والتعمق فيه.

أمام اللّه يومياً – مع المؤمنين أسبوعياً – في مهمة إرسالية مستمرة بلا توقُّف

"يومياً - أسبوعياً - بلا توقف" إرشاد عملي لتكون تلميذاً بحسب رومية ١٢.

أمام اللّه يومياً

نميل لأن نخبّئ وندفن جروحنا، ونكبت شعورنا بالألم، ونعيش بمرارةٍ عميقة فينا. ولكنَّ المرارة والكراهية مثل السرطان الذي يتغذّى على أرواحنا ونفوسنا ويلتهمها. قال أحدهم ذات مرّة إن الاحتفاظ بالمرارة في قلوبنا مثل التمنّي بأن يمرض الشخص الآخر من خلال شربنا السمّ. فحين نرفض أن نغفر، فإن أكثر إنسان يتعرّض للأذى نتيجة لموقفنا هذا هو نحنُ أنفسنا.

يحصل جزءٌ من عملية الشفاء بتعلُّمنا أن نأتي إلى محضر اللّه. حين نأتي إلى محضر اللّه ونقضي وقتاً في قراءة كلمة اللّه والتأمُّل بها، فإننا نتواجه باستمرار مع أمره بأن نغفر للذين يسيئون إلينا ويؤذوننا، بل وبأن نباركهم أيضاً. كما أننا بمجيئنا إلى محضره نتذكّر بأن اللّه هو المُمسِك بزمام الأمور، ونستطيع أن نثق به. اللّه هو إله العدل، وفي وقته سيصوِّب الأمور.

إحدى الطرق التي أخبرَنا يسوع بأن نتّبعها في مباركة الذين يسيئون إلينا ويؤذوننا هي بالصّلاة لأجلهم. إن كانت في قلبك ضغينة، فحين نأتي إلى محضر اللّه في الأيام القادمة، لتكن هذه المشاعر وهذا الشخص موضوع صلاةٍ لك.

حثثتكَ في هذا الجزء على أن تكتب متّى ٥: ٤٣–٤٨ على بطاقة أو ورقة وتقرأها بروح الصلاة كلَّ يومٍ في الأسبوع القادم. إن لم تكن قد عملتَ هذا الأمر حتّى الآن، فاعمله الأسبوع القادم.

مع المؤمنين أسبوعياً

أخبرتُك في هذا الجزء من الكتاب عن جيمي، الذي كان زميلي في فريق كرة السلة، جعلتني مضايقته لي أُبغضه. وقد تحدَّثتُ عن هذا الأمر مع صديقٍ كان يساعد في قيادة الخدمة في جامعتنا. كان صديقي حكيماً بما يكفي لأن يوجّهني إلى هذا المقطع في رومية ١٢. ولن أنسى كلماته: "أعرف أمراً واحداً أقوى من هذا النوع من الشّرّ، وهو الصّلاح الذي يأتي من اللّه."

كانت عطية رائعة من اللّه أن يكون لي صديقٌ يوجِّهني إلى الكتاب المُقدَّس ويشجِّعني على أن أغلب الشر بالخير. صديقي مثالٌ ممتاز على ضرورة احتياجنا جميعاً لأن نكون ضمن مجتمع مع مؤمنين آخرين. قال سليمان: "تُقبَّل شفتا من يجاوب بكلامٍ مستقيم" (أمثال ٢٤: ٢٦). ربما لا يعجبك ما يُقال لك، فلا ترغب بعمله، ولكنَّ وجود مجموعة من الناس في حياتك تقول لك الحق وتحثُّك على الطاعة، هو في الحقيقة هبة من اللّه.

في مهمةٍ إرسالية مستمرّة بلا توقُّف

تدعونا رومية ١٢: ١٤–٢١ إلى أن نفرح مع الفرحين ونبكي مع الباكين. يوضِّح السياق بأن هذه الأعمال تصف كيف علينا أن نبارك من يضطهدوننا ويؤذوننا.

حين تكون في مهمّة إرسالية، فأنت لا تغفر فحسب، بل تأخذ خطواتٍ تهدف إلى الوصول إلى الذين يؤذونك. وإحدى الطرق التي تستطيع بها أن تعمل هذا هي بأن تتوحَّد معهم في ظروف حياتهم. وكما قلتُ في هذا الجزء، فإنَّ التوحُّد هو باب المحبة. وقد تكلَّمتُ عن بعض الأعمال التي يمكننا عملها، اختر أحد هذه الأعمال لتُظهر به محبة اللّه هذا الأسبوع لشخصٍ تسبَّب لك بالأذى في ماضيك. كُنْ قناة للنعمة الغنية والمحبة الثورية.

الخاتمة

وتستمرّ الرحلة ...

أود أن أشكرك لسماحك لي بالانضمام إليك في رحلتك الروحية، مع أننا لن نبلغ الكمال في هذه الحياة، فإنّ رغبة اللّه الحارّة هي أن يستمرّ في تغيير قلوبنا وحياتنا لتعكس جمال يسوع ومحبته وقداسته.

مقاصد اللّه هي دائماً لخيرنا، وبأنْ نُظهِر المزيد من العجائب اللامحدودة الآتية من نعمته وحكمته ومحبته وقوّته، حتى تصرخ حياتنا: "قدّوس قدّوس قدّوس الرب الكائن والذي كان والذي يأتي."

صلاتي هي أن تُدرِك محبة الرب لك وأن تحيا حياتك وعلاقاتك بحسب رومية ١٢ – ليس لتكسب نعمة اللّه ورضاه، بل لتشكره على ما عمله.

الرحلة مستمرّة ...

... التسليم للّه

... الانفصال عن قِيَم العالم

... التقييم الواعي للذات

... خدمة الآخرين بمحبة

... الاستجابة الفائقة للطبيعة للشرّ بالخير

... ولن تنتهي إلا حين يأتي أو يدعونا إلى موطننا السّماوي.

وفي هذه الأثناء، تخيَّل ما سيعمله اللّه والمُخلِّص يسوع المسيح في كل ظرف وعلاقة في صيرورتنا مسيحيّين بحسب رومية ١٢ كل الوقت وكل أيّام السنة!

> وما سمعته مني بشهودٍ كثيرين، أودِعه أناساً أمناء، يكونون أكفاء أن يعلّموا آخرين أيضاً.
> ٢ تيموثاوس ٢: ٢

استمرّ في التقدُّم إلى الأمام تذكَّر أن أولوية يسوع في كل ناحية من نواحي حياتك يعبِّر عنها في كلماته

> "أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي"
> يوحنا ١٤: ١

كلمة إلى الرّعاة

كان لي امتياز على مدى سنوات كثيرة أن أسافر عبر أمريكا وأجول حول العالم للخدمة مع زملائي الرعاة الذين يتوقون إلى أن يروا كنيستهم تنتج أتباعًا مشابهين ليسوع يعيشون إيمانهم يومًا بعد يوم.

ليس سرًا أن هناك وضعاً خاطئاً. فمعظم المؤمنين بالمسيح لا يحيون كمؤمنين، وتصارع معظم الكنائس (مع استثناءات رائعة لكنْ نادرة) في هذا المجال. إذْ يقرّ الرعاة من كل الخلفيات بأنهم لا يملكون تعريفًا لسؤال: «من هو تلميذ يسوع المسيح؟» وأما الكنائس التي لديها عملية منهجية واضحة ومنظَّمة تعمل على تنمية أعضائها روحياً فقليلة جدًا.

هذا الكتاب هو أملي وصلاتي للمشاركة مع الرعاة في كل مكان للمساعدة ليس فقط للتعريف بمن هم أتباع يسوع، بل أيضاً لتنمية أتباع ليسوع المسيح مملوئين بالنعمة، ومقدَّسين ومحبّين.

ليس عليك أن تصدّق كلامي فقط. لكن في حال احتياج أيّ منّا إلى أيّ تحفيزٍ أو شكّ بحساسية هذه المسألة وأهميتها، أريد أن أشارك أربعة اقتباسات لقادة مؤمنين بالمسيح استخدمهم اللّه لإبقاء روحي مشتعلة.

صوتٌ من الماضي ينظر إلى أولوية النضوج الروحي منذ ستين سنة ...

أكثر التزاماتنا إلحاحًا اليوم هو أن نبذل ما بوسعنا لتحقيق نهضة تنتج عنها كنيسة متجددة، حية ونقية. وإنه لأمر أكثر أهمية للغاية أن يكون لدينا مؤمنون بالمسيح فعالون من أن يكون لدينا عدد أكبر فقط. ويمثل كل جيل من المؤمنين بذارًا للجيل التالي.

ومن المؤكد أن البذار الضعيفة الفاسدة لن ننتج بذارًا أفضل قليلًا من سابقتها، بل ستنتج حصادًا أسوأ من البذار التي نبتت منها. ولهذا سيكون الاتجاه هو إلى أسفل إلى أن تُتّخَذ الإجراءات القوية الفعالة لتحسين البذار.

وينبغي للكنيسة، للاستمرار في هذه النشاطات (التبشير، الخدمة) كتابيًا، أن تسير بكامل قوتها، مفروزة ونقية وجاهزة في أي وقت للتضحية بكل شيء، حتى بالحياة نفسها، لمجد أكبر للمسيح.

ولن تستطيع كنيسة دنيويّة ضعيفة وفاسدة أن تنتج متحوّلين دينياً إليها إلا حسب طبيعتها، فتنقل فسادها وضعفها وتزيدهما قليلاً أيضاً...

ولهذا فإن الجودة الروحية أمر هامّ جدّا. وليس كثيراً أن نقترح تأجيل محاولات النمو عدديّا إلى حين أن نصبح أفضل روحيًا.

A.W. Tozer

هذا صوتٌ من الحاضر لرجلٍ أمضى صيف كل سنة لمدة خمس عشرة سنة يجول حول العالم «لقياس حرارة الكنائس»....

- سؤال: هل تعلم أن هذه الكنيسة تنمو بقدر نموّ الكنائس الغربية؟ أتساءل كيف تقيّمها.

- جون ستوت (John Stott): الجواب هو «نموٌّ من دون عمق». لا يريد أيّ منا أن يختلف أو يجادل حول أهمية النمو الكبير للكنيسة. ولكنه نموٌّ عددي إحصائي، ولم يكن هناك نمو كافٍ في التلمذة قياسًا للنمو العددي.

- سؤال: إلى أين يحتاج الإنجيليون أن يذهبوا؟ لقد خضنا في رحلةٍ مدهشة في الخمسين سنة الأخيرة.

- جون ستوت (John Stott): إجابتي التلقائية هي أننا بحاجة إلى الذهاب إلى ما هو أبعد من التبشير. فالتبشير هو اختصاص المبشرين. والآن، أنا مؤمن وملتزم بالكامل بتبشير العالم. لكن علينا أن ننظر إلى ما هو أبعد من التبشير، إلى قوة الكتاب المقدس المغيّرة، سواء أكان ذلك على صعيد الأفراد أم على صعيد المجتمعات.

تقييم الكنائس الضخمة العدد بعد خمس وعشرين سنة من الخدمة ...

غير أنّ نتائج الأبحاث واضحة للغاية. وهي تشير إلى أنّ على الكنيسة أن تبذل ما بوسعها لزيادة أعداد أتباع المسيح الخاضعين بالكامل ... فإمكانية تأثير الملكوت هائل.

الأبحاث التجريبية الحديثة بشأن نمط حياة الذين يدعون باسم المسيح وتصرفاتهم ...

نجد دومًا أن الغالبية العظمى من المراهقين في كل أنحاء العالم تمضي الأوقات الوفيرة من سني المراهقة في كنائس مسيحية. فعلى سبيل المثال،

يدخل معظم المراهقين في أميركا سن البلوغ وهم يعدّون أنفسهم مسيحيين ويعلنون التزامهم بالمسيح. ثم بعد مرور عقد من الزمن، يهجر معظم هؤلاء الشباب الكنيسة ويضعون ارتباطهم العاطفي بالمسيحية على الرف. فبالنسبة لمعظمهم لم يتجاوز إيمانهم السطح، ويقودنا هذا إلى الوعي بأن الغالبية الساحقة من الناس، وخاصّة من جيل الشباب، هم أشخاص يفكّون ارتباطهم بالكنيسة.

مسار مؤكد لكي تشبه يسوع

وهكذا، ترى أن لدينا مشكلة وهو ما يحطم قلبي، وهذا سبب كتابتي لهذا الكتاب. ولهذا أطرح عليك الأسئلة التالية:

- أتريد أن تكون جزءًا من الحلّ؟
- أأنت مستعد لأن تدع اللّه يُشكّل حياتك بطريقة تجذب الكثيرين ممن لا يعرفون المسيح؟
- أأنت مستعد لأن تصبح مسيحيًا بحسب رومية ١٢؟
- أأنت مستعد لأن تخضع وتسلّم بالكامل لمشيئة اللّه؟
- أأنت مستعد لأن تنفصل عن هذا العالم؟
- أأنت مستعد لأن تجري تقييمًا ذاتيًا واعياً وجادّاً؟
- أأنت مستعد لأن تخدم الآخرين بمحبة؟
- أأنت مستعد لأن ترد على الشرّ بالخير بطريقة فائقة للطبيعة؟

إن اتّبعت هذا الدرب (وهو ليس أمرًا سهلًا على الإطلاق)، سيبدأ اللّه في تغيير حياتك. وهو مستعد لأن يستخدمك كي تساعد في قيادة الكثيرين ليكونوا مؤمنين بالمسيح بحسب رومية ١٢. أأنت مستعد لأن تستجيب لدعوته لك؟

LEVANT

MINISTRIES

LEVANT
MINISTRIES

تواصل الجيل التالي

بناء العلاقات والصداقات
والشراكة

تمكين الجيل التالي

توفير تدريب عملي
مرتكز على الكتاب المقدس

إرساليات الجيل التالي

إرسال شباب الجيل التالي إلى
حقل العمل والخدمة.

من نحن

ليڤانت هو مصطلح تاريخي جغرافي يستخدم للإشارة إلى منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط. ليڤانت اليوم تتكون من سورية ولبنان وفلسطين والأردن ومصر والعراق وقبرص ومناطق في جنوب تركيا.

ليڤانت هي كلمة مترجمة من اللغة الفرنسية وتعني «الشروق» وتشير إلى شروق الشمس.

رغم قلة استعمال هذا المصطلح إلا أننا نؤمن أنه رمز قوي يوحي إلى استخدام الله لمؤسسة ليڤانت في توصيل رسالة المسيح من المشرق إلى العالم كله.

NEXTGEN
LEADERS INITIATIVE
مبادرة قادة الجيل التالي

هدفنا

هو توصيل رسالة الإنجيل للشباب والشابات وتجهيزهم بالموارد الروحية وإرسالهم لتغيير المجتمعات.

رؤيتنا

أن نكون الجيل التالي الذي يعيش ويشارك إيمانه بصورة مغيّرة للعائلة والكنيسة والمجتمع.

نبض خدمتنا

هو مساعدتك على التعرّف على شخص المسيح والنمو في مشوراك الروحي مع الله.

AN INITIATIVE OF
LEVANT
MINISTRIES
مبادرة هيئة ليڤانت

برنامج الجيل التالي

تمّ تصميم برنامج الجيل التالي بعد استشعار الحاجة ضمن الكنيسة لمشروع يركّز على إقامة الشباب من الجيل التالي.

كان برنامج الجيل التالي قادراً على تلبية هذا المطلب من خلال تطوير برنامج يركّز خصيصاً على شباب وشابات الناشئة والجامعة والخريجين من خلال نهج فريد ومتميز للتدريب والتعليم بحيث تساعد هذه المبادرة الشباب على تحقيق أحلامهم التي أعطاها الله لهم، وتشجّع وتدعم القساوسة الرعاة والقادة في الكنيسة على التوجه نحو الجيل التالي.

البرامج

نقوم بتحقيق تواصل الجيل التالي وتجهيزهم وحشدهم من خلال البرامج التالية:

NEXTGEN CONFERENCE
مؤتمر الجيل التالي

مؤتمر الجيل التالي هو حدث تم تصميمه لتدريب وإلهام الشباب والشابات. ويهدف أيضاً إلى توفيرمنصة لهم للتواصل وبناء أصدقاء وشركاء خاصين.

NEXTGEN RESOURCES
موارد الجيل التالي

تم تصميم هذه الموارد لتدعم برنامج المتابعة والتلمذة الروحية. وتقدم هذه الموارد دورات تدريبية وتعليمية في التنمية الروحية والبشرية وعلم القيادة.

NEXTGEN SEND
إرساليات الجيل التالي

الإرسالية جزء أساسي من مبادرة قادة الجيل التالي. إنها العمل الكرازي والمرسلي محلياً وعالمياً. وتهدف إلى حشد وإرسال أفضل الموارد لتحقيق نتائج حقيقية بطريقة فعالة ذات كفاءة عالية.

NEXTGEN عربي

هي منصة الميديا الخاصة بالجيل التالي. تابعونا على جميع مواقع التواصل الإجتماعي للتمتع بأحدث الموارد الروحية المرئية والصوتية و أيضاً كتب ومجموعات دراسية مميزة ذات جودة عالية.

LEVANTMEDIA

ليڤانت ميديا هي خدمة الإعلام التي تقوم بإنتاج وإخراج جميع موارد الميديا الخاصة بـNEXTGEN عربي وتوزيع جميع المنتجات على قنوات التلفزيون والمنصات الرقمية ومن ثم القيام بخدمة المتابعة والتلمذة والمشورة.

تواصل معنا

NEXTGEN عربي

nextgenarabic.com

تابعونا على مواقع التواصل

@nextgenarabic

للإتصال

01200016375

للسؤال والإستفسار ارسل إيميل شخصي لفارس على

fares@nextgenarabic.com

حمّل تطبيق الجيل التالي

Available on the App Store

GET IT ON Google Play